

الحكمة الإلهية

منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

د. مصطفى مراد
كلية الدعوة - جامعة الأزهر





لتحميل أنواع الكتب راجع: (مُنتَدى إقرَأ الثَقافِي)

براي دائلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرأ الثقافى)

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنتَدى إقرَأ الثَقافِي)

www. iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى , عربي , فارسي)



إعداد

دكتور مصطفى مراد

كلية الدعوة جامعة الأزهر

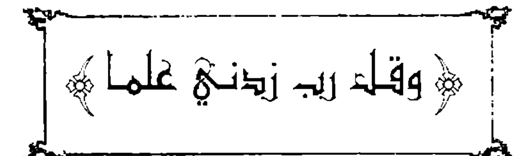
دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر - القاهرة

٥١٤٧١٧٩ - ٥١٤٧٢٤٨

٠١٢٧٤١٨٣٤٨



حقوق الطبع محفوظة

لدار الفجر للتراث

* الكتاب : المحكمة الإلهية

* المؤلف : د/ مصطفى مراد

* الطبعة : الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م

* الناشر : دار الفجر للتراث - القاهرة

* عدد الصفحات : ٣٨٤ صفحة

* رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٥٣٩٠

دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر / القاهرة



تليفون ٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٥١٤٧٢٤٨

محمول - ٠١٢٧٤١٨٣٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة

الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته، والحمد لله الذى ذل كل شىء لعزته، والحمد لله الذى خضع كل شىء لملكه، والحمد لله الذى استسلم كل شىء لقدرته.

كأنه ينادى على عبده ويقول:

يا عبدى ما الذى زهَّدك فىَّ ورغَّبك فى غيرى؟

عبدى أنا أتقرب إليك وتهرب عنى وأطلبك وتفر منى!

عبدى بُسِط لك غرور الدنيا فاشتغلت بها عنى، وآثرتها علىّ وزهدت فى سعة رحمتى! أهكذا يفعل المطيعون بأربابهم المحسنين إليهم؟ عبدى مَن الذى سترك وكلأك وحفظك ووقاك؟ هل كان لك شركة فى نفسك معى، أم هل كانت لك قوة بنفسك علىّ؟

عبدى ما الذى قصَّرك عن عبادتى؟ ما الذى زهدك فى طاعتى؟ أين أنت من هادم اللذات؟ أين أنت من نواح الآباء والأمهات، أين أنت من المفرق بين البنين والبنات؟ أين أنت ممن لا يستأذن على أصحاب القصور، ولا يستأمر أرباب الدور؟ أين أنت من قاصم الجبارين الموكلّ بأرواح المخلوقين؟ عبدى أليس قد اضمحلت آثار الماضين، ودرست معالم السالفين، واتبع آثارهم الباقون، ومن ذا الذى يقوم بخلود الدهر غيرى؟ ومن ذا الذى ينفع دوام الأبد غيرى؟ عجزت عن الخلود الجبال الراسيات والأطواد العاليات، والبحار الطاميات، أنا الذى تفردت بالبقاء، وحكمت على عبادى بالفناء، أنا الله لا إله إلا أنا لا شريك معى فى

منتدى إقرأ الثقافي

ملكى، ولا نظير لى فى حكمى، ولا ضد لى فى سلطانى.

يا من إليه جميع الخلق يبتهلُ ... وكل حى على رحماهُ يتكلُ
يا مَن نأى فرأى ما فى الغيوب وما ... تحت الثرى وحجاب الليل مُنْسدلُ
يا من دنا فنَأى عن أن تحيط به ... الأفكار طرًا أو الأوهام والعللُ
أنت الملاذ إذا ما أزمة شملت ... وأنت ملجأ من ضاقت به الحِيلُ
أنت المنادَى به فى كل حادثة ... أنت الإله وأنت الذخر والأملُ
أنت الغياثُ لمن سُدَّت مذاهبهُ ... أنت الدليل لمن ضَلّت به السُّبلُ
إنا قصدناك والآمال واقعة ... عليك والكل ملهوف ومُبْتهلُ
فإن غفرت فعن طوْل وعن كرم ... وإن حكمت فأنت الحاكم العدلُ

وأشهد أن حبيبنا وشفيعنا وقائدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفوته من خلقه وحبيبه.

يا نور قلبى فى رضاك سعادتى ... وسرور نفسى بالذى ترضاهُ
جُعل النعيم لمن يُحبُّ محمدًا ... فهو الذى أثنى عليه اللهُ
يا سيد الكونين يا بدر الدجى ... يا بحر جود لا يكف عطاهُ
يا بلسمًا يشفى الجروح حنانه ... يا ناطقًا بالحق ما أبهاهُ
مَن لليتامى والأرامل كافلاً؟ ... مَن بالقيامة شافعًا إلاَّهُ؟
مَن باسم رب العرش قد قُرِن اسمه ... أكرم بأحمد جلَّ مَن ربَّاهُ
فإذا ذكرت العدل كان محمدًا ... وإذا نطقت الحق كان هداهُ

اللهم صلِّ على صاحب الشفاعة وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا عبد الله ويا أمة الله.

هل دخلت محكمة من محاكم الدنيا؟

وهل رأيت حضور القاضى والقضاة والمحامين والمتهم والحاضرين؟

ثمَّ أتذكر حالك وحالى وحال الحاضرين عند نادى المنادى: محكمة فسكت الجميع وهدأ الجمع وبدأ القاضى يناقش المتهم وانبرى المحامى للدفاع عن المتهم؟

وكيف يكون شأنك وشأن الحاضرين عندما نطق القاضى بالحكم على المتهم.

الجوارح ساكنة والقلوب خاشعة والأعين ناظرة والألسن ساكتة.

هذا والحكم واقع على غيرك فكيف لو كان الحكم عليك أنت؟

هذا كله فى عالم الدنيا.

والاحتمالات موجودة.

الاستئناف كائن.

ورجوع الشهود فى شهادتهم ممكن.

ورشوة القاضى غير مستبعدة.

وتخفيف الحكم غير مستحيل.

وهروب الجانى من السجن غير بعيد ولا عزيز.

هذه محكمة الدنيا محكمة البشر الضعيف العاجز الجاهل.

فهل تصورت حالك عندما تأخذك الملائكة للعرض على المحكمة الإلهية.

القاضى هو الحكم العدل أحكم الحاكمين وخير الحاكمين.

الشهود: رب العالمين والأنبياء والمرسلون. والملائكة وقرين العبد من الجن وماله والأرض التى مشى عليها، والأيام التى عاشها وأعضاء جسده.

فالمحكمة لا تقبل رشوة ولا وساطة ولا استئنافًا ولا تبديل لأحكامها ولا تغيير لقضائها.

ويبدأ تنفيذ الحكم فور النطق به دون تأجيل أو تأخير، بل إنَّ الحكم يظهر على الجانى قبل أن يذهب إلى المحكمة وأثناء سيره إليها.

ماذا يحدث قبل انعقاد المحكمة الربانية؟

وماذا يحصل أثناء انعقاد المحكمة الإلهية؟

وما نتائج الحكم فى محكمة القاضى العدل الحق - سبحانه -؟

هذا هو موضوع كتابنا هذا.

أسأل الله أن لا يخزينا يوم العرض عليه، وأن يدخلنا الجنة بغير محاكمة، وأن يجعل ثمرة الحكم جنة عالية قطوفها دانية.

وأهدى كتابى هذا لأمى وأبى وزوجى وأولادى روضة وشفاء وصهيب.

دكتور مصطفى مراد صبحى

المدرس بكلية الدعوة الإسلامية

سبب انعقاد المحكمة الإلهية

ما خلق الله الخلق سدى وهملاً، وإنما خلق الله الخلق ليعبدوه وبالألوهية يفردوه ويوحِّدوه.

قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦ ـ ٢٠].

ينفى الحق ـ سبحانه ـ أن يكون قد خلق السموات والأرض وما بينهما لعبًا ولهواً، وإنما خلقهم لهدف وغاية.

وقال أحكم الحاكمين: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦] أى والله تعالى الله ـ سبحانه ـ وتنزَّه أن يخلق خلقه عبثًا ولهواً.

وفى سورة القيامة يوضح الحق ـ جل ذكره ـ أنه خلق عباده لطاعته وعبادته، وما خلقهم عبثًا وسدى وهملاً فيقول: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٤٠].

فهذا الخلق من بدايته إلى نهايته من ولادته إلى مماته كان لحكمة سامية، ولا تخلو أفعال الحكيم ـ تعالى ـ من الحكم البالغة والإرادات المطلقة.

وقد أحسَّ عقلاء البشر بفطرتهم وأيقنوا ببصيرتهم أن كل ظالم سيقف أمام هذه المحكمة ليقتص الحاكم ـ تعالى ـ من الظالم للمظلوم.

عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ

مهاجرةُ البحر قال: ألا تحدثى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل على رأسها قُلَّة من ماء فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كفيه ثمَّ دفعها فخرَّت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غداً، قال رسول الله ﷺ: صدقت صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»[١].

والحق ـ سبحانه ـ مالك السموات والأرض وما بينهما له الملك الظاهر والملكوت الخفى، وبيده مقاليد كل شيء وخلق الخلق بالحق ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] فيجازى كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وبدء الخلق وإعادته وتغيير نظام الكون وتبديل أموره كان لهذا المعنى المقصود والقدر المحتوم.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤].

* * *

(١) حسن، أخرجه ابن ماجه برقم (٤٠١٠) قال فى الزوائد: إسناده حسن.

الدنيا مزرعة المحكمة الإلهية

أحيانًا تضيق نفوس المؤمنين وقلوب المتقين بظلم الظالمين وكفر الكافرين وإجرام المجرمين.

فيودون أن ينتقم المنتقم - سبحانه - من المكذبين والكافرين فى الحال أو يعجل لهم عذاب الآخرة ولا يُنظرهم إلى يوم يبعثون وكل هذا كان ممكنًا لولا أن الحق - تعالى - قضى بأن تكون محاكمة المكذبين والانتقام من المشركين والمجرمين فى دار الحساب قال - تعالى -: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (129) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [طه ١٢٩، ١٣٠] فلولا هذا الوعد الحق والقضاء الفصل لعجل الله للكافرين العذاب ولكن لا تبديل لكلمات الله.

وقد سمى الحق - تعالى - هذه الدار الدنيا بالعاجلة، لأن صاحبها يتعجل ثوابًا قليلاً فى فترة زمنية محددة فى دار مشقة وبلاء وضنك.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء ١٨، ١٩].

* * *

يوم انعقاد المحكمة

وتنعقد المحكمة الإلهية

١ ـ يوم القيامة.

٢ ـ يوم الحَق.

٣ ـ يوم الحكم.

٤ ـ يوم الوقوف.

٥ ـ يوم الميقات.

٦ ـ يوم القضاء.

٧ ـ يوم البلاء.

٨ ـ يوم البقاء.

٩ ـ يوم اللقاء.

١٠ ـ يوم المنتهى.

١١ ـ يوم الانتشار.

١٢ ـ يوم الانكدار.

١٣ ـ يوم الانشقاق.

١٤ ـ يوم المرصاد.

١٥ ـ يوم الفتح.

١٦ ـ يوم اليقين.

١٧ ـ يوم السكرة.

١٨ ـ يوم المساق.

١٩ ـ يوم المآب.

٢٠ ـ يوم الافتقار.

٢١ ـ يوم البكاء.

٢٢ ـ يوم لا ريب فيه.

٢٣ ـ يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئًا.

٢٤ ـ يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون.

٢٥ ـ يوم معلوم.

٢٦ ـ يوم لا ينفع مال ولا بنون.

٢٧ ـ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم.

٢٨ ـ يوم الجزع.

٢٩ ـ يوم الدمدمة.

٣٠ ـ يوم الداهية.

٣١ ـ يوم المناقشة.

٣٢ ـ يوم الساعة.

٣٣ ـ يوم الرجَّة.

٣٤ ـ يوم النفخة.

٣٥ ـ يوم الزلزلة.

٣٦ ـ يوم الراجفة. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤].

٣٧ ـ يوم الناقور.

٣٨ ـ يوم النشور.

٣٩ ـ يوم الخروج.

٤٠ ـ يوم الحشر.

٤١ ـ يوم العرض.

٤٢ ـ يوم الجمع.

٤٣ ـ يوم التفرق.

٤٤ ـ يوم الصدع والصدر.

٤٥ ـ يوم البعثرة.

٤٦ ـ يوم الفزع.

٤٧ ـ يوم التناد.

٤٨ ـ يوم الدعاء.

٤٩ ـ يوم الواقعة.

٥٠ ـ يوم الخافضة الرافعة.

٥١ ـ يوم الحساب.

٥٢ ـ يوم الشهادة.

٥٣ ـ يوم الجدال.

٥٤ ـ يوم الطامة.

٥٥ ـ يوم الصاخة.

٥٦ ـ يوم الوعيد.

٥٧ ـ يوم الدين.

٥٨ ـ يوم الجزاء.

٥٩ ـ يوم الحسرة.

٦٠ ـ يوم التبديل.

٦١ ـ يوم التلاق.

٦٢ ـ يوم الآزفة.

٦٣ ـ يوم المآب.

٦٤ ـ يوم المصير.

٦٥ ـ يوم القضاء.

٦٦ ـ يوم الوزن.

٦٧ ـ يوم عقيم.

٦٨ ـ يوم عسير.

٦٩ ـ يوم مشهود.

٧٠ ـ يوم التغابن.

٧١ ـ يوم عبوس قمطرير (شديد).

٧٢ ـ يوم تبلى السرائر.

٧٣ ـ يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا.

٧٤ ـ يوم يُدعُّون إلى نار جهنم دعًا.

٧٥ ـ يوم التقلب.

٧٦ ـ يوم الشخوص.

٧٧ ـ يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون.

٧٨ ـ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم.

٧٩ ـ يوم الفتنة.

٨٠ ـ يوم لا مرد له من الله.

٨١ ـ يوم الغاشية.

٨٢ ـ يوم الحاقة.

٨٣ ـ يوم لا بيع فيه ولا خلال.

٨٤ ـ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

٨٥ ـ يوم الأذان.

٨٦ ـ يوم الشفاعة.

٨٧ ـ يوم العرق.

٨٨ ـ يوم القلق والجولان.

٨٩ ـ يوم الفرار.

٩٠ ـ يوم القارعة.

٩١ ـ يوم الفصل.

٩٢ ـ يوم القرار.

٩٣ ـ يوم الميعاد.

٩٤ ـ يوم الخلود.

وبعد حياة حافلة بالخير والشر أو بغلبة أحدهما على الآخر.

جلست على فراش الموت ليظهر على وجهك وجسدك وعملك آثار الحكم الإلهى الذى سيقع عليك فى المحكمة الإلهية يوم القيامة فإما أن ترزق حسن الخاتمة فيطمئن قلبك ويرجو البراءة أمام المحكمة الربانية وإما أن تموت على عمل معصية فيقلق قلبك وتفزع نفسك وتخشى العقاب والفضيحة الكبرى أمام المحكمة الأخروية

● المحكمة الإلهية الصغرى:

وتبدأ المحكمة الإلهية الصغرى بخروجك من عالم الدنيا وانتقالك إلى عالم البرزخ لتكون دليلاً على المحكمة الإلهية التى يباشر الحكم فيها أحكم الحاكمين ـ جل وعلا ـ أما هذه المحكمة فيباشر الحكم فيها ملكان هما منكر ونكير وإن كان صاحب الحكم الحقيقى والأمر النهائى القوى المتين ـ سبحانه ـ ولما كان الخلق لا يسلمون من الخطأ ولا ينجون من الذنب فإن الأرض تضمهم ضمة تخف على المؤمن وتثقل على الكافر والفاجر فالنبى ﷺ يقول عن سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ (هذا الذى تحرك له العرش وفُتحت له أبواب السماء وشهد له سبعون ألفًا من الملائكة لقد ضُمَّ ضمة ثم فَرِج عنه)[1].

ثمَّ تنتقل إلى القبر لتعيش فى نعيم أو عذاب وذلك بعد أن تسأل ثلاثة أسئلة: من ربك؟ ما دينك من نبيك وبها يُحْكَم عليك.

---

(١) صحيح، أخرجه النسائى (٤/ ١٠٠) رقم (٢٠٥٥) باب ضمة القبر.

عذاب القبر ونعيمه

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمَّا يُلْحد، فجلس رسول الله ﷺ مُستقبل القبلة، وجلسنا حوله وكأنَّ على رءوسنا الطير، وفى يده عود ينكت فى الأرض، فجعل ينظر إلى السماء وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثًا فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر ـ مرتين أو ثلاثًا» ـ ثم قال: «اللهمَّ إنى أعوذ بك من عذاب القبر ـ ثلاثًا ـ» ثم قال: «إنَّ العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأنَّ وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحَنُوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة ـ وفى رواية ـ المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِىِّ السقاء فيأخذها ـ وفى رواية ـ حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك فى السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قِبلهم فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرُّون ـ يعنى بها على ملأ من الملائكة ـ إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يُسمُّونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيُفتح لهم، فيُشيِّعه من كل سماء مُقرَّبوها إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا عبدى فى عليين ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ

﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٩، ٢١] فيُكتب كتابه فى عليين ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيُرد إلى الأرض وتعاد روحه فى جسده، قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا مُدبرين فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: من نبيك؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما علمك بهذا؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدَّقت فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهى آخر فتنة تُعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام، ونبيى محمد ﷺ فينادى مُناد فى السماء: أن صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسح له فى قبره مد بصره قال: ويأتيه - وفى رواية - يُمثَّل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيِّب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرُّك، أبشر من رضوان الله وجنات فيها نعيم مُقيم، هذا يومك الذى كنت تُوعَد، فيقول له: وأنت فبشَّرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا فى طاعة الله بطيئًا فى معصية الله، فجزاك الله خيرًا، ثم يُفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيُقال: هذا منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما فى الجنة قال: ربِّ عَجِّل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلى فيقال له اسْكُن.

قال: وإنّ العبد الكافر - وفى رواية - الفاجر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سُود الوجوه، معهم المسوح[1] من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس

(١) المسوح: جمع المسح وهو كساء غليظ من الصوف أو الشعر.

عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق فى جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود[1] الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك فى السماء، وتُغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قِبلهم، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التى كان يسمَّى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[2] [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى، ثم يُقال: أعيدوا عبدى إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرجهم تارة أخرى فتُطرح روحه من السماء طرحًا حتى تقع فى جسده، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه فى جسده قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه، ويُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى فيقولان: فما تقول فى هذا الرجل الذى بُعثَ فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: هاه هاه لا أدرى، سمعت الناس يقولون ذاك، قال: فقال: لا دريت ولا تلوت، فينادى مُناد من السماء أن كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرِّها وسمومها، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه ـ وفى رواية ـ يُمثَّل له رجل قبيح الوجه، قبيح

(١) الحديدة المعوجة كثيرة الشعب.

(٢) سم الخياط: ثقب الإبرة.

الثياب، مُنتن الريح فيقول: أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد. ويقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالشر، فيقول؟ أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله، فجزاك الله شراً، ثمَّ يُقيَّض له أعمى أصم أبكم فى يده مرزبة لو ضُرِب بها جبل كان ترابًا، ثمَّ يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شىء إلا الثقلين ثمَّ يفتح له باب من النار، ويمهَّد له فراش من النار»(١).

وهذا النعيم والعذاب الذى يقع عليك يكون على جسدك وروحك، ويستمر النعيم إلى يوم القيامة لا ينقطع بحال، أما العذاب فقد ينقطع إن كان الذنب صغيراً ولم يصر العبد عليه أو كان كبيراً ولم يجاهر العبد به ويسعد بفعله.

ومن هنا تكون خطورة القبر، فإنه أول منازل الآخرة.

عن هانئ قال: كان عثمان ـ رضى الله عنه ـ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، وتبكى من هذا؟ قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»(٢).

* * *

(١) صحيح، أخرجه أبو داود رقم ٤٧٥٣، وابن ماجه (١/ ٢١٤)، وأحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦)، والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠)، وصححه ووافقه الذهبى، والطيالسى رقم ٧٥٣.

(٢) حسن، أخرجه ابن ماجه رقم ٤٢٦٧.

أسباب عذاب القبر

ولعذاب القبر أسباب:

عن سَمُرة بن جُندب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعنى مما يُكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ قال: فيَقُصُّ عليه ما شاء الله أن يَقُصَّ، وإنه قال لنا ذات غداة: «إنه أتانى الليلة آتيان وإنهما ابتعثانى وإنهما قالا لى: انطلق. وإنى انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ[١] رأسه فيتدهده[٢] الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصحَّ رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى. قال قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟ قال قالا لى: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب[٣] من حديد، وإذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيُشَرْشِر[٤] شدقهُ[٥] إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى. قال: قلت: سبحان الله! ما هذا؟ قال قالا لى: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال وأحسبه أنه كان يقول: فإذا فيه لغط وأصوات. قال: فاطَّلَعْنَا فيه فإذا فيه رجال ونساء عُراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم،

---

(١) يشدخ ويكسر.

(٢) يتدحرج.

(٣) حديدة مُعْوَجَّة.

(٤) أى يقطعه شقًا.

(٥) الشدق: جانب الفم.

فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوُا[١] قال قلت لهما: ما هؤلاء؟ قال قالا لى: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا فى النهر رجل سابح يَسْبَح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه[٢] فيلقمه حجراً فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا. قال: قلت لهما: ما هذان؟ قال قالا لى: انطلق انطلق. قال: فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المُرْآة[٣]، كأكره ما أنت راء رجلاً مرآة، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها. قال قلت لهما: ما هذا: قال قالا لى: انطلق انطلق. فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهرى الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً فى السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط. قال قلت لهما: ما هذا؟ ما هؤلاء؟ قال قالا لى: انطلق انطلق. فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن. قال قالا لى: ارق، فارتقيت فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلَبِن ذهب ولَبِن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا، فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء، قال قال لهم: اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر، قال: وإذا نهر معترض يجرى كأن ماءه المحض من البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة، قال قالا لى: هذه جنة عدن وهذاك منزلك قال فسما بصرى[٤] صُعُدًا[٥]، فإذا قصر مثل الربابة[٦] البيضاء. قال: قالا لى هذاك

(١) أى رفعوا أصواتهم مختلطة.

(٢) أى يفتح فمه.

(٣) قبيح المنظر.

(٤) أى نظر إلى فوق.

(٥) ارتفع كثيراً.

(٦) السحابة البيضاء.

منزلك، قال قلت لهما: بارك الله فيكما، ذَرَاني[١] فأدخله، قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله. قال قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجبًا، فما هذا الذى رأيت؟ قال قالا لى: أما إنا سنخبرك. أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق. وأما الرجال والنساء العراة الذين فى مثل بناء التنور فهُم الزناة والزوانى. وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويُلْقَم الحجر فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم، وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإنه إبراهيم ﷺ وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة».

قال فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأولاد المشركين. وأما القوم الذين كانوا شطرًا منهم حسن وشطرًا قبيح فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم»[٢].

وفى هذا الحديث بيان لتعذيب بعض العصاة فى البرزخ فإن رؤيا الأنبياء وحى مطابق لما فى نفس الأمر[٣].

وصح فى حديث رسول الله ﷺ: «أن الميت يُعَذَّب ببكاء ـ أو ـ نواح أهله عليه»[٤].

---

(١) اتركانى.

(٢) رواه البخارى فى التعبير باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٧٠٤٧)، ومسلم فى الرؤيا (١٣) مختصرًا، وأحمد (٥/٨، ٩، ١٤)، والترمذى (٢٢٩٤) مختصرًا، والبيهقى (٥/٢٧٥)، والحاكم (٤/٣٩٧)، وابن أبى شيبة (١١/٦٢ ـ ٦٦).

(٣) فتح البارى (١٢/٤٦٦)، الروح لابن القيم (ص٨٠).

(٤) البخارى (١٢٨٦ ـ ١٢٩٠)، ومسلم فى الجنائز (١٦ ـ ٢٨)، وأبو داود (٣١٢٩)، والترمذى (١٠٠٢)، والنسائى (٤/١٣ ـ ١٩)، وابن ماجه (١٥٩٣ ـ ١٥٩٤)، وأحمد فى المسند (١/٢٦، ٣٦، ٤١، ٤٥، ٥٠، ٥١، ٥٤) ـ (٢/٦١) ـ (٤/٢٥٤، ٢٥٢، ٢٥٥، ٤٣٧) ـ (٥/١٠) ـ (٦/٢٨١).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرِج بى مررت بقوم لهم أظفار من نُحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»[١].

وفى حديث الإسراء الطويل عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه يرفعه إلى النبى ﷺ قال: «ثم مضيت فإذا أنا بأخونة[٢] عليها لحم مُشَرَّح ليس يقربها أحد، وإذا أنا بأخونة عليها لحم قد أَرْوَحَ ونتن عندها أناس يأكلون منها، قلت: يا جبريل: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام، قال: ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خرَّ يقول: اللهم لا تُقم الساعة، قال وهم على سابلة آل فرعون، قال: فتجىء السابلة[٣]، فتطأهم، قال: فسمعتهم يضجون إلى الله سبحانه. قلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قال: ثم مضيت هنيهة، فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل قال فتفتح أفواههم ويلقمون الجمر ثم يخرج من أسافلهم، فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل، فقلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، قال: ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بنساء يُعَلَّقْن بثديهن فسمعتهن يصحن إلى الله عز وجل، قلت: يا جبريل! من هؤلاء النساء؟ قال هؤلاء الزناة من أمتك قال: ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام تقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له: كُل كما كنت تأكل من لحم أخيك، قلت: يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهَمّازون من أمتك اللمازون»[٤] الحديث.

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود (٤٨٧٨).

(٢) جمع خوان: وهى المائدة.

(٣) أبناء السبيل.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩٦) مطولاً جداً، وابن جرير الطبرى (٥/ ١٠)، =

وفى حديث آخر فى الإسراء عن أبى هريرة يرفعه إلى النبى ﷺ قال: «ثم أتى على قوم تُرْضَخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شىء من ذلك، قال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة، قال: ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع[1] والزقوم ورضف[2] جهنم وحجارتها، قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم من قدر نضيج ولحم آخر خبيث، فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب: فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالاً طيبًا فيأتى المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح، ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شىء إلا قصفته[3] قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف:٨٦]، ثم مَرّ على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها، قال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها، ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قُرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شىء، قال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة، ثم أتى على حجر صغير يخرج

= وابن القيم فى الروح (٨١، ٨٢)، وأشار إليه ابن كثير فى تفسيره (٣/ ١١، ١٢)، ثم قال: إنما ذكرناه لما فيه من الشواهد لغيره، وإسناده ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا؛ لأن مداره على أبى هارون العبد وهو متروك الحديث، وانظر ترجمته فى الكبير (٦/ ٤٩٩)، والميزان (٣/ ١٧٣)، والصغير للبخارى (٢٨٢)، والضعفاء والمتروكين للنسائى (٤٧٦)، والتهذيب (٧/ ٤١٢)، والمجروحين (٢/ ١٧٧) والضعفاء للعقيلى (٣/ ٣١٣).

(١) شجر له شوك.

(٢) حجارة محمية بالنار.

(٣) كسرته وشقته.

منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيزيد عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع»[1] وذكر الحديث.

وبعد الصور التى ذكرناها لعذاب القبر مثل:

١ ـ الكذب.

٢ ـ وأكل الربا.

٣ ـ والزنا.

٤ ـ وأكل مال اليتيم.

٥ ـ والنوم عن الصلاة المكتوبة.

٦ ـ والإفطار فى رمضان بغير عذر.

٧ ـ وهجر القرآن بعد تعلمه.

٨ ـ وأكل لحم الناس والوقوع فى أعراضهم.

٩ ـ والنفاق.

١٠ ـ وقطع الطريق.

١١ ـ والهمازون اللمازون.

---

(١) هذا جزء من حديث طويل جدًا أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٢/٣٩٦ ـ ٤٠٣)، وابن كثير فى تفسيره (٣/١٧ ـ ٢١) وعزاه للطبرى والبيهقى والحاكم، ثم قال ابن كثير بعد أن ساق الحديث: فيه أبو جعفر الرازى قال فيه الحافظ أبو زرعة يتهم فى الحديث كثيرًا، وقد ضعفه غيره ووثقه بعضهم، والظاهر أنه سيئ الحفظ ففيما تفرد به نظر، وهذا الحديث فى بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة وفيه شيء من حديث المنام ـ المتقدم عن سمرة بن جندب ـ فيشبه أن يكون مجموعًا من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء، والله أعلم.

قلت: وفى إسناد هذا الحديث عيسى بن ماهان ـ أبو جعفر الرازى ـ، وهو ضعيف وانظر ترجمته فى الضعفاء الكبير للعقيلى (٣/٣٨٨)، والمجروحين (٢/ ١٢٠)، والميزان (٣/ ٣١٩)، وتهذيب التهذيب (١٢/٥٦)، لكن ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/٦٧ ـ ٧٢) من طريق أبى العالية عن أبى هريرة وقال: رجاله موثقون وعزاه للبزار، وكذا فى كشف الأستار عن زوائد البزار (١/٣٨ ـ ٤٥).

* هناك صور أخرى مثل:

١ ـ عدم الاستبراء من البول.

٢ ـ والنميمة كما مرَّ علينا فى حديث ابن عباس عند البخارى: «أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة».

٣ ـ عدم الاستتار أثناء التبول والتغوط كما ورد فى رواية للحديث السابق: «لا يستتر من بوله».

٤ ـ أذى الناس باللسان كما فى رواية أبى هريرة: «وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه»..

٥ ـ الشرك والكفر قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور:٤٧].

وقد مرت وجوه الدلالة من هذه الآيات فى القصة السابقة.

وعن أم مبشر رضى الله عنها قالت: دخل علىَّ رسول الله ﷺ وأنا فى حائط من الحوائط ببنى النجار فيه قبور منهم قد ماتوا فى الجاهلية فسمعهم وهم يعذبون فخرج وهو يقول: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» قلت: يا رسول الله، إنهم ليعذبون فى قبورهم؟ قال: «نعم عذابًا تسمعه البهائم»[1].

٦ ـ الإعراض عن ذكر الله كما قال النبى ﷺ فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

قال: عذاب القبر[2].

والمعنى واضح فيها لقوله بعدها: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٥]. ويؤكد هذا أن دار الدنيا جنة للكافر ونعمة للفاجر.

---

(١) أخرجه البخارى ـ كتاب الجنائز رقم ١٣٧٥ عن البراء بلفظ آخر.

(٢) أخرجه أحمد وابن حبان.

٧ ـ أخذ الغلول. فعن أبى هريرة فى حديث الرجل الذى غلَّ يوم خيبر قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده إنَّ الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه فى قبره نارًا»[1].

٨ ـ جر الإزار خُيلاء. كما مرَّ علينا فى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «بينما رجل يجر إزاره إذ خُسِف به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»[2].

* وممن يعذب فى قبره:

تارك الصلاة ومانع الزكاة ومفطر رمضان والنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والمحصنة والقائل على الله ورسوله ما لا علم به واللماز واللعان والهماز والمفتى بخلاف ما شرعه الله، والفاحش اللسان البذىء، والمشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه، والذى يحلف بالله كاذبًا والخائض فى أعراض الناس والمجاهر بالمعصية وشارب الخمر والسارق وتارك صلاة الجماعة. والغشاش والمحتكر ومانع فضل الماء والمتبرجة والعاصية لزوجها فى الحق والمتكبر والمغرور والحاقد والحاسد والمرائى والمعجب بعمله والذابح لغير الله والناذر لغير الله وساحر ومصدق الساحر والذى يُقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه والأمير الظالم وآكل أموال الناس ظلمًا والمعتدى على الخلق والمؤذى لهم وآكل مال اليتيم والغال من أموال الدولة والمرتشى والقاضى الذى لا يقضى بالحق والعاق لوالديه وقاطع الرحم وتارك الحج مع القدرة والحاكم بغير ما أنزل الله. والذى لا يرحم المسكين واليتيم ولا الحيوان البهيم.

فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون فى قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغرها وكبرها.

---

(١) أخرجه البخارى (٧/ ٣٧٤، ٣٧٥، ١١/ ٥١٣، ٥١٤)، ومسلم (١١٥).

(٢) أخرجه البخارى كتاب اللباس رقم (٥٧٨٩).

حيات وأفاعٍ ومطارق

ولنذكر الآن مشاهد أخرى من عذاب القبر:

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: (يُرْسَل على الكافر حيَّتان واحدة من قِبَل رأسه والأخرى من قِبَل رجليه يقرصانه قرصًا، كلما فرغتا عادتا إلى يوم القيامة»[١].

وفى حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «يُسَلَّط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينًا[٢] تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة فلو أن تنينًا منها نفخت فى الأرض ما أنبتت خضراً»[٣].

وفى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «يسلط على الكافر تسعة وتسعون تنينًا، أتدرون ما التنين؟ قال: سبعون حية لكل حية سبع رءوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة»[٤].

وفى حديث أنس عن النبى ﷺ فى شأن الكافر والمنافق قال: «ثم يُضرب بمطراق من حديد بين أُذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين»[٥].

وفى رواية لحديث البراء بن عارب المشهور عن النبى ﷺ: «ثم يقيض له أعمى أصم أبكم فى يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابًا»[٦].

وتظل فى هذا العذاب أو النعيم إلى يوم القيامة.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٦/ ١٥٢)، وإسناده حسن كما فى مجمع الزوائد (٣/ ٥٥).

(٢) التنين: الحية العظيمة.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٣/ ٣٨)، وابن حبان (٣١١١)، والديلمى (٩٠٤٠)، وفى مجمع الزوائد (٣/ ٥٥) عزاه لأحمد ولأبى يعلى موقوفًا وفيه دراج وبه كلام وقد وثق.

(٤) هو نفسه الحديث المتقدم تخريجه.

(٥) رواه البخارى فى الجنائز باب الميت يسمع خفق النعال، برقم (١٣٣٨)، وأبو داود (٤٧٥١)، وأحمد (٣/ ١٢٦، ٢٣٤).

(٦) سبق لفظه وتخريجه.

نفخة الصعق

ثمَّ يأمر الحق ـ جل وعلا ـ إسرافيل ـ عليه السلام ـ أن ينفخ فى الصور نفخة الصعق، فيموت الخلائق أجمعون.

قال عز من قائل:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

فإذا نفخ إسرافيل ـ عليه السلام ـ فى الصور أصغى الناس أسماعهم وأعناقهم لصوته.

«وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله[(١)] فيصعق ويصعق الناس»[(٢)] على إثره فلا يبقى مخلوق من الإنس والجن والدواب والطيور والسباع والحشرات والوحوش... وغيرهم إلا صعق، بل يصعق أهل السموات عند هذه النفخة فلا يبقى أحد من المخلوقات إلا فنى.

* * *

(١) يلوط حوض إبله: يطين ويصلح.
(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٠.

المستثنون من الصعق

ويستثنى من الصعق:

حملة العرش والولدان المخلدون والحور العين والشهداء والنار وما فيها والجنة وما فيها.

فإنَّ حملة العرش ليسوا من سكان السموات والأرض لأن العرش فوق السموات كلها، فكيف يكون حملته فى السموات؟

وأما جبريل وميكائيل وملك الموت فمن الصافين المسبحين حول العرش، وإذا كان العرش فوق السموات لم يكن الاصطفاف حوله فى السموات.

ـ وأما الولدان المخلدون والحور العين، فإنهم فى الجنة، والجنات وإن كان بعضها أرفع من بعض فإنَّ جميعها فوق السموات ودون العرش وهى بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شك أنها بمعزل عما خلق الله ـ تعالى ـ للفناء.

فالجنة وما فيها من نعيم وأنهار وعيون وحور وولدان مما يستثنى والنار وما فيها من عذاب وعقاب وسموم وزقوم مما يستثنى فإنها خُلقت للبقاء.

والشهداء لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٩٦].

ويخرج النبى ﷺ من قبره، فيرى موسى الكليم ـ عليه السلام ـ آخذًا بقائمة من قوائم العرش.

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذى اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، قال: تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ؟ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «قال الله ـ عز وجل ـ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ

﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] فأكون أول من رفع رأسه، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى، أو كان ممن استثنى الله، ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب»[١].

إلا أن هذه المخلوقات المستثناة من الصعق ستهلك بعد ذلك تحقيقًا لكمال حياة الله ودوامه وبقائه وفناء ما سواه قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص ٨٨] وهذا يؤكد أن المستثنى من الصعق الشهداء وموسى ـ عليه السلام ـ فإنهم قد هلكوا وماتوا بخلاف الملائكة والجنة والنار وما فيهما فإنهم لم يهلكوا فالله أعلم.

وبعد فناء الخلق أجمعين ينادى الله ـ جل جلاله ويقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟

كما قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه، ثمَّ يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»[٢].

وقال: «يطوى الله السماء يوم القيامة، ثمَّ يأخذهن بيده اليمنى ثمَّ يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون ثمَّ يطوى الأرض بشماله، ثمَّ يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[٣].

ثمَّ ينادى الحق ـ جل وعلا ـ على المخلوقات ويقول ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه أحد، ولا يرد عليه كائن، لقد مات الجميع وفنى الخلق، ولم يبق إلا ذو الجلال والإكرام ـ فيرد ـ سبحانه وتعالى ـ على ذاته العلية ويقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وبعد أربعين سنة ـ على الأظهر ـ أو شهراً أو يومًا يحيى الله الإنس والجن

(١) أخرجه البخارى رقم ١/ ٢٤، ومسلم رقم ٢٣٧٣، وأبو داود رقم ٤٦٧١.
(٢) أخرجه البخارى رقم ٧٣٨٢، ومسلم ٧٢٨٧.
(٣) أخرجه مسلم ٢٧٨٨.

والوحوش والسباع وسائر الدواب عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة: أربعين يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعين سنة، قال: أبيت، قالوا: أربعين شهرًا؟ قال: أبيت، ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب، فيه يُركب الخلق، ثمَّ ينزل الله من السماء ماءً، فينبتون كما ينبت البقل»(١).

وقال تقدست أسماؤه: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال جل ذكره: ﴿وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

وقال العدل ـ جل جلاله ـ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وينزل الله مطرًا كأنه الطل فينبت به أجساد العباد قال النبى ﷺ: «... ينزل الله مطرًا كأنه الطل فينبت الله منه أجساد الناس»(٢) يبعثهم من رقدتهم وينبتون كما ينبت البقل.

عن أبى رزين العقيلى قال: قلت: يا رسول الله، كيف يعيد الله الخلق؟ وما آية ذلك فى خلقه؟ قال: «أما مررت بوادى قومك جدبًا ثمَّ مررت به يهتز خضرًا؟ قال: نعم، قال فتلك آية الله فى خلقه»(٣).

(١) أخرجه البخارى رقم ٤٨١٤، ومسلم رقم ٢٩٥٥.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٠.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١١)، وأبو داود الطيالسى رقم ١٠٨٩.

ويأمر الجبار إسرافيل أن ينفخ فى الصور نفخة البعث.

قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق:٤١].

وينادى إسرافيل فى الصور، وهو فى فيه قد التقمهُ، وإسرافيل يقول فى ندائه: أيتها العظام البالية، واللحوم المتَقَطِّعة، والأشعار المتبدِّدة، والعروق المتمزقة لِتَقمن إلى العرض على الملك الديان. ليجاريكن بأعمالكن، فإذا نادى إسرافيل ـ عليه السلام ـ فى الصور خرجت الأرواح من أثقاب الصور فتنتشر بين السماء والأرض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره، فأرواح المؤمنين تخرج من أثقابها منيرة بنور الإيمان.. وأرواح الكفار تخرج مُظلمة بظلمات الكفر، وإسرافيل يديم الصوت، والأرواح قد انتشرت بين السماء والأرض، ثمَّ تدخل الأرواح فى الأرض فى الأجساد، فيدخل كل روح إلى جسده الذى فارقه فى الدنيا فتدبُّ الأرواح فى الأجساد كما ينبت الزرع، حتى ترجع إلى أجسادها كما كانت فى دار الدنيا، ثمَّ تنشق الأرض من قبل رءوسهم، فإذا هم قيام على أقدامهم ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، وإسرافيل ـ عليه السلام ـ ينادى بهذا النداء لا يقطع الصوت ويمده مدًا، والخلائق يتبعون صوته.

ونار تخرج من قعر عدن باليمن تسوق الناس إلى أرض المحشر بفلسطين ببلاد الشام تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا.

ويحشر المجرمون زرق الوجوه.

فإذا صيح بأهل القبور للخروج ينظرون ماذا يُراد بهم لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨] وعندئذ يقولون: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ كانوا يتمنون دوام الحال الذى هم فيه مع شدة ما يقاسون لأنهم يعلمون أنَّ ما بعد ما هم فيه أشد وأبقى.

ومصداق هذا قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ

ربِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا من مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إن كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥١ ـ ٥٣].

وبمجرد الخروج من القبور يعاتب الكفار بعضهم بعضًا ويفكرون فى الدار الدنيا كم كانت مدتها؟ ويندمون غاية الندم ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الصافات: ٢٠] فتقول لهم الملائكة والمؤمنون على سبيل التوبيخ ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ٢١].

وقال ـ جل ثناؤه ـ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٢ ـ ١٠٤].

فيوقنون أنهم ما لبثوا فى الدار الدنيا إلا مدة قصيرة.

يقول الحق العدل ـ سبحانه ـ: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٤].

أعداد كبيرة من الخلق كأنهم الجراد المنتشر ويخرجون من القبور مسرعين.

وفى هذا يقول أحكم الحاكمين ـ سبحانه ـ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ(١) كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦ ـ ٨].

وهذا الصوت يصدر من مكان قريب كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤١ ـ ٤٤].

---

(١) أى القبور.

وأول من يبعث من قبره النبى محمد ﷺ.

قال رسول الله ﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأول شافع وأول مشفع»[١].

وينادئ المنادى سائر المبعوثين من قبورهم (يا أيها الناس هلموا إلى ربكم)[٢] فينطلقون للوقوف على أرض الحساب.

* * *

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٢٧٨، كتاب الفضائل.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٤٠.

أحوال الكون قبل الذهاب إلى أرض المحكمة

فإذا بهم وهم خارجون من القبور للحشر والنشور والعرض على العزيز الغفور، يفزعهم تغير أحوال الكون، وتبدّل أنظمته، واضطراب أجزائه، وتفكك أعضائه، واندثار معالمه، كما هو واضح فى سور الواقعة والقيامة والتكوير والانفطار والانشقاق والنبأ والمرسلات وهود قال ﷺ (من سره أن ينظر إلى القيامة كأنه رأى عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾»[١].

وقال ﷺ: (شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾)[٢].

فماذا يحدث؟

يُخْسَف القمر ويذهب ضوؤه، وتظلم الشمس وتذهب، ويجمع الله بين الشمس والقمر والنجوم ثمَّ يلفها ويرميها.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ٧ - ١٠] ويقول جل وعلا ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير ١، ٢].

وقال ﷺ : «الشمس والقمر مكوّران يوم القيامة»[٣].

والسماء تنشق لنزول الملائكة، ويتغير لونها من الأزرق إلى الأحمر فتصير كالفرس الورد وتذوب كما يذوب الدُّرْدِى[٤]، والفضة، ويطويها الحق - جل

---

(١) أخرجه الترمذى فى التفسير رقم ٣٣٣٣.

(٢) حسن أخرجه الترمذى رقم ٣٢٩٧.

(٣) أخرجه البخارى رقم ٣٢٠٠ كتاب بدء الخلق.

(٤) الدُّرْدِى: ما يركد فى أسفل كل مائع كالشراب والأدهان.

وعلا ـ طيًا بما فيها من مخلوقات كطى السجل للكتب.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، وقال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وتُفَتَّح السماء فتصير طرقًا ومسالك لنزول الملائكة قال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩].

والنجوم يذهب ضوؤها.

كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨].

وقال: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢].

وقال: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

فتتساقط النجوم نجمًا نجمًا فى البحار.

سبحان الله بلايين النجوم تزول ويذهب ضوؤها ولا يبقى نجم إلا ذهب ضياؤه.

وتدك الأرض والجبال دكة واحدة، فتدخل الأرض فى الجبال وتدخل الجبال فى الأرض، فتصبح الجبال رملاً سائلاً وتستوى بالأرض.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

وقال: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وترجف الأرض رجفة وتزلزل زلزلة فتكون كالسفينة فى البحر تضربها الأمواج فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل ما فى بطونها

وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٣].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٦ ـ ٨].

وقال ـ جل اسمه ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

وتُبدَّل الأرض غير الأرض وتمد مد الأديم(١).

كما قال: ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣] أى بسطت وفرشت ووسعت.

والجبال تذهب كلها وتستوى بالأرض وتصير كالصوف المفتت.

وهى فى حالة رجفة وزلزلة واهتزاز.

يقول الكبير المتعال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧].

وقال ـ جل اسمه ـ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤] أى رملاً سائلاً.

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

ومع هذا يُخيَّل للناظر أنها شيء وليست بشيء قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠].

والنوق الحبالى فى شهرها العاشر أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم أهملها أهلها وعطلوها عن الولادة ولم يلتفتوا إليها لانشغالهم بأنفسهم لما جاءهم من أهوال يوم القيامة كما قال: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨]. وفى هذا يقول الحكم العدل: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤].

---

(١) أى الجلد والفرش والمقصود: اتساعها.

والوحوش والسباع والدواب تحشر من أماكنها وكذا الطيور ومصداق هذا قوله ـ سبحانه ـ : ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] وقال: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

والبحار تُفجَّر وتصير نيرانًا قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وصدق من قال:

مَثِّل لنفسك أيها المغرور	يوم القيامة والسماء تمورُ
إذا كورت شمس النهار وأدنيت	حتى على رأس العباد تسيرُ
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت	وتبدلت بعد الضياء كُدورُ[1]
وإذا البحار تفجرت من خوفها	ورأيتها مثل الجحيم تفورُ
وإذا الجبال تقلعت بأصولها	فرأيتها مثل السحاب تسيرُ
وإذا العشار تعطلت وتخربتْ	خلت الديار فما بها معمورُ
وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت	وتقول للأملاك أين نسيرُ
وإذا تقاة المسلمين تزوَّجت	من حور عين زانهنَّ شعورُ
وإذا الموؤدة سُئلت عن شأنها	وبأى ذنب قتلها ميسورُ
وإذا الجليل طوى أسماء بيمينه	طى السجل كتابه المنشورُ
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت	تُبدى لنا يوم القصاص أمورُ
وإذا الصحائف نُشرت فتطايرت	وتهتكتْ للمؤمنين سُتورُ
وإذا السماء تكشطت عن أهلها	ورأيت أفلاك السماء تدورُ
وإذا الجحيم تسعَّرت نيرانها	فلها على أهل الذنوب زفيرُ
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت	لفتًى على طول البلاء صبورُ

(١) كدور: جمع كدرة أى غير صافية.

وإذا الجنين بأمه متعلق يخشى القصاص وقلبه مذعورُ
هذا بلا ذنب يخاف جناية كيف المصرُّ على الذنوب دهورُ

فإذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يحار بصره وينظر من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر له بصر على شيء من شدة الفزع والرعب ولا يستطيع أن يرد طرفه إليه فقد شخص بصره فلا يطرف أبدًا، ورفع رأسه فلا يخفضها وطار قلبه من الوجل والخوف فصار هواءً خاليًا خاويًا قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٣] ويقول: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة:٧] عندئذ يقول أين المفر أى هل من ملجأ أو موئل فيرد عليه ربه: ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة:١١، ١٢] أى ليس لك مكان تعتصم به من هذا الرعب والفزع وحينئذ قد جئت من قبرك على عملك الذى مت عليه صورتك صورته وهيئتك هيئته.

وتخرج من قبرك ونورك يسعى بين يديك وبيمينك إن كانت من الصالحين، وإن كنت من الطالحين خرجت تحيط بك ظلمات بعضها فوق بعض.

ومعك أيضًا:

- سائق يسوقك إلى أرض المحشر.
- شهيد يشهد عليك.
- قرينك من الملائكة.
- قرينك من الجن.
- أما الكافر فله قرين خاص.
- وتحشر مع من تحب فترى نفسك مع الأنبياء والأولياء والشهداء أو ترى نفسك مع الأشقياء والظالمين والفجار.
- وتُبعث حافيًا عريانًا جائعًا عطشان.

وتحشر راكبًا إن كنت من الصالحين، أو ماشيًا على رجليك إن كنت من المقتصدين أو ماشيًا على وجهك إن كنت من الفاجرين فكل عبد يخرج من قبره على هيئته التى مات عليها من الأعمال الصالحة أو الطالحة، ويذهبون إلى أرض المحكمة.

قال رسول الله ﷺ: (يبعث كل عبد على ما مات عليه)[1].

وقال ـ أيضًا ـ: (إذا أنزل الله بقوم عذابًا أصاب العذاب مَنْ فيهم ثمَّ بُعِثُوا على أعمالهم)[2].

فانظر أى صورة تحب أن تخرج عليها من قبرك ويراك سائر الخلق بها فالمصلى يُبعث منيرًا مشرقًا مسرورًا والمزكى يبعث معه زكاته وصدقته تدفعان عنه العذاب، والتقى يبعث سعيدًا فرحًا مشرقًا بهيًا.

● والدا حامل القرآن:

ووالدا حامل القرآن اللذان علما ولدهما القرآن يكسبان يوم القيامة تاج الوقار الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها.

قال النبى ﷺ: (يُكسى والدا حامل القرآن تاج الوقار يوم القيامة الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها)[3].

هذا حال والد حامل القرآن ووالدته اللذين دلاَّه على طريق القرآن الكريم وساعداه على ذلك، فكيف حال حامل القرآن العامل به العالم بأحكامه المتدبر لكلامه.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنة رقم ٢٨٧٨ عن جابر.

(٢) أخرجه البخارى كتاب الفتن ح (٧١٠٨)، ومسلم كتاب الجنة ح (٢٨٧٩)،

(٣) أخرجه الترمذى وحسنه.

• حامل القرآن العامل به:

أما حامل القرآن فإنه بمجرد خروجه من قبره يلقاه القرآن فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول له: ما أعرفك؟ فيقول القرآن: أنا الذى أظمأتك فى الهواجر[١] وأسهرت ليلك، وإنَّ كل تاجر من وراء تجارته فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ثمَّ تظله سورة البقرة وآل عمران إلى أن يدخل الجنة.

قال سيد الأولين والآخرين ﷺ: «تعلموا سورة البقرة فإنَّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطلة[٢]، ثمَّ سكت ساعة، ثمَّ قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان[٣] أو فرقان من طير صواف، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب[٤]، فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول له: ما أعرفك فيقول القرآن: أنا الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك، وإنَّ كل تاجر من وراء تجارته فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثمَّ يقال له: اقرأ واصعد فى دَرج الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هَذًا كان أو ترتيلاً»[٥].

---

(١) الهواجر: جمع هاجرة والهاجرة نصف النهار عند اشتداد الحر أى جعلت تصوم فى أيام الحر الشديد.

(٢) البَطَلَة: السحرة.

(٣) الغيابة: ما أظل الإنسان فوقه.

(٤) أى متغير اللون.

(٥) حسن أخرجه أحمد قال الهيثمى (٧/ ١٥٩)، رواه أحمد ورجاله ثقات.

• المحرم بالحج أو العمرة:

فإن مت محرمًا بحج أو عمرة خرجت من قبرك تقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك. . .

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلاً كان مع رسول الله ﷺ محرمًا فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله ﷺ «اغسلوه بماء سدر، وكفّنوه فى ثوبه، ولا تُمسُّوهُ بطيب، ولا تخمروا[١] رأسه، فإنه يبعثُ يوم القيامة مُلبيًا»[٢].

• الشهيد:

وإن مت شهيدًا خرجت من قبرك وجرحك يسيل دمًا، ورائحة المسك تفوح من جسدك.

قال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده لا يُكْلَم أحد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمَنْ يُكْلَم[٣] فى سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب[٤] دمًا، اللون لون الدم، والعرف عَرف المسك»[٥].

ومن قُتِل صابرًا محتسبًا بعثه الله صابرًا محتسبًا.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال: يا رسول الله، أخبرنى عن الجهاد والغزو، قال: «يا عبد الله إن قُتلت صابرًا محتسبًا بُعثت صابرًا محتسبًا»[٦].

---

(١) أى: لا تغطوا رأسه.

(٢) أخرجه البخارى.

(٣) يُكْلم: يجرح.

(٤) يثعب: يسيل.

(٥) البخارى كتاب الجنائز رقم ١٢٦٥، ١٢٦٨، ومسلم كتاب الحج رقم ١٢٠٦.

(٦) أخرجه البخارى رقم ٢٨٠٣، مسلم رقم ١٨٧٦.

• المحافظ على الوضوء:

وإن كنت ممَّن يحسن الوضوء ويسبغه على المكاره، ويؤدى أركانه وسننه يكون لك نور يومئذ على جبهتك ويديك ورجليك ويعرف النبى ﷺ أمته بهذه العلامة التى ليست لغيرهم من الأمم.

قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علىَّ غُرًّا مُحجلين من أثر الوضوء»(١).

وقال ﷺ: «إنَّ أمتى يدعون يوم القيامة غراً(٢) مُحجلين(٣) من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»(٤).

• الشيخ الصالح:

وإن كنت شيخًا صالحًا شبت فى طاعة الله ومرضاته تلقى ربك يومئذ وشيبتك نورٌ يضىء لك ويسعى بين يديك ويمينك.

قال النبى ﷺ: (من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة)(٥).

• المحافظ على صلاة الفجر وصلاة العشاء:

وبشراك يا من تحافظ على صلاة الفجر وصلاة العشاء فى بيوت الله بالنور التام يسعى بين يديك ويمينك.

قال المعصوم ﷺ: «بشر المشائين فى الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٤٩.
(٢) الغرة: المقصود بها بياض الوجه.
(٣) محجلين: التحجيل هو بياض فى أيدى وأرجل الخيل، والمقصود غسل ما فوق المرفقين والكعبين.
(٤) متفق عليه أخرجه البخارى.
(٥) صحيح أخرجه النسائى.
(٦) صحيح أخرجه ابن ماجه، وابن خزيمة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

وإن كنت ممَّن يذهب إلى صلاة قيام الليل فى المسجد لقيت الله بنور قال ﷺ: «من مشى فى ظلمة الليل إلى المساجد لقى الله ـ عز وجل ـ بنور يوم القيامة»[١].

● **العادلون فى أهليهم وما ولوا:**

وإن كنت حاكمًا عادلاً وواليًا مقسطًا وأميرًا غير ظالم لرعيتك وأهلك وأولادك، جلست يوم القيامة على منابر من نور، مُظلاً بظل الرحمن محفوفًا بأولياء المنان تتلقاك الملائكة بالروح والريحان، قال رسول الله ـ ﷺ: «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى أهليهم وأموالهم وما ولوا»[٢].

وذلك لأنهم لم يغتروا بالسلطان والكراسى والمناصب فى الحياة الدنيا فعوضوا سلطانًا أعلى قدرًا فى الآخرة أمام العالمين.

● **المعرض عن شرع الله:**

وإن عشت فى هذه الحياة غافلاً عما خلقت له، مُعْرضًا عن دين ربك لا تتعلمه ولا تعمل به لقيت ربك أعمى قال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٧].

---

(١) صحيح أخرجه ابن حبان، والطبرانى بإسناد حسن، والترغيب ١/ ٢٠٧، وانظر صحيح الترغيب رقم ٤١٩.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة رقم ١٨٢٧.

● **الأمير الظالم:**

وإن كنت أميرًا ولم تعدل بُعثت مغلولاً بالسلاسل إلى عنقك وتحيط بك وتطوقك سبع أرضين.

قال سيد الكونين ﷺ: «ما من أمير يلى أمر عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلولاً إلى عنقه لا يفكه إلا العدل»[1].

وقال: «ما من رجل يلى أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله به مغلولاً يوم القيامة يده إلى عنقه فكَّهُ برُّه، أو أوثقهُ إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزى يوم القيامة»[2].

● **آكل الربا:**

وإن مت مُصرًا على أكل الربا بعثت كالمصروع الذى لبسه جان، تختنق خنقًا وتصرع صرعًا.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ١٧٨، ٢٧٩].

● **مضيع الصلاة:**

ومن شغلته إمارته عن الصلاة حُشِر مع فرعون.

ومن شغلته أمواله عن الصلاة حُشِر مع قارون.

ومن شغلته وزارتهُ عن الصلاة حُشِر مع هامان.

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٢/ ٤٣١) قال المنذرى (٣/ ١٨٩) رواه أحمد بإسناد جيد، رجاله رجال الصحيح.

(٢) حسن أخرجه أحمد ورواته ثقات إلا يزيد بن أبى مالك، وانظر صحيح الجامع (١٤٢٠).

ومن شغلته تجارتهُ عن الصلاة حُشر مع أبى بن خلف.

قال رسول الله ﷺ: «من حافظ على الصلاة كانت له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة وحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبى بن خلف»[1].

* أما مضيع صلاة الفجر والمتكاسل عن الصلوات الخمس فإنه يخرج من قبره وملك قائم على رأسه بصخرة يحطم رأسه كلما تحطمت عادت.

• مانع الزكاة:

وإن مت على منع الزكاة قابلت كنزك يوم القيامة متحولاً إلى ثعبان أقرع يجرى وراءك فاتحًا فاه، فتهرب منه وهو يصرخ بصوت مرعب فظيع فتضطر أن تسلم نفسك إليه. قال النبى ﷺ: «... ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع، يتبعه فاتحًا فاه، فإذا أتاه فرَّ منه، فيناديه خذ كنزك الذى خبأته، فأنا عنه غنى، فإن رأى أنه لا بد منه، سلك[2] يده فى فيه فيقضمها قضم الفحل[3] ...»[4].

ثمَّ بعد هذا تحول أمواله إلى صفائح من نار يُضرب بها وجهه خمسين ألف سنة.

قال المصطفى ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار، فأحمى عليها فى نار جهنم، فيُكْوَى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين العباد فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى

(١) حسن أخرجه أحمد بإسناد جيد، والطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان، الترغيب (١/ ٢٦٥).
(٢) سلك: أدخل.
(٣) يقضمها: يأكلها.
(٤) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (٧/ ٨٨) رقم ٩٨٨.

النار، قيل: يا رسول الله، فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر، أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلاً واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إمَّا إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بُطِح له بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئًا ليس فيها عَقصاء[١] ولا جلحاء[٢] ولا عَضْباء[٣] تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مُرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه بأخراها. فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقْضَى بين العباد. فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله، فالخيل؟ قال: الخيل ثلاثة: هى لرجل وِزر، وهى لرجل سِتر، وهى لرجل أَجْر. فأما التى هى له وزر، فرجل ربطها رياءً وفخرًا ونواءً[٤] على أهل الإسلام فهى له وزر، وأما التى هى له ستر، فرجل ربطها فى سبيل الله لأهل الإسلام، فى مَرْج وروضة. فما أكلت من ذلك المرْج أو الروضة من شىء، إلا كُتِب له ـ عدد ما أكلت ـ حَسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات، ولا تقطع طولها فاستنَّت[٥] شَرَفًا أو شَرَفين[٦] إلا كتب الله له، عدد آثارها، وأرواثها حسنات، ولا مرَّ بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها، إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات، قيل: يا رسول الله فالحُمُر؟ قال: ما أُنزِل علىَّ فى الحُمُر شىء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

(١) العقصاء: ملتوية القرن.

(٢) الجلحاء: التى لا قرن لها.

(٣) العضباء: التى انكسر قرنها الداخل.

(٤) نواء: مناوأة وعداوة.

(٥) استنت: جرت.

(٦) أى طلقًا أو طلقين.

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]﴾[١].

ومن ماتت تمنع ولدها ثدييها خرجت من قبرها تنهش ثدييها الحيات ومَن مات متهاونًا بالصيام بُعث معلقًا بعرقوبه يسيل شدقهُ دمًا ومن مات زانيًا بعث أشد شيء انتفاخًا وأنتنه ريحًا ومن مات سارقًا خرج من قبره سارقًا بيده ما سرقه ولنقرأ صورة هؤلاء حين البعث من القبور:

عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم أتانى رجلان فأخذا بضبعى، فأتيا بى جبلاً وعرًا، فقالا: اصعد، فقلت: إنى لا أطيقه، فقالا إنا سَنسهله عليك، فصعدت حتى إذا كنت فى سواء[٢] الجبل فإذا أنا بأصوات شديدة، فقلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار. ثمَّ انطلق بى، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، قال: قلت: من هؤلاء؟ قيل: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم، فقال: خابت اليهود والنصارى... ثمَّ انطلق بى فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، وأسوأه منظرًا، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء قتلى الكفار، ثمَّ انطلق بى ـ فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخًا وأنتنه ريحًا كأن ريحهم المراحيض. قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون، ثمَّ انطلق بى فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات قلت: ما بال هؤلاء؟ قيل هؤلاء يمنعن أولادهن ألبانهن»[٣].

• السائل مع الغني:

ومن كان متسولاً يأخذ أموال الناس وعنده ما يكفيه يلقى ربه والمسألة جروح وخدوش فى وجهه جزاء غشه للناس قال سيد الناس ﷺ: «من سأل وهو غنى عن المسألة يحشر يوم القيامة وهى خموش[٤] فى وجهه»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الزكاة رقم ٩٨٧ (٧/ ٨٥، ٨٦).

(٢) سواء: وسط.

(٣) أخرجه ابن حبان رقم ١/ ٧٤، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) الخموش: الجروح والخدوش.

(٥) أخرجه الطبراني فى الأوسط، قال المنذرى فى الترغيب ٢/ ٣٣ بإسناد لا بأس به.

وقال: «من سأل مسألة وهو عنها غنى كانت شينًا فى وجهه يوم القيامة»[١].

● **النائحة:**

وإن كنت يا أختى ممن لم تصبرن عند المصائب فدعوت بدعوى الجاهلية خرجتِ من قبرك شعثاء غبراء مسودة الوجه زرقاء العينين.

قال النبى ﷺ: «تخرج النائحة من قبرها شعثاء غبراء مسودة الوجه زرقاء العينين ثائرة الشعر كالحة الوجه وعليها جلباب من لعنة الله ودرع من غضب الله إحدى يديها مغلولة إلى عنقها، والأخرى قد وَضَعَتْها على رأسها، وهى تنادى يا ويلاه ويا ثبوراه ويا حزناه، وملك وراءها يقول: آمين آمين، ثمَّ يكون من بعد ذلك حظها من النار»[٢].

● **السكران وشارب الخمر:**

أما شارب الخمر والسكران فيلقى الله عطشانًا.

قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر أتى عطشان يوم القيامة ألا فكل مسكر خمر وكل خمر حرام. . .»[٣].

● **الذى لا يعدل بين زوجتيه:**

وإن تزوجت بامرأتين فلم تعدل بينهما بُعثت وشقك ساقط لأنك أعطيت امرأة حقها وظلمت الأخرى.

قال سيد الخلق ﷺ: «من كانت له زوجتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط»[٤].

---

(١) قال فى الترغيب (٢/ ٣٢) رواه أحمد والبزار والطبرانى ورواه أحمد محتجًا بهم فى الصحيح.

(٢) مسلم بمعناه فى كتاب الجنائز رقم ٩٤٣، وابن ماجه كتاب الجنائز رقم ١٥٨٢.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٢) وفى إسناده مجهول.

(٤) أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

• **المتكبرون:**

وإن كنت متكبرًا تحشر أقل من النملة قال النبي ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بُولس تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»[١].

• **الغال:**

ومن غل من أموال الدولة أو الشركة ولو إبرة جاء بها يحملها قال الله ـ جل وعلا ـ: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٦١] ولو غل متاعًا أو ذهبًا أو فضة أو غيره جاء يحمله ويستغيث.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول وعظم أمره ثمَّ قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء[٢] يقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[٣] يقول يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع[٤] تخفق[٥] فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت[٦] فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك»[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٢١)، وأحمد (٢/ ١٧٩) بإسناد حسن.

(٢) الرغاء: هو صوت الإبل وذوات الخف.

(٣) الحَمْحَمة: هو صوت الفرس.

(٤) الرقاع: جمع رقعة، وهو ما تكتب فيه الحقوق.

(٥) أي تتحرك وتضطرب.

(٦) عملة من العملات كالدرهم والدينار والجنيه والريال.

(٧) أخرجه البخاري رقم ٦١٧٧، ومسلم رقم ١٧٣٥ .

• الظالم:

وإن كنت ظالمًا خرجت من قبرك مطوقًا بسبع أرضين محيطة بك تحطم عظامك وتكسر أعضاءك.

قال سيد العالمين ﷺ: «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين يوم القيامة»[1].

• صاحب الدين:

وإن كنت مدينًا وعزمت على عدم سداد الدين أو لم توص بسداده وقد تركت له وفاءً أو قدرت على الأداء فلم توف لقيت الله سارقًا، وإن عزمت على منع زوجك مهرها لقيت الله زانيًا.

قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها لقى الله يوم القيامة وهو زان وأيما رجل استدان دينًا لا يريد أن يؤدى إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤد إليه دينه لقى الله وهو سارق»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «أيما رجل تديَّن دينًا، وهو مُجْمِع أن لا يوفيه إياه إلا لقى الله سارقًا»[3].

* وصاحب الغناء والمزمار يخرج متعلقًا به يغنى ويزمر ويرقص.

* وصاحب اللعب المشغوف به يخرج من قبره يلهو ويلعب.

---

(١) أخرجه البخارى.

(٢) قال المنذرى (٣/ ٣٥) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ورواته ثقات.

(٣) حسن صحيح أخرجه ابن ماجه والبيهقى، وقال المنذرى: إسناده متصل لا بأس به، والحديث فى صحيح ابن ماجه رقم ١٩٥٤.

القرين

ويخرج الكافر من قبره معه قرينه الذى وكل به ليزين له الكفر لما زاغ وتغافل عن الهدى يلعن بعضهما بعضًا ويتبرأ كل منهما من صاحبه.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٩].

قال سعيد الجريرى: بلغنا أن الكافر إذا بُعِثَ من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تبارك وتعالى إلى النار فذلك حين يقول: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[1].

وقد خرج يمشى على وجهه كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

والسائق يسوقه بشدة وانتهار قائلاً: تقدم يا عدو الله.

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير عند هذه الآية.

السائق والشهيد

وتجيء يوم القيامة ومعك أيضًا سائق يسوقك إلى أرض المحشر، وشهيد يشهد عليك بما عملت فى الحياة الدنيا.

قال عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ فى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩] وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:٢١] قال: سائق يسوقها إلى أمر الله وشاهد يشهد عليها بما عملت(١).

فالناس ينقسمون فى السياقة إلى قسمين: فإن كنت من الصالحين تسوقك الملائكة ببر وإكرام، ورقة وإجلال، وتؤمِّنك وتهدئ روعتك. كلما نظرت إلى من يعذب أو ينكل قال لك الملك: يا عبد الله ما أنت مثل هذا، هذا عصى الله وأنت أطعته.

وإن كنت من الطالحين ساقك الملك بالانتهار والسطوة والإغلاظ، يسوقك سائقك وهو يروعك ويقول لك: يا عدو الله هذا الحساب سوف تدرى، وكلما نظرت إلى مَن يُعذَّب أو يُنكَّل قال لك السائق من الملائكة الساعة تكون أنت مثل هذا، هذا عصى الله وأنت عصيته، أما علمت يا عدو الله أنَّ الحساب والحشر أمامك، وأنت محشور مع أقرانك وأشباهك، فأصحاب الزنا يجيئون مع أصحاب الزنا وأصحاب الربا يجيئون مع أصحاب الربا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر... وهكذا قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٢٢].

وأنت خارج من قبرك معك نورك وعملك وأقرانك وقرينك وسائقك والشهيد الذى يشهد عليك...

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى زوائد الزهد (٣٦٥).

أو عكس ذلك بعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك فى زحمة الخلائق.

وإذا بك تتأمل فتبصر الوحوش أقبلت من البرارى وذُرَى الجبال منكسة رؤوسها لذل يوم القيامة بعد توحّشها وانفرادها من الخلائق ذليلة ليوم النشور لغير بلية نابتها ولا خطية أصابتها، فتخيل إقبالها بذلها فى اليوم العظيم ليوم العرض والنشور، وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والانكسار للملك الجبار.

وقد كنت تخاف من الأسود خوفًا رهيبًا فإذا أمامك أكثر من ألف ألف أسد، وترهب من نمر واحد، وعن يمينك وشمالك ما يزيد على ألف ألف نمر، ويرعبك سبع واحد فكيف بك عندما تجد خلفك ملايين السباع وترى الإبل والبقر والغنم قد جاء الله بها من مراعيها ومواضع موتها.

وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعة لذل العرض على الله ـ سبحانه ـ فسبحان الذى جمعهم بعد طول البلاء واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوحش بعضهم من بعض قد أذلهم البعث وجمع بينهم النشور[1].

وإن كنت تقيًا جزت هذه الأهوال العظام فى دقائق معدودة ولم يؤذك الفزع الأكبر كما قال ربك: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

لأن اليوم يوم فرحك وسرورك وفوزك.

فلا حزن ولا خوف ولا قلق ولا أرق ولا عرق ولا نصب وأنَّى[2] لك النصب والتعب والقلق.

وأنت قد خرجت من قبرك تركب على نجيبة مريحة مسرعة وكأنك فى رحلة

(١) التوهم للمحاسبى ص٥، ٦ بتصرف.

(٢) أى ومن أين.

فى روضات الجنان، هذه النجيبة التى تركبها ناقة من فوق الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثلها، رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد، تقعد عليها حتى تقرع باب الجنة، والملائكة تتلقاك بالبشارات.

قال الرحمن الرحيم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

وينطلق عبد الله المؤمن إلى أرض المحشر راكبًا والأنوار تسعى بين يديه يقول - جل وعلا - ﴿يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

حتى إذا وصلت إلى أرض المحشر فاجأك هذا الحدث الجلل: تدنو الشمس من الرءوس، وتكسى حر عشر سنين.

قال رسول الله ﷺ: (تُدْنَى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل...

فتكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم مَنْ يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم مَن يكون إلى حقويه، ومنهم مَن يُلجمه العرق إلجامًا)[1].

ويصيب المؤمن من هذا العرق مثل الزكام، والكافر يتغشاه الموت منه[2].

وقال - عليه صلوات الله وسلامه -: «تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه، ومنهم من يبلغ نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ إلى العَجُز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم مَن يبلغ عنقه، ومنهم مَن يبلغ وسطه - وأشار بيده - ألجمها فاه... ومنهم من يغطيه عرقه»[3].

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٨٦٤.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٧٨) قال الأرنؤوط: رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه ابن حبان رقم ٧٣٢٩، وصححه الشيخ الأرنؤوط، والحاكم وصححه.

وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: «الأرض كلها نار يوم القيامة، والجنة من ورائها كواعبها وأترابها، والذى نفس عبد الله بيده إنَّ الرجل ليفيض عرقًا حتى يَسبح فى الأرض قامته، ثمَّ يرتفع حتى يبلغ أنفه، وما مسه الحساب، قالوا: ممَّ ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: مما يرى الناس يلقون»[1].

وقال سلمان ـ رضى الله عنه ـ: تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رءوسهم قاب قوسين فتُعْطى حر عشر سنين، وليس على أحد يومئذ طحرية (أى خرقة). ولا يرى فيها يومئذ عورة مؤمن ولا مؤمنة لا يضر حرها يومئذ مؤمنًا ولا مؤمنة، أما الآخرون ـ أو قال الكفار ـ فتطبخهم طبخًا، فإنما تقول أجوافهم: غق غق»[2] فتضطرب وتصوِّت.

ومع دنو الشمس من الرءوس بحيث لو أن أحدهم رفع يديه لأمسك بها، يقوم الناس يومها لله رب العالمين خمسين ألف سنة فى هذا العرق والحر الفظيع.

يقول النبى ﷺ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] قال: يوم يقوم أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه»[3] يلجمه العرق إلجامًا لا يستطيع أن يفتح فاه من كثرة العرق.

وزيادة على هذا فإن الفجار والكفار يختلطون ويتلاصقون ويتزاحمون ويتشابكون حتى يعلو القدم ألف قدم.

عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «كيف بكم إذا جمعكم الله ـ عز وجل ـ كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم»[4].

---

(١) قال المنذرى (٤/ ٢٩٥) رواه الطبرانى موقوفًا بإسناد جيد.

(٢) أخرجه ابن المبارك فى زوائد الزهد رقم ٦٥٣٢.

(٣) أخرجه البخارى رقم ٦٥٣١.

(٤) أخرجه الطبرانى كما فى المجمع (٧/ ١٣٥) والحاكم (٤/ ٥٧٢) وصححه ووافقه الذهبى وقال الهيثمى: رجاله ثقات.

يحشر الناس حفاة بلا أحذية وعراة بلا ثياب كما خرجوا من بطون أمهاتهم غير مختونين وسبحان الله الملك القدير.

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: يا أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً[1] ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤][2].

وقال رسول الله ﷺ: «يُحشر الناس حفاة عراة غرلاً»، قالت عائشة: يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»[3].

وقال عبد الله بن مسعود: (يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله سقاه ومن كسى لله كساه، ومن عمل لله كفاه، ومَن نصر الله أراحه الله فى ذلك اليوم)[4].

والكافر والفاجر يلجمه العرق ثمَّ تقع الغبرة على وجهه فيسود وجهه، والمؤمن يُظل بظل الرحمن ثمَّ يقع النور على وجهه فيستنير فيضحك ويستبشر قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢] ويقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٥].

فكيف بك أيها الضعيف وكل واحد يقوم عرقه معه فمنهم من يصل العرق إلى قدميه، ومنهم من يبلغ العرق ساقيه، ومنهم من يبلغ العرق سرته، ومنهم

---

(١) غرلاً: غير مختونين.

(٢) أخرجه البخارى رقم ٦٥٢٦، ومسلم رقم ٢٨٦٠.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٨٥٩ كتاب الجنة.

(٤) التذكرة ص١٩٣.

من يبلغ العرق صدره، ومنهم من يبلغ أنصاف أذنيه، ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا ومنهم من يظل فى ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله... والعمل هو المفرق بينهم فى الرحمة والعذاب والظل والعرق والنور والظلام ولا يبعدن عليك هذا يرحمك الله أن يكون الناس كلهم فى صعيد واحد وموقف سواء يظل أحدهم، وتحرق الشمس رأس الآخر، ويسعى النور بين يدى بعضهم، بينما البعض فى ظلام دامس وإنسان مسرور وآخر حزين مهموم.

ورجل راكب النجائب السريعة المريحة.

وآخر يمشى على وجهه أو على قدميه.

ورجل يمر عليه يوم القيامة خمسون ألف سنة وهو المنافق والفاجر والكافر، ورجل يمر عليه يوم القيامة فى ساعة أو نصف ساعة وهو المؤمن.

فذلك كله بتفاضل الأعمال ومدى القرب من الكبير المتعال.

* * *

من يظل بظل الله

وأنت تنظر فترى من يظل فى ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله فلا تضرهم شمس ولا يؤذيهم عرق ولا نصب.

منهم: الحاكم العادل، والشاب الناشئ فى عبادة الله المستقيم على طاعة الله وصاحب القلب المتعلق بالمسجد، والرجلان المتحابان فى الله، والرجل العفيف الذى يُدعى إلى الفاحِشَة فيأبى خوفًا من الله، والرجل المتصدق بسخاء وخفاء، والذى يذكر ربه خاليًا فيبكى من خشية الله.

عن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[١].

• وممن لا يحزنهم الفزع الأكبر: الشهداء:

قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة ويُجَار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع فى سبعين من أقاربه «وفى لفظ» ويُحلى حلة الإيمان»[٢].

(١) أخرجه البخارى رقم ٦٨٠٦، ومسلم رقم ١٠٣١.

(٢) أخرجه الترمذى رقم ١٦٦٣، وابن ماجه رقم ٢٧٩٩.

• ومنهم المتحابون فى الله:

يقول الله ـ عز وجل ـ: «المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى»[(١)].

• وممن يظل بظل العرش ولا يحزنه أفزاع يوم القيامة:

ـ الموفون بالنذر المعظمون للعهد مع الله.

ـ المطعمون الطعام على حبه لا يريدون جزاءً ولا شكوراً.

ـ المستعدون لهذا اليوم الخائفون الوجلون من هوله.

ومصداق ذلك فى كتاب الله قال ـ سبحانه ـ:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴿٥﴾ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ [الإنسان: ٥ ـ ١٢].

• ومنهم المتقون المحسنون المخلصون المقربون:

قال جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣].

• ومما ينجى من أهوال القيامة: تفريج الكرب عن الأخ المسلم:

قال رسول الله ﷺ: «مَن نَفَّس عن مسلم كربة من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة»[(٢)].

---

(١) قال الهيثمى فى المجمع (٢٧٩/١٠) رواه أحمد بإسناد جيد، وكذا قال المنذرى فى الترغيب ٢٨٣/٤.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٩.

• ومما ينجى من أهوال هذا اليوم: إنظار المعسر أو الوضع عنه أو التجاوز عنه:

وهذا العمل هو الأولى بالنجاة من هول القيامة.

قال رسول الله ﷺ: (حوسب رجل ممَّن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال: قال الله ـ عز وجل ـ أنا أولى بذلك منك تجاوزوا عن عبدى)[1].

وعن النبى ﷺ: «أن رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له ما كنت تعمل؟ فقال: إنى كنت أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر وأتجاوز فى السَّكة أو فى النقد فغُفِر له»[2].

وعن أبى قتادة ـ رضى الله عنه ـ أنه طلب غريمًا له فتوارى عنه ـ ثمَّ وجده فقال: إنى معسر. قال: آلله، فقال: آلله، قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفِّس عن معسر أو يضع عنه»[3].

وانظر لهؤلاء الذين نجتهم أعمالهم الصالحة من الفزع الأكبر.

(عن عبد الرحمن بن سمرة ـ رضى الله عنه ـ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال: إنى رأيت البارحة عَجبًا:

١ ـ رأيت رجلاً من أمتى جاءهُ ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بِرّه بوالديه فردَّ عنه.

٢ ـ ورأيت رجلاً من أمتى قد بُسِط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤُه، فاستنقذه من ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١٥٦١.

(٢) أخرجه البخارى رقم ٢٠٧٧، ٢٣٩١ ومسلم رقم ١٥٦٠.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١٥٦٣.

٣ ـ ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلَّصه من بينهم.

٤ ـ ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم.

٥ ـ ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشًا كلما ورد حوضًا مُنع منه فجاءهُ صيامه فسقاه وأرواه.

٦ ـ ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون قعود حلقًا حلقًا كلما دنا لحلقة طردوه، فجاءهُ اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده بجنبي.

٧ ـ ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو مُتَحَيِّر فيها، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور.

٨ ـ ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم، فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه كلموه.

٩ ـ ورأيت رجلاً من أمتي يتَّقي شرر النار ووهجها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سِترًا على وجهه وظلاً على رأسه.

١٠ ـ ورأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمرهُ بالمعروف ونهيُه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة.

١١ ـ ورأيت رجلاً من أمتي جاثيًا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله.

١٢ ـ ورأيت رجلاً من أمتي قد جاءته صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله ـ تعالى ـ فأخذ صحيفته فجعلها عن يمينه.

١٣ ـ ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه[1] فثقلوا ميزانه.

(١) أولاده الذين ماتوا صغاراً.

١٤ ـ ورأيت رجلاً من أمتى قائمًا على شفير جهنم فجاءه وَجَلُه فاستنقذه من ذلك ومضى.

١٥ ـ ورأيت رجلاً من أمتى هوى فى النار فجاءته دموعه التى بكى من خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار.

١٦ ـ ورأيت رجلاً من أمتى قائمًا على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعده ومضى.

١٧ ـ ورأيت رجلاً من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له أبواب وأدخلته الجنة)[١].

وينجيك من هذه الأهوال ستر الناس فى هذه الحياة.

قال النبى ﷺ: «لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره يوم القيامة»[٢].

وأفضل ظل للمؤمن يومئذ الصدقة قال ﷺ: «ظل المؤمن يوم القيامة صدقته»[٣].

* * *

(١) أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول (٣٢٤) وفى إسناده مقال وصححه ابن تيمية وابن القيم لشهادة أصول السنة له.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٥٩٠.

(٣) أخرجه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم، والحديث فى صحيح الجامع رقم ٥٤١٠.

أرض المحكمة

وتبدَّل الأرض يومها بأرض بيضاء كأنها فضة لم تعمل عليها خطيئة قط ولم يسفك عليها دم، ويقبل الناس والجان إليها سراعًا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] وقال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها علم لأحد»[١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] أى برزت الأرض التى عليها الجبال، وهى لا تعد من هذه الأرض وهى أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم[٢].

وقال جل ذكره: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] أى وجه الأرض الأعلى، والساهرة المكان المستوى وهذا التبديل الأول للأرض يختلف عن التبديل الثانى الأكبر أثناء مرور الناس على الصراط.

قالت عائشة سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: على الصراط[٣].

وعلى هذه الأرض يكسى الخلق وأول من يكسى إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثمَّ يكسى محمد ﷺ كساءً أفضل من كسائه ويتوالى الإنس والجن فى ارتداء الكساء حسب أعمالهم وفضلهم.

* * *

(١) أخرجه مسلم ـ كتاب صفات المنافقين رقم ٢٧٩٠.

(٢) تفسير ابن كثير سورة النازعات.

(٣) أخرجه مسلم ـ كتاب صفات المنافقين (ح/ ٢٧٩١).

نزول الملائكة

فبينا أنت فى كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أُمِروا أن يأخذوا بنواصى المجرمين إلى موقف العرض على الجبار، قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أحدث عن ملك فى السماء ما بين عاتقه إلى منتهى رأسه كطيران ملك سبعمائة عام، وما يدرى أين ربه فسبحانه»[١].

وقال ﷺ: «إنَّ الله أذن لى أن أحدث عن ديك[٢] قد مرقت رجلاه فى الأرض، ورأسه مثنية تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك، فيردُّ عليه: ما علم ذلك من حلف بى كاذبًا»[٣].

فما ظنك بنفسك إذا شاهدت ـ مثلاً ـ هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض، وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم، مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده، وعند نزولهم لا يبقى نبى ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفًا من أن يكونوا هم المأخوذين، فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين؟ وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة: أفيكم ربنا؟ وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم، فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لخالقهم عن أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم منزِّهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا: سبحان ربنا ما هو فينا، وعند ذلك تقوم

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب السنة رقم ٤٧٢٧، وأبو الشيخ فى العظمة رقم ٤٧٨، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٨٠) رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٢) المراد بالديك هنا ملك من الملائكة اسمه الديك.

(٣) حديث صحيح أخرجه الحاكم (٤/ ٢٩٧)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وأخرجه أبو الشيخ (٥٢٦) وقال الهيثمى (٨/ ١٣٣) ورجاله رجال الصحيح.

الملائكة صفًا محدقين بالخلائق[١] من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم[٢].

ويجلس كل نبى ومعه أمته جثاة على الرُّكب.

والحبيب محمد ﷺ جالس وبيده لواء الكرم وصلحاء أمته تحت لوائه، والأنبياء أجمعون من آدم إلى عيسى - عليهم السلام - تحت لواء سيد الأنبياء ﷺ.

* * *

(١) أى محيطون.

(٢) إحياء علوم الدين كتاب ذكر الموت بتصرف.

مجىء جهنم

وأثناء هذه الأهوال العظام والخطوب الجسام، يأتى الهول العظيم والفزع الأكبر إنه مجىء جهنم يقول صاحب المقام المحمود ﷺ:

«يُجاء بجهنم يومئذ تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[(١)].

ومقرها حينئذ وسط الخلق المحشورين، فيحيطون بها ويجلسون حولها ويرون عذابها وجحيمها فتوهم اضطرابها وارتعادها بفَرْقها أن يكون الله ـ عز وجل ـ خلق خلقًا يعذبهم بها، فتخيّلها حين اضطربت وفارت ونارت، ونظرت إلى الخلائق من بعد مكانها، فشهقت إليهم وزفرت نحوهم وجذبت خُزانها متوثبة على الخلائق غضبًا لغضب ربها على من خالف أمره وعصاه؛ فتوهم صوت زفيرها وشهيقها، وترادف قصبتها، وقد امتلأ منه سمعك، وارتفع له فؤادك، وطار فزعًا ورعبًا، ففرَّ الخلائق هربًا من زفيرها على وجوههم وذلك يوم التنادى لما سمعوا بدوّ زفيرها ولوا مدبرين وتساقطوا على ركبهم جثاة حول جهنم: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨] أى جالسين على الرُّكب فتوهم اجتماع أصوات بكاء الخلائق عند زفيرها وشهيقها وينادى الظالمون بالويل والثبور، وينادى كل مصطفى صديق ومنتخب وشهيد ومختار وجميع العوام: نفسى نفسى وأنت قائلها، فبينا أنت مع الخلائق فى شدة الأهوال ووجل القلوب إذا زفرت الثانية فيزداد رعبك ورعبهم وخوفك وخوفهم، ثمَّ زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم، وتشخص أبصارهم ينظرون من طرف خفى خاشع خوفًا أن تلحقهم فتأخذهم بحريقها، وانتصفت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين فكظموا عليها وقد غصَّت

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٨٤٢ كتاب صفة الجنة والترمذى رقم ٤٣٩٣.

فى حلوقهم وطارت الألباب، وذَهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين فلا يبقى رسول ولا عبد صالح مختار إلا ذهل لذلك عقله فأقبل الله ـ عز وجل ـ عند ذلك على رسله وهم أكرم الخلائق عليه وأقربهم إليه لأنهم الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ والحجة على عباده، وهم أقرب الخلائق إلى الله ـ عز وجل ـ فى الموقف وأكرمهم عليه.

ويزداد بالناس العرق والقلق والأرق حتى يقولوا ربنا أرحنا ولو إلى النار[١].

وهذا من مجرد العرق الذى ألجمهم.

ويقول الناس بعضهم لبعض ماذا نصنع للنجاة من هذه الأهوال؟ فيقول بعضهم: اذهبوا إلى الأنبياء ليشفعوا لنا عند ربنا ليقضى بيننا فيذهبون إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

* * *

(١) أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وسكت عليه المنذرى (٤/ ٢٩٥).

الشفاعة العظمى(١)

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال:

أتى النبى ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال:

أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذلك؟

يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون إلى مَن يشفع لكم إلى ربكم.

فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم.

فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبونا أبو البشر خلقك الله بيده. ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول آدم: إنَّ ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسمَّاك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربنا، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم نوح: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى اذهبوا إلى إبراهيم.

(١) هذه الشفاعة هى المقام المحمود.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم إبراهيم: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك برسالته وتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم موسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمت الناس فى المهد وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول لهم عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتونى فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا.

فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربى، ثمّ يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد غيرى من قبلى ثمّ قال:

يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسى.

فأقول: يا رب أمتى أمتى.

فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك مَن لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.

والذى نفس محمد بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر[١] أو كما بين مكة وبصرى.

وفى البخارى (كما بين مكة وحمير)[٢].

وبعد هذه الشفاعة المحمدية تنعقد المحكمة الإلهية.

* * *

(١) هجر: مكان بالبحرين.

(٢) صحيح أخرجه البخارى رقم ٣٣٤٠، ورقم ٤٧١٢ ومسلم رقم ٩٩٤.

وجاء ربك

وفى هذا الوقت العصيب يأتى الصمد القيوم ـ سبحانه ـ للفصل والحكم بين خلقه إتيانًا يليق بجلاله وكماله وجماله:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

فينصت الخلق إلى كلام ربهم وحكم خالقهم وبارئهم فإذا بالحكم العدل ـ سبحانه ـ ينادى على عباده ويقول: يا عبادى إنى أنصت إليكم كثيرًا فى الدنيا فأنصتوا اليوم إلىّ.

«يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١).

«يا عبادى اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبى»(٢).

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤).

(٢) حديث صحيح سيأتى بلفظه.

صورة المحكمة

وأنت تنظر فتشاهد المحكمة الإلهية وقد نُصبت والكرسى الإلهى الذى وسع السموات والأرض قد وُضِع فترى عرش الرحمن بطوله وعظمته وهيبته فوق رأسك قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وترى الملائكة ـ عليهم السلام ـ قد أحاطوا بأرض المحكمة فلا يوجد شبر من الأرض دون ملك قائم عليه.

وترى الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ جاثين على الركب.

وترى الوحوش والسباع وسائر الحيوانات خاضعة ذليلة والطيور والحشرات جميعها قد حشرت.

وتنظر فترى الجن والشياطين بسائر أنواعهم ومللهم ونحلهم، وترى البشر كافة من ذكور وإناث، أطفال وشباب وشيوخ قد جمعوا لم يتخلف منهم أحد، والخلق أجمعون ساكتون منصتون، ينتظرون حكم أحكم الحاكمين كما قال سبحانه: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ [طه: ١٠٨].

وأنت تنظر فترى العلماء يسيرون وراء معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ حتى يقف عند مكان عال ويحيطون به قال رسول الله ﷺ «معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة برتوة»[1].

ثمَّ ترى القراء الصالحون ينطلقون وراء أبى بن كعب ـ رضى الله عنه ـ.

وتتأمل وتنظر فترى الأيام قد بعثت على هيئاتها فى الدنيا، وجاء يوم الجمعة منير وأهلها الذين بجَّلوها حق التبجيل وقدروها حق التقدير بالتعبد والتطيب والذكر والاغتسال قد أحاطوا بها كالعروس تهدى إلى كريمها عليها الأنوار والمسك.

---

(١) حديث صحيح.

● **بعث الأيام:**

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ـ عز وجل ـ يبعث الأيام يوم القيامة على هيئاتها، ويبعث يوم الجمعة زهراء مُنيرة أهلها محتفون بها كالعروس تُهْدَى إلى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضًا، وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان[1] ما يطرفون تعجبًا. يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون[2]»[3].

وقال أبو عمران الجوني: «ما من ليلة تأتي إلا تنادي: اعملوا فيَّ ما استطعتم من خير، فلن أرجع إليكم إلى يوم القيامة»[4].

وترى المجرمين الكافرين مقيدين بالسلاسل والأغلال، وثيابهم من قطران أي أسود كـ (الزفت) ويشتعل نارًا بذاته قال المنتقم ـ سبحانه ـ: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٩ ـ ٥١].

وأما وجوههم فكالحة عابسة سوداء كثيابهم. قال ـ جل اسمه ـ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

ولما يرى الكافر أهوال القيامة يود أن يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وزوجته وأخيه وقبيلته وأهل الأرض أجمعين لكن لا يقبل منه فداء ولو أتى بالخلق كلهم.

قال ـ جل جلاله ـ: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا﴾ [المعارج: ١١ ـ ١٥].

---

(١) الإنس والجن.

(٢) أي المؤذنون بدون أجر.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٢٧٧) قال الذهبي صحيح الإسناد وكذا قال القرطبي في التذكرة.

(٤) أخرجه أبو نعيم (٢/ ٣١٠).

حال المحكمة

وفى هذه المحكمة:

الحاكم والحكم والقاضى هو الله ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠].

كما قال ـ عز شأنه ـ: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ [غافر: ١٦ ـ ١٨].

المحكوم له أو عليه: سائر الإنس والجن والحيوانات.

حُجَّاب المحكمة ومنفذو الأحكام: الملائكة الأبرار.

والمحكمة فذة فريدة لا نظير لها ولا مثيل.

فهى محكمة لا تقبل رشوة.

ومحكمة لا تعرف المحسوبية.

يقول تعالى: «اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبى»[1].

ومحكمة لا تحضر محامين لأن القاضى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

ومحكمة لا تقضى بالظلم قال ـ تعالى ـ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

ومحكمة لا استئناف فى أحكامها لأن قاضيها هو الحكم العدل أحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين.

وأعضاء العبد تشهد عليه وماله ونبيه ـ عليه السلام ـ.

وتشهد عليه الأرض التى مشى عليها والملك الموكل به وقرينه من الجن.

---

(١) رواه الطبرانى مرفوعًا وموقوفًا.

شهود المحكمة

أعظم الشهود وأول شاهد:

وتفكر فيمن يشهد لك أو عليك فى هذا اليوم العصيب أمام أعظم محكمة فى الوجود، فإذا بالنداء يقرع قلبك: إن من يشهد عليك ربك الذى هو على كل شىء شهيد.

قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وقال الحق ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٢٨ ـ ٣٠].

الشاهد الثانى: كل نبى على أمته:

وتخيل صورة الأنبياء وقد جىء بهم ليشهدوا على أممهم، فكيف يكون حالك عندما يشهد عليك سيد العالمين ﷺ قال ـ جل وعز ـ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

الشاهد الثالث: الأرض:

وتأمل عبد الله هذا الشاهد الذى يشهد عليك أتدرى ما هو؟

إنه الأرض التى تمشى عليها قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤، ٥] سبحان الله، الأرض تتكلم وتخبر بما حدث عليها من خير أو شر، فمن جلس فى المسجد ليستمع خطبة أو درس علم أو ليصلى.. تشهد له بخير، وبما حدث.

ومن جلس فى مقهى ليشرب السجائر أو المخدرات. . . تشهد عليه بما عمل، وكأنها جهاز فيديو يسجل بالصوت والصورة، ويكتب الأحداث ويصورها ويعرضها.

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ [الزلزلة: ٤] قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنَّ أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول: عمل يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»(١).

الشاهد الرابع: أئمة الصلاح والتقى:

وانظر إلى هؤلاء الشهداء الذين لا تذكر أبدًا شهادتهم عليك إنهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى فى العبادة والتقى والعلم والزهد والهدى والورع، وما من إنسان إلا وله فى موقعه وسنه وعمله إمام فى الخير، فإن كنت شابًا مقصرًا قيل لك: أين أنت من نبى الله يوسف ـ عليه السلام ـ، وإن كنت غنيًا مفرِّطًا يقال لك لماذا لم تقتدِ بنبى الله سليمان ـ عليه السلام ـ وإن كنت مبتلى جزعًا قيل لك لمَ لم تتأس بنبى الله أيوب، وإن كنت فقيرًا مشغولاً عن القيام بحق ربك ـ تعالى ـ قيل لك: لماذا لم تسر على نهج عيسى ـ عليه السلام ـ قال رسول الله ﷺ:

«إن أربعة يستشهد عليهم بأربعة: ينادى بالأغنياء وأهل الغبطة فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله؟ فيقولون: أعطانا الله ملكًا وغبطة شغلنا عن القيام بحقه فى دار الدنيا فيقال لهم: مَن أعظمُ ملكًا أنتم أم سليمان؟ فيقولون: بل سليمان، فيقال: ما شَغله ذلك عن القيام بحق الله والدأب فى ذكره، ثمَّ يقال: أين أهل البلاء؟ فيؤتى بهم أنواعًا فيُقال لهم: أى شىء شغلكم عن عبادة الله ـ تعالى ـ؟ فيقولون: ابتلانا الله فى الدار الدنيا بأنواع من الآفات والعاهات شغلتنا عن ذكره

---

(١) أخرجه الترمذى رقم ٢٤٢٩، وقال: حسن صحيح غريب.

والقيام بحقه فيقال لهم: من أشَد بلاءً: أنتم أم أيوب؟ فيقولون: بل أيوب، فيقال لهم: ما شغله ذلك عن حقنا والدأب لذكرنا، ثمَّ ينادى: أين الشباب العطرة والمماليك؟ فتقول الشباب: أعطانا الله جمالاً وحسنًا فُتنا فكنا مشغولين عن القيام بحقه وكذلك المماليك فيقولون: شغلتنا رق العبودية فى الدنيا فيقال لهم: أنتم أكثر جمالاً أم يوسف ـ عليه السلام ـ، فلقد كان فى رق العبودية ما شغله ذلك عن القيام بحقنا ولا الدأب لذكرنا ثمَّ ينادى: أين الفقراء؛ فيؤتى بهم أنواعًا فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله ـ تعالى ـ؟ فيقولون: ابتلانا الله فى دار الدنيا بفقر شغلنا، فيقال لهم: من أشد فقرًا، أنتم أم عيسى ـ عليه السلام ـ؟ فيقولون: بل عيسى فيقول لهم: ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا فمن بُلى بشىء من هذه الأربع فليذكر صاحبه»[1].

الشاهد الخامس: شهادة المال:

ويأتى المال يوم القيامة ليشهد على من جمعه من غير حِلِّه، وأنفقه فى غير حله ومنعه أهله، والعبد يقول: أنت الذى أضللتنى وأبعدتنى عن طاعة ربى، فيرد عليه، لو جمعتنى من حلال وأنفقتنى فى حلال ما تأخرت عنك.

قال النبى ﷺ: «. . . وإنَّ هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال رسول الله ﷺ وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة»[2].

الشاهد السادس: شهادة الأيام والليالى:

فإنَّ الأيام والليالى تحضر بهيئتها فى الدنيا:

فتُخبر بما حدث فيها وتصور ذلك بصورة حقيقية.

---

(١) البيهقى فى شعب الإيمان رقم ٩٩٩٩ وفى سنده ليث بن أبى سليم وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخارى.

الشاهد السابع: الشهيد الذى تلقاه عند بعثك من القبر:

قال ـ جل وعلا ـ: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

الشاهد الثامن: أعضاء جسدك:

قال تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥].

ثمَّ كيف يكون خوفك ووجلك عندما ينادى رب العالمين: يا آدم ابعث بعث النار، فيقول: كم يا رب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فيا لروعتك وحزنك وقلقك وارتعاد فرائصك عند صدور هذا النداء.

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ يقول الله: «يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فاشتد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا، فإنَّ من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجلٌ ثمَّ قال: والذى نفسى بيده. إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة، قال: فحمدنا الله وكبرنا، ثمَّ قال: والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إنَّ مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالرقمة فى ذراع الحمار»[1].

وفى هذا الوقت العصيب يطمئن الحق ـ جل ثناؤه ـ أنبيَاءه وأولياءه وأصفياءه.

فيأمر مناديًا ينادى: ألا إنى جعلت نسبًا وجعلتم نسبًا، فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم، إلا أن تقولوا: فلان ابن فلان خير من فلان ابن فلان، فاليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم أين المتقون؟[2].

---

(١) أخرجه البخارى كتاب الرقاق رقم ٦٥٣٠.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط والصغير والبيهقى مرفوعًا وموقوفًا وقال: المحفوظ الموقوف. الترغيب (٤/ ٦١).

ويطمئن الله ـ جل جلاله ـ قلوب عباده المؤمنين، ويهدئ روعهم، ويؤمن فزعهم وخوفهم، ويسعدهم سعادة الأبد فى أرض العرض وساحة الحساب فيقول:

﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٨، ٦٩].

ويقول ـ عز من قائل ـ: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

فإنْ قيل كيف يحاسب الحق العدل ـ سبحانه ـ هذه المخلوقات فى آن واحد مع كثرة عددها واختلاف طبائعها وخلقها.

قلت: كما يرزقهم فى آن واحد يحاسبهم فى آن واحد[١].

* * *

(١) ورد هذا عن على ـ رضى الله عنه ـ.

وبدأت جلسات المحكمة

كأنك يا أخى قد قربت من العرض والحساب، ووقفت بين يدى الملك الوهاب، فيأمر بك إلى الجنة وحسن المآب، أو إلى النار وأليم العذاب:

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا   مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق   على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل   فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته   إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتى   وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المشركون غدًا فى النار يلتهبوا   والمؤمنون بدار الخلد سكانا

وكل مخلوق جاث على ركبتيه وأمامه جهنم، فهم يحيطون بالنار من كل جهة، والنار فى وسطهم.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٨، ٦٩].

* * *

تطاير الصحف

وبينما أنت أيها المسكين تنتظر الحكم الإلهى وأنت على حالك من العرق أو الظل والعطش أو الرى والنور أو الظلام ـ إذا بك ترى الصحف تطاير على رأسك قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

وهنا يعتريك من الخوف والرعب ما لا يعلمه إلا الله وعندئذ لا تذكر أقرباءك ولا أخلاءك.

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟ قلت: ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال: أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز»[1].

قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٨، ٤٩].

أو كما قال رب العزة ـ سبحانه ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

فتوهم نفسك حين وقفت بالاضطراب والارتعاد يرعد قلبك، وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك وغلظ أكفهم حين أخذوك؛ فتوهم نفسك محثوثة فى

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٤٧٥٥.

أيديهم وتوهم تخطيك الصفوف، طائر فؤادك منخلع قلبك، فتوهم نفسك فى أيديهم كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فقذفوا بك من أيديهم، وناداك الله ـ عز وجل ـ بعظيم كلامه: ادن منى يا ابن آدم، فغيَّبك فى نوره، فوقفت بين يدى رب عظيم جليل كبير كريم بقلب خائف محزون، وَجِل مرعوب، وطرف خائف، خاشع ذليل، ولون متغير، وجوارح مرتعدة مضطربة، كالحَمَل الصغير حين تلده أمه، ترتعد، بيدك صحيفة مُحبَّرة لا تغادر بلية كسبتها، ولا مخبأة أسررتها، فقرأت ما فيها بلسان كليل، وحجة داحضة، وقلب منكسر، فكم لك من حياء وخجل وجبن من المولى الذى لم يزل إليك محسنًا وعليك ساترًا؛ فبأى لسان تجيبه حين يسألك عن قبيح فعلك وعظيم جرمك، وبأى قدم تقف غدًا بين يديه، وبأى نظر تنظر إليه، وبأى قلب تحتمل كلامه العظيم الجليل ومساءلته وتوبيخه؟ فتوهم نفسك بصغر جسمك، وارتعاد جوارحك، وخفقان قلبك، وقد سمعت كلامه بتذكير ذنوبك وإظهار مساوئك، وتوقيفك وتقريرك بمخبَّآتك، فتوهم نفسك بهذه الهيئة والأهوال بك مُحْدِقة من خلفك فكم من بلية قد نسيتها، قد ذكَّركها، وكم من سريرة قد كنت كتمتها قد أظهرها وأبداها، وكم من عمل قد ظننت أنه قد خلص لك وسلم بالغفلة منك إلى ميل الهوى عمًّا يفسده قد ردَّه فى ذلك الموقف عليك وأحبطه؛ بعدما كان أمَلُك فيه عظيمًا، فيا حسرات قلبك، وتأسفك على ما فرطت فى طاعة ربك، حتى إذا كُرِّر عليك السؤال بذكر كل بلية ونشر كل مخبأة فأجهدك الكرب، وبلغ منك الحياء منتهاه لأنه الملك الأعلى فلا حياء يكون من أحد أعظم من الحياء منه؛ لأنه القديم الأول الباقى الذى ليس له مِثل، المحسن المتعطف المتحنن الكريم الجواد المنعم المتفضل، فما ظنك بسؤال من هو هكذا أبان عن مخالفتك إياه، وقلة هيبتك له، وحيائك منه، ومبارزتك له، فما ظنك بتذكيره إياك مخالفته وقلة اكتراثك فى الدنيا بإلطافه عليك ونظرك إليه[1].

(١) التوهم ص١٧ ـ ١٩.

عندئذ يُقال لك: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التى يُؤتونها بعد البعث حوسبوا بها قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] فدلّ على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكُتب، لأن الناس إذا بُعِثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٨]. فالعرض قبل الحساب.

فإذا بُعِثوا من قبورهم إلى الموقف وقاموا فيه ـ ما شاء الله تعالى ـ حفاةً عراةً، وجاء وقت الحساب الذى يُريد الله أن يُحاسبهم فيه أمر بالكتب التى كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كلٌّ كتابه يا حبيبى فى الله:

مَثـِّلْ وقوفـك يوم العـرض عُريانًا ... مُستـوحِشًا قَلِـق الأحشـاء حيرانا

والنَّار تلهـبُ من غيـظٍ ومن حنقٍ ... على العُصاة وربُّ العرش غضبانا

اقرأ كتـابك يا عبـدى على مهل ... فهل ترى فيـه حرفًا غير مـا كانا

لمـا قـرأت ولم تُنكر قراءتـهُ ... إقـرار من عـرف الأشيـاء عرفانا

نادى الجليل: خـذوه يا مـلائكتى ... وامضـوا بعبد عصى للنار عطشانا

المشركون غـداً فى النار يلتهبوا ... والمؤمنـون بدار الخـلد سكـانا

فتوهم نفسك يا أخى إذا تطايرت الكتب ونُصبت الموازين وقد نُوديت باسمك على رؤوس الخلائق أين فلان ابن فلان هلم إلى العرض على الله تعالى، وقد وُكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك إذا عرفت أنك المراد بالدعاء، إذ قرع النداء قلبك، فعلمت أنك المطلوب،

فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغيَّر لونك، وطار قلبك، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت فى أيديهم وقد طار قلبك، واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك.

فتوهم نفسك وأنت بين يدى ربك فى يدك صحيفة مخبرة بعملك لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل وقلب منكسر، والأهوال مُحدِقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكركها، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها، وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فردَّه عليك فى ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أمَلُك فيه عظيمًا، فيا حسرة قلبك ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الحاقة:١٩] فعلم أنه من أهل الجنة ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩] وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه.

فإذا كان الرجل رأسًا فى الخير يدعو إليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه دُعِى باسمه واسم أبيه فيتقدم، حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض، فى باطنه السيئات وفى ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها، فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضُوعفت لك فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه، إذا كان من حملة القرآن العاملين به.

ويقال له انطلق إلى أصحابك فبشرهم أخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فإذا أدبر قال: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩، ٢٠] قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة:٢١] أى مرضية قد رضيها ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة:٢٢] فى السماء ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها وعناقيدها ﴿دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣] أدنيت منهم فيقول لأصحابه: هل تعرفونى؟ فيقولون: قد غمرتك كرامة الله مَن أنت؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان ليبْشُر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤].

---

(١) أى: يا هؤلاء اقرءوا كتابيه. وهاؤم: اسم فعل أمر بمعنى: خذ.

بداية الحساب

ويبدأ الحساب بين الخلائق بعد العرض بأن يقتص الحكم العدل للدواب من بعضها، فيقضى الحق بين البهائم والدواب فى نزاعها وقتالها.

عن أبى ذر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال: يا أبا ذر أتدرى فيم تنتطحان؟، قلت: لا يا رسول الله، قال: لكن الله يدرى ويقضى بينهما يوم القيامة»(١).

قال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»(٢).

وقال ﷺ: «ليختصمن كل شىء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا»(٣).

وبعد أن يقتص الحق العدل - جل وعلا - من القرناء للتى لا قرن لها يقول لسائر الحيوانات والدواب والوحوش كونى ترابًا، فيقول الكافر: يا ليتنى كنت ترابًا.

وينادى الحق - جل وعلا - على الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ويسألهم كما قال - عز شأنه -:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

(١) حسن أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢) والطبرانى فى الأوسط كما فى المجمع (١٠/ ٣٥٢) قال الهيثمى: رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير شيخه ابن عائشة وهو ثقة.

(٢) صحيح أخرجه مسلم رقم ١٢/ ٢٥، والبخارى فى الأدب المفرد رقم ١٨٣.

(٣) أخرجه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن كما فى الترغيب (٤/ ٣٠٢).

ثمَّ بعد سؤال الرسل ـ عليهم السلام ـ، ينتقل السؤال إلى الأمم.

يقول ﷺ: «أنتم موفون سبعون أمة، أنتم خيرهم على الله»(١).

سبعون أمة كل أمة يقف معها نبيها، وكل نبى ورسول يختارون محمداً ﷺ وأمته للشهادة على أممهم.

فيؤتى بأمة نوح فيقال: هل بلغكم نوح؟ فيقولون: لا، فيؤتى بنوح فيقال: أبلغت قومك؟ فيقول: نعم فيقال أمعك بينة؟ فيقول: أمة محمد ﷺ، فيؤتى بأمة محمد ﷺ.

* * *

(١) صحيح أخرجه أحمد (٤/٤٤٦، ٤٤٧) وابن أبى شيبة (٨/٣٥٩).

شهادة هذه الأمة

فيشهدون لنوح ـ عليه السلام ـ، فيقال لهم: وما حجتكم؟ فيقولون: قال ربنا وبلغ نبينا قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٥ ـ ١٠٨].

فيخلى عن نوح، ثمَّ يؤتى بعاد أمة هود فيقال: أبلغكم هود فيقولون: لا فيؤتى بهود فيقال له: أبلغت قومك فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فيحضر النبى ﷺ وأمته، فيشهدون لهود ـ عليه السلام ـ فينجو هود ـ عليه السلام ـ، وهكذا تأتى كل أمة تجادل عن نفسها وتكذب نبيها ـ فيشهد عليها محمد ﷺ وأمته.

يقول رسول الله ﷺ: «يجىء النبى يوم القيامة ومعه الرجل، ويجىء النبى ومعه الرجلان، ويجىء النبى ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتُدْعَى أمة محمد ﷺ، فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣][1].

ثمَّ يأتى الدور على آخر الأمم وأفضلها أمة محمد ﷺ فيشهد عليها سيد الخلق ﷺ قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقال: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه رقم ٤٢٨٤ وأخرجه البخارى مختصراً رقم ٣٣٣٩.

وقال ﷺ «إنكم ستسألون عنى يوم القيامة فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقول: قد بلغت وأديت»[١].

فيصدق النبى ﷺ عدد كبير من أمته ويرتفع قدر النبى ﷺ بين الأمم وأنبيائها.

قال إمام الأنبياء ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»[٢].

وكثير من الأمم لا يصدقون أنبياءهم حتى إن أحد الأنبياء لا يصدقه إلا رجل واحد.

قال رسول الله ﷺ: «أنا أول شفيع فى الجنة لم يُصدق نبى من الأنبياء ما صدقت وإنَّ من الأنبياء نبيًا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد»[٣].

* * *

(١) حديث خطبة حجة الوداع رواه الترمذى وأبو داود بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه الترمذى رقم ٣٦١٣، وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة.

حساب الكفار والمشركين

وينادى الحق ـ جل جلاله ـ على المشركين ويسألهم: أين شركائى الذين كنتم تزعمون.

يقول ـ جل ذكره ـ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٢ ـ ٦٥].

وقال النبى المعصوم ﷺ «يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثمَّ يطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد، فيُمثَّل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون...»[١].

فيتلاوم الكفار فى عرصات القيامة ويقول المتبوعون من الضعفاء للسادة الأقوياء: إنكم سبب ضلالنا وفسادنا وكفرنا ولولا أنتم لكنا مؤمنين، فيرد عليهم الأقوياء المستكبرون قائلين: إنكم مجرمون.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى رقم ٢٥٥٧، وقال: حسن صحيح، وقد رواه مسلم بلفظ آخر.

ومرة أخرى يقول الضعفاء للكبراء والسادة: إنكم كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء فيقولون: بل لم تكونوا مؤمنين، ويصور رب العالمين لنا هذا الموقف فيقول:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٢٧ ـ ٣٥].

وبعض عباد الله يجادل ويناقش ويعترض على حكم أحكم الحاكمين ويكذب شهادة الأرض وشهادة الأيام، وشهادة المال، وشهادة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، فيأمر الله أعضاءه أن تنطق لتشهد عليه.

عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون ممَّ أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال، فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني قال: كفى بنفسك عليك حسيبًا وبالكرام الكاتبين شهودًا.

قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله، قال: ثمَّ يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول: بعداً لكن وسحقًا فعنكن كنت أناضل»[1].

الله ـ جل وعلا ـ ختم على أفواههم ويأمر أعضاءهم أن تتكلم يقول سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤ ـ ٢٥].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا

(١) أخرجه مسلم كتاب صفة القيامة.

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢٠، ٢١].

والمنافق والكافر يلقى ربه يوم القيامة فينساه ربه ويفضحه أمام العالمين فيعلم الخلق بفضيحته ثم يدخل جهنم خالدًا فيها أبدًا قال ﷺ:

«... فيلقى العبد ربه فيقول: أى فُل[1] ألم أكرمك وأسوِّدك وأزوِّجك، وأُسخِّر لك الخيل والإبل وأذرك تَرأس[2] وتَرَبَّع[3]؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: أظننت أنك مُلاقى؟ فيقول: لا، فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى، ثمَّ يلقى الثانى فيقول: أى فل، ألم أكرمك وأسوِّدك وأزوِّجك، وأُسخِّر لك الخيل والإبل وأذرك تَرَأَّس وتَرَبَّع؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: أظننت أنك مُلاقى؟ فيقول: لا، فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى، ثمَّ يلقى الثالث فيقول: أى فل، ألم أكرمك وأسوِّدك وأزوِّجك، وأُسخِّر لك الخيل والإبل وأذرك تَرَأَّس وتَرَبَّع؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: أظننت أنك مُلاقى؟ فيقول: أى رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت وبنى بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذًا، ثمَّ يقول: الآن نبعث شاهدًا عليك، فيتفكر فى نفسه مَن ذا الذى يشهد علىَّ فيختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقى، فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه»[4].

ولا تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

قال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فى هذه الآية: ما تزال الخصومة بالناس يوم

---

(١) أى يا فلان.

(٢) أى تصير رئيسًا.

(٣) أى يأخذ ربع المغانم.

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٦٨).

القيامة حتى تخاصم الروح الجسد، فتقول الروح: ربٍّ، الروح منك أنت خلقته لم يكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أُبصِر بها، ولا أذن أسمع بها، ولا عقل أعقل به، حتى جئت فدخلت فى هذا الجسد، فضعِّف عليه أنواع العذاب ونجِّنى، فيقول الجسد: ربٍّ أنت خلقتنى بيدك فكنت كالخشَبة ليس لى يد أبطش بها ولا قدم أسعى بها ولا بصر أُبصر بها، ولا سمع أسمع به، فجاء هذا كشعاع الشمس فبه نطق لسانى وبه أبصر عينى وبه مشت رجلى وبه سمعت أذنى فضعِّف عليه أنواع العذاب ونجِّنى قال: فيضرب لهما مثلاً أعمى ومُقعد أُدْخِلا بستانًا فيه ثمار فالأعمى لا يُبْصر الثمر، والمُقْعد لا ينالُها، فنادى المقعد للأعمى ائتنى فاحملنى آكل وأطعمك فدنا منه فحمله فأصابا من الثمرة فعلى مَن يكون العذاب؟ قالا: عليهما. قال: عليكم جميعًا العذاب[1].

* * *

غمسة فى الجنة وغمسة فى النار

وتصور هذا المشهد الرهيب عندما يؤتى بأنعم أهل الدنيا من الكفار والفجار المعاندين فيغمس فى جهنم غمسة.

يقول ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة فيصبغ فى النار صبغة ثمَّ يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ فى الجنة صبغة، فيقال: هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرت بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط»[2].

فقد تكون أنت الرجل الذى غُمس به فى النار.

(١) التذكرة ص٢١٦.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٨٠٧.

أول أمة تحاسب

وأول أمة تحاسب من الأمم كلها أمة محمد ﷺ.

قال سيد العالمين ﷺ:

« . . . فإذا أراد الله أن يقضى بين خلقه نادى منادٍ أين محمد ﷺ وأمته؟ فأقوم وتتبعنى أمتى غراً مُحجَّلين من أثر الطهور قالَ رسول الله ﷺ فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب ويُفرج لنا فى الأمم عن طريقنا، ويقولون: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها»[١].

وأمة محمد ساعتئذ على كوم عظيم، ترتفع على الأمم كلها فى المكانة والمكان.

قال ﷺ: «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس»[٢].

وأول من يحاسب من أمة محمد ﷺ ثلاثة: رجل جمع القرآن فلم يعمل به، ورجل قاتل فى سبيل الله رياءً، ورجل تصدق ليقال فلان جواد[٣] فيقضى عليهم.

ويعرض عليك يا عبد الله فى الحساب ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبك، وديوان فيه النعم التى أنعم الله بها عليك.

عن أبى هريرة قال: خرج فينا رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ، فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله، قال: وأنا والذى نفسى بيده أخرجنى الذى أخرجكما

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم ٤٢٩٠، وأبو داود الطيالسى ٢٧١١.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان (١٩١).

(٣) أخرجه مسلم مختصراً والترمذى مطولاً سيأتى.

قوموا، فقاموا معه، فأتوا رجلاً من الأنصار[1] فإذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثمَّ قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا منى، فانطلق فجاءهم بعذق[2] فيه بُسر[3] وتمر ورطب. وقال: كلوا، وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب، فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر: «والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة»[4].

وعن النبى ﷺ قال: «يُخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله عليه، فيقول الله ـ عز وجل ـ لأصغر نعمة.... وفى ديوان النعم يقول: خذى ثمنك من عمله الصالح، فتستوعب عمله الصالح، ثمَّ تَنَحَّى وتقول: وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم، وقد ذهب العمل الصالح، فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال: يا عبدى قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك... ووهبت لك نعمى»[5].

والناس فى السؤال يوم القيامة ثلاثة أصناف:

فريق يسأل سؤال تعدد النعم التى أعطاه الله إياها فى الدنيا على وجه التكرم وبيان الفضل ثمَّ يدخل الجنة بلا حساب وهم الأولياء والصديقون والعلماء

---

(١) هو أبو الهيثم بن التيهان كما فى رواية الموطأ.

(٢) العذق: القِنو.

(٣) أى البلح قبل أن يرطب أو يجف.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٠٣٨.

(٥) ضعيف أخرجه البزار وفى إسناده صالح المرى وهو ضعيف كما فى المجمع (١٠/٣٥٧) ورمز إليه المنذرى بالضعف، لكن له شواهد من ناحية المتن.

العاملون والشهداء الصالحون وصنف يُسأل ويحاسب حسابًا يسيرًا، فيسأل عن بعض الأمور ولا يُستقصى عليه الحساب قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩].

وهم المؤمنون المقتصدون.

وصنف يُسأل ويحاسب حسابًا عسيرًا ويستقصى عليه الحساب فيُسأل عن النقير والقطمير والصغيرة والكبيرة وهم الكفار والفساق قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق ١٠ ـ ١٤].

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ «من حوسب يوم القيامة عذب» قال: فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] فقال: «ليس ذلك الحساب ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»[١].

* * *

(١) أخرجه البخارى رقم ٦٥٣٦ كتاب الرقاق، ومسلم كتاب الجنة رقم ٢٨٧٦.

من يدخلون الجنة بلا حساب

فأما الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا سابقة عذاب فإنهم عدد كبير يزيد على أربعة آلاف وتسعمائة مليون ٤,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ويتصفون بقوة اليقين وكمال التوكل واعتقاد الأثر فى الله وحده.

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: خرج علينا النبى ﷺ يومًا فقال: عُرِضت علىّ الأمم، فجعل يمرُّ النبى معه الرجل والنبى معه الرجلان، والنبى معه الرهط[١]، والنبى ليس معه أحد، ورأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فرجوت أن تكون أمتى، فقيل: هذا موسى وقومه، ثمَّ قيل لى: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق. فقيل لى: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، فتفرَّق الناس ولم يُبيِّن لهم، فتذاكر أصحاب النبى ﷺ فقالوا: أما نحن فوُلدنا فى الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبى ﷺ فقال: هم الذين لا يتطيرون[٢]، ولا يكتوون[٣]، ولا يسترقون[٤]، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: نعم، فقام آخر، فقال: أمنهم أنا؟ قال: سبقك بها عكاشة»[٥].

وعن أبى أمامة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل سبعون ألفًا

(١) الرهط من ثلاثة إلى عشرة.

(٢) أى لا يتشاءمون.

(٣) أى لا يطلبون من أحد أن يكويهم معتقدين الأثر فى كيته.

(٤) أى لا يطلبون من أحد أن يرقيهم معتقدين الأثر فى رقيته خاصة.

(٥) أخرجه البخارى كتاب الطب باب من لم يرق رقم ٥٧٥٢.

وثلاث حثيات من حثيات ربى[١]»[٢].

وقال ﷺ: «إنَّ الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بغير حساب» فقال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك فى أمتك إلا كالذباب الأصهب[٣] فى الذباب، فقال رسول الله ﷺ: قد وعدنى سبعين ألفًا مع كل ألف سبعين ألفًا وزادنى ثلاث حثيات»[٤].

وفى ساحة الحساب ينادى المنادى أين أهل الفضل؟ أين أهل الصبر؟ أين جيران الله؟ وأنت ترجو أن تكون منهم.

عن على بن الحسين قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أيكم أهل الفضل؟ فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا قبل الحساب؟ قالوا: نعم، قالوا: من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا جُهل علينا حَلمنا، وإذا ظُلِمنا صبرنا، وإذا أسىء إلينا غفرنا، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين، ثم ينادى مناد ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس وهم قليل: فيُقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصى الله، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين، قال: ثمَّ ينادى منادٍ ليقم جيران الله فيقوم ناس من الناس وهم قليل فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنةِ، فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك، قالوا: ولمَ جاورتم الله فى داره؟ قالوا: كنا نتزاور فى الله ونتجالس فى الله ونتبادل فى الله ـ عز وجل ـ

(١) أى عدد لا يحصى ولا يحد.

(٢) أخرجه الترمذى رقم ٢٤٣٧، وابن ماجه رقم ٤٢٨٦، والحديث حسن.

(٣) أى: الذى فيه حمرة والمراد القلة.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٠)، وابن ماجه وابن حبان، قال المنذرى (٤/ ٤١١): ورواته محتج بهم فى الصحيح.

قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين»[1].

ودخول الصابرين الجنة بغير حساب وارد فى القرآن الكريم قال ـ جل جلاله ـ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وعن النبى ﷺ قال: «تجتمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ فيقومون: فيُقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتلينا فصبرنا، ووليت الأموال والسلطان غيرنا، فيقول الله ـ عز وجل ـ: صدقتم، قال: فيدخلون الجنة قبل الناس، وتبقى شدة الحساب على ذوى الأموال والسلطان قالوا: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: توضع لهم كراسى من نور ويظلل عليهم الغمام يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار»[2].

والمتحابون فى الله يدخلون الجنة بلا حساب، ويجلسون على منابر من نور وعلى وجوههم نور، وثيابهم نور جالسين عن يمين العرش لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، ويغبطهم الأنبياء والشهداء.

عن أبى مالك الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله ـ عز وجل ـ عبادًا ليسوا بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله، فجثى رجل من الأعراب من قاصية الناس، وألوى بيده إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم، وقربهم من الله، انْعتهم لنا جَلِّهم لنا ـ يعنى صفهم لنا شكِّلهم لنا ـ، فسُرَّ وجه النبى ﷺ بسؤال الأعرابى، فقال رسول الله ﷺ هم ناس من أقفاء[3] الناس

(١) ضعيف أخرجه أبو نعيم (٣/ ١٣٩، ١٤٠) وفيه أبو حمزة الثمالى لكن له شواهد كما سيأتى.
(٢) أخرجه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه.
(٣) أى لم يعلم ممن هم.

ونوازع القبائل[(١)] لم تُصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا فى الله وتصافوا[(٢)] يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون، فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نورًا، يفزع النابس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[(٣)] .

هؤلاء أولياء الله الذين قال فيهم سيد الأنبياء ﷺ : «إنَّ لله عباداً يُجلسهم يوم القيامة على منابر من نور، يُغشى وجوههم النور، حتى يُفْرَغ من حساب الخلائق»[(٤)] .

وأهل الحلم الذين يحلمون عمن جهل عليهم يدخلون الجنة بلا حساب ويُدْعى أحدهم أمام ربه فيخيره من الحور العين ما شاء.

قال الشافع ﷺ : «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة ثمَّ يخيره من الحور العين ما شاء»[(٥)] .

وأهل الأخلاق الحسنة الذين يحفظون ألسنتهم وقلوبهم عن المحارم، من أجدر الخلق بهذه المنزلة الرفيعة.

قال صاحب الخلق العظيم ﷺ : «إنَّ من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسًا يوم القيامة (أسوؤكم أخلاقًا: الثرثارون[(٦)] المتفيهقون المتشدقون[(٧)]، قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون

(١) نوازع القبائل: هم الغرباء الذين غابوا عن أهلهم وعشيرتهم.
(٢) تصافوا: صفت قلوبهم وطهرت.
(٣) قال المنذرى (٤/ ٨٤) رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، قلت: أخرجه أبو داود بإسناد صحيح.
(٤) رواه الطبرانى بإسناد جيد. الترغيب (٤/ ٨٣).
(٥) أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وانظر صحيح الجامع رقم ٦٥٢٢.
(٦) الثرثار: هو الكثير الكلام تكلفًا.
(٧) المتشدق: المتكلم بملء شدقه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه وكذا المتفيهق.

قال: المتكبرون» (١).

وأولى الناس بشفاعة النبى ﷺ المكثرين من الصلاة عليه كما قال: «أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاة» (٢).

وأول من يؤمر بهم إلى الجنة فيدخلونها بلا حساب ولا سابقة عذاب ولا عتاب ويسبقون الملائكة فى دخولها فقراء المهاجرين.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ـ عز وجل ـ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: الفقراء المهاجرون الذين تُسدُّ بهم الثغور، وتُتَّقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله ـ عز وجل ـ لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيُّوهم، فتقول الملائكة ربنا نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء، فنسلِّم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادى يعبدوننى ولا يشركون بى شيئًا، وتُسَدُّ بهم الثغور، وتُتَّقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاءً، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» (٣).

وهذه صورة من صور الاختصام أمام المحكمة الإلهية، وهذا الاختصام يكون بين الشهداء والمتوفين على فرشهم من أجل الحكم على قتلى الطاعون.

قال رسول الله ﷺ يختصم الشهداء والمتوفون على فُرُشهم إلى ربنا فى الذين يتوفون من الطاعون فيقول الشهداء قُتلوا كما قُتلنا، ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فُرُشهم كما متنا؟ فيقول ربنا ـ عز وجل ـ: انظروا إلى جراحهم

(١) صحيح أخرجه الترمذى وحسنه، وأحمد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه، ورواته رواة الصحيح الترغيب (٣/ ٣٥٩).

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه أحمد والبزار، ورواتهما ثقات، وابن حبان رقم (٧٤٢١) وصححه ابن القيم والمنذرى.

فإن أشبهت جراح المقتولين، فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم»[١].

ويؤتى بالمتواضعين فى ثيابهم وأفعالهم أمام الخلائق فيلبسون حلل الإيمان الياقوتة فيها خير من الدنيا وما فيها.

قال سيد المتواضعين ﷺ: «من ترك اللباس تواضعًا لله[٢] وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يُخيِّره من أى حلل الإيمان شاء»[٣].

وأما الذين يحاسبون، فإنهم المقصرون والذين لا يدخلون الجنة إلا بحساب.

وهؤلاء يكلمهم ربهم ويسألهم عن أعمالهم.

قال النبى ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أيسر منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة. وفى رواية (ولو بكلمة طيبة)[٤].

ويُنبئ الله ـ تعالى ـ عبده بما صنع فى هذه الحياة الدنيا كما قال: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧] وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وأول سؤال يعرض على العبد فى تعدد نعم الله عليه إظهاراً لكرم الله وفضله، عن صحته وطعامه وشرابه.

قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يُقال له: ألم أصحَّ لك جسمك، وأروكَ من الماء البارد»[٥].

---

(١) النسائى (٦/ ٣٧، ٣٨) حديث حسن.

(٢) معناه التواضع فى الثياب بترك الزينة والرضا بالدون منه والاقتصاد فيه وليس معناه ترك النظافة والتجمل فإن الله جميل يحب الجمال.

(٣) صحيح أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وانظر صحيح الجامع رقم ٦/٤٥.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الزكاة رقم ١٠١٦.

(٥) صحيح أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وابن حبان رقم ٧٣٦٤ وصححه الأرنؤوط.

• ويبدأ الامتحان الحقيقى:

وأما الفريق الذى يحاسب فإنه يمتحن فى مادتين:

• المادة الأولى فى هذا الامتحان الأكبر: مادة حقوق العباد:

إذ إن حق العبد مقدم على حق الله ـ جل شأنه ـ لأن حقه مبنى على العفو والتسامح والصفح والستر، فهو الغفور الرحيم الرحمن الكريم.

وحق العبد مبنى على المشاحة والخصام.

وأول سؤال يعرض عليك فى هذه المادة فى الدماء.

يقول النبى ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء»[(١)].

وأول من يتقدم أمام الرحمن للخصومة على بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث ـ رضى الله عنهم ـ، وذلك لأنهم أول ثلاثة بارزوا المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة بطلب من كفار قريش.

يقول على ـ رضى الله عنه ـ: أنا أول من يجثو بين يدى الله للخصومة يريد قصته فى مبارزته هو وصاحباه حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث الثلاثة من كفار قريش: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، قال أبو ذر: وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩][(٢)].

• المقتول:

ويحضر المقتول أمام المحكمة معلقًا رأسه بإحدى يديه، متعلقًا وممسكًا قاتله بيده الأخرى.

قال رسول الله ﷺ: (يأتى المقتول معلقًا رأسه بإحدى يديه متلببًا[(٣)] قاتله بيده

(١) أخرجه البخارى ح٦٥٣٣، ومسلم ح١٦٧٨.
(٢) أخرجه البخارى رقم ٤٧٤٤، ومسلم ٣٠٣٣.
(٣) أى ممسكًا قاتله.

الأخرى تشخب أوداجه [١] دمًا حتى يوقفا فيقول المقتول لله ـ سبحانه ـ: هذا قتلنى فيقول الله ـ تعالى ـ للقاتل: تعست ويُذْهَب به إلى النار» [٢].

وهذا أمير قد جاء ساعتئذ قد تعلق به ألف قتيل أو عشرة آلاف قتيل أو مائة ألف أو يزيدون هؤلاء يقولون: قتلتنا بيديك ابتغاء السلطان والكرسى ظلمًا وعدوانًا.

وهؤلاء يقولون: أمرت بقتلنا وساعدت فيه بشطر كلمة.

وهؤلاء يقولون: رضيت بقتلنا ولم تعاقب من خاض فى دماء المؤمنين الصالحين.

وهؤلاء يقولون: قتلنا الجوع فى عهدك.

وإن قتلت عصفورًا ظلمًا عجَّ [٣] إلى الله يومئذ يقول: سل هذا فيم قتلنى أقتلنى منفعة أم عبثًا؟ وهذا فى سائر الحيوانات.

قال رسول الله ﷺ: ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها إلا يسأل الله عنها يوم القيامة قيل، يا رسول الله، وما حقها؟ قال: حقها أن تذبحها فتأكلها، ولا تقطع رأسها فترمى به» [٤].

* * *

وإن كنت ضربت إنسانًا أو حيوانًا ظلمًا اقتص منك يوم القيامة قال ﷺ: «من ضرب مملوكه سوطًا ظلمًا اقتص منه يوم القيامة» [٥].

---

(١) أى تسيلان دمًا، والودجان هما العرقان الموجودان بالرقبة.

(٢) أخرجه الترمذى ح٣٠٢٩، وأحمد (١/ ٢٢٢، ٣٦٤) والنسائى (٧/ ٨٥).

(٣) أى: نادى بأعلى صوته.

(٤) أخرجه النسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد وسكت عليه المنذرى (٣/ ٢١٣) بينما ذكره الألبانى فى ضعيف النسائى رقم ٤٣٦٠.

(٥) أخرجه البزار والطبرانى بإسناد حسن كما قال المنذرى (٤/ ٣٠٣)، وانظر: صحيح الجامع رقم ٧٣٧٤.

وإن شتمته وقذفته أقيم عليك الحد يومئذ.

قال نبى الرحمة ﷺ: «من قذف مملوكه بريئًا مما قال: أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»(١).

وإن ظلمت كتابيًا معاهدًا أو انتقصته حقه أو كلفته فوق طاقته أو أخذت منه شيئًا بغير طيب نفس أو استحللت سرقة ماله جاءك النبى ﷺ مخاصمًا لك وشاهدًا عليك ومُظْهِرًا لظلمك وإثمك، وهو صاحب الشفاعة الرءوف الرحيم.

قال سيد الخلق ﷺ: «ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه فى حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»(٢).

وإن كان عملك تعذيب الناس واعتقالهم وإدخالهم السجون والإساءة إليهم.

وأنت تعلم بلا ريب ـ عُذبت يوم القيامة عذابًا أليمًا، فأشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُعذِّبون الناس فى الدنيا.

فكم من شرطى قد جىء به يوم القيامة ليقتص منه من مليون ضربة بيد أو مليار ضربة بسوط.

وبينما أنت تتحسر على ضياع عمرك فى الدنيا فى الملاهى وعند المقاهى، وتفكر فى شبابك فيما أبليته إذا بك تسأل عن ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه»(٣).

ويأتيك سؤال فى الوفاء بالعهد لماذا لم توفِ بالعهد الذى قطعته على نفسك يوم كذا؟ لماذا أخلفت الوعد مع فلان؟

(١) أخرجه البخارى (ح٦٨٥٨)، ومسلم (ح١٦٦٠).

(٢) أخرجه البخارى رقم ١٨٩٤، ومسلم رقم ١١٥١.

(٣) أخرجه الترمذى، وقال: حسن صحيح، ورواه البزار والطبرانى بإسناد صحيح.

قال ـ جل وعز ـ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤].

ويسأل العبد عن كل شيء سمعه أو رآه أو أكنَّه فى قلبه، فيقال له: قلت: رأيت كذا ولم تر، ويقال له: قلت: سمعت كذا ولم تسمع، ويقال له: أضمرت لأخيك حقدًا أو كراهية.

قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وهذا يقول: أخذت مالى، وهذا يقول سرقتنى، وهذا يقول تطاولت بلسانك علىَّ، وآخر يقول: شتمتنى وسببتنى ولعنتنى.

فيظلون يشتكون إلى ربهم حتى يأخذوا حسناتك ويحمِّلوك سيئاتهم. قال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع، قال: إنَّ المفلس من أمتى، من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإنْ فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه ثمَّ طُرِح فى النار»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: من كان عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخِذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمِل عليه»[(٢)].

فلا يدخل أحد الجنة وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة. فعن عبد الله بن أنيس قال: يقول رسول الله ﷺ: «يحشر الله العباد ـ أو قال الناس ـ وأومأ بيده إلى الشام ـ عراة غرلاً بُهمًا: قال ما بُهْمًا؟ قال: ليس معهم شيء

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٥٨١.

(٢) أخرجه البخارى رقم ٢٤٤٩.

فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُد ومن قَرُب، أنا الملك أنا الديان، لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وواحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة» قال: قلنا وكيف وإنما نأتى الله عراة حفاة، قال: بالحسنات والسيئات»[1].

سبحانك يا رب ما أعدلك.

حتى أهل النار يأخذون حقوقهم من أهل الجنة ولا يقال: إنهم داخلون الجنة فلا يؤثر فيهم أخذ المظالم من أهل الجنة.

فتصور نفسك وقد أحاط بك أصحاب الحقوق والمظالم هذا رجل يأخذ بيدك وهذا آخر يقبض على ناصيتك، وهذا ثالث يتعلق بعنقك، هذا يقول: ظلمتنى، وهذا يقول: شتمتنى، وهذا يقول: استهزأت بى، وهذا يقول: ذكرتنى فى الغيبة بما يسوؤنى، وهذا يقول: جاورتنى فأسأت جوارى. وهذا يقول: عاملتنى فغششتنى، وهذا يقول: بايعتنى فغبنتنى وأخفيت عنى عيب سلعتك، وهذا يقول: كذبت فى سعر متاعك.

وهذه ابنتك أو أختك أو أمك تقول: لم تصلنى وقطعتنى ومنعت عنى الميراث وأعطيته الأبناء والإخوة.

يقول ابن مسعود - رضى الله عنه - يؤخذ بيد العبد أو الأمة فينصب على رءوس الأولين والآخرين، ثمَّ ينادى مناد هذا فلان ابن فلان فمَن كان له حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة بأن يدوّن لها الحق على ابنها أو أختها أو أبيها أو على زوجها، ثمَّ قرأ ابن مسعود: ﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيقول الرب - تعالى - للعبد: ائتِ هؤلاء حقهم، فيقول: يا رب

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٨) وصححه ووافقه الذهبى، وقد رحل جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - مسيرة شهر فى طلب هذا الحديث، وقال العراقى فى تخريج الإحياء: رواه أحمد بإسناد حسن.

فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته، فإن كان وليًا لله فضلت من حسناته مثقال ذرة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثمَّ قرأ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٤٠] وإن كان عبدًا شقيًا قالت الملائكة: رب فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول للملائكة: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكًا إلى النار»(١).

وهذه ابنتك المتبرجة أو زوجتك السافرة تقول: رباه أبى ما أمرنى بالحجاب، زوجى ما علمنى أحكام سورة النور، أبى ما علمنى آداب سورة الحجرات. . . فخذ بحقى يا منتقم من زوجى ووالدى ويسألك ربك عمَّن كنت راعيًا عليهم. يسألك عن أولادك وينظر فى حوائجهم قبل حوائجك، وأشد الناس فى ذلك أئمة المسلمين وولاتهم.

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله** سائل كل راع عمَّا استرعاه حفظ أم ضيَّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»(٢).

قال النبى ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع مسئول عن رعيته»(٣).

فمن شق على المسلمين فى حكمه شق الله عليه، وإن احتجب دون حاجتهم ومصلحتهم إلا احتجب له دون حاجته وفقره.

قال رسول الله ﷺ: «من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون

(١) خبر حسن، أبو نعيم. (٤/ ٢٠٢).
(٢) قال فى الترغيب (٣/ ١٠٩) رواه ابن حبان فى صحيحه وانظر صحيح الجامع رقم ١٧٧٤.
(٣) أخرجه البخارى ومسلم.

حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة»[١].

وإن كنت أميرًا يتعلق بك شعبك يوم القيامة وتمسك رعيتك بتلابيبك يومئذ.

يقولون يا ربنا لم يحكم بشرعك، وبدَّل منهاجك، وغيَّر دينك، وحكم بالقوانين الغربية العلمانية. ومنع الحجاب الشرعى للنساء.

ونادى بالاختلاط بين الجنسين وسفور المرأة والفن الساقط والتمثيل الرخيص.

وحارب الشيوخ الرُّكع والشباب السُّجد واعتقل الصالحين من عبادك وآذى أولياء الله وكمم أفواه الدعاة والعلماء وكرَّم الفساق والفجار والظلمة.

واغتصب أموال المسلمين وحولها لحسابه الخاص، وقرَّب أقربائه.

عندئذ يغضب منه الحبيب المصطفى ﷺ ويشتد غضبه عليه، ويرفض الشفاعة لهذا الظالم الأفَّاك الجبار العنيد والطاغية الغدَّار.

قال سيد الشافعين ﷺ: «صنفان من أمتى لن تنالهما شفاعتى: إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق»[٢].

فإنْ كان مواليًا لأعداء الله يقدم رضاهم على رضا الله، ويحب ما يحبون ويكره ما يكرهون.

غضب عليه الجليل ـ جل جلاله ـ وألحقه بأئمة الكفر والتقطه عنق جهنم يقول ذرونى وإياه فقد وُكلت به وهذا يقول كنت معلمى ولم تعلمنى، كنت أستاذى ولم ترشدنى وتفقهنى ـ وأخلصت فى الدروس الخصوصية وما صنعت مثل ذلك فى تدريسك فى المدرسة أو المعهد، وتلميذ آخر يقول: أجبرتنى على حضور الدزوس الخاصة وأنا فقير.

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود، والترمذى والحاكم وقال: صحيح الإسناد وأخرجه أحمد (٥/٢٣٨، ٢٣٩) قال المنذرى: إسناد جيد.

(٢) الحديث حسن أخرجه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات، انظر الترغيب (٣/١٩٦) وصحيح الجامع رقم ٣٧٩٨.

وهذا شيخ كبير يتعلق بك يقول يا ربى: أتيت لأقضى مصلحتى عنده فلم يرحم ضعفى وعجزى وكبر سنى.

وهذا طفل صغير يصرخ فى وجهك: إلٰهى وسيدى إنَّ عبدك هذا ما رحم صغر سنى وضعف قوتى وهذا عالم بالشريعة يقول: إلٰهى وسيدى ومولاى إنَّ عبدك هذا ما وقَّرنى حق التوقير، وما بجلنى حق التبجيل، وما أعطانى حقى، ونقل التقدير والتبجيل والتعظيم لمن لا يستحق التقدير والإجلال والتوقير كالفنانين واللاعبين.

وهذا إنسان يتعلق بآخر فيقول له: ما لك وما لى ولم أعرفك ولم أعاملك فيقول: رأيتنى على المنكر ولم تنهنى.

وهذا عبد يقول: وجدتنى جائعًا فلم تطعمنى، وهذا عبد يقول طلبت منك السقيا فبخلت بالماء مع كثرته ورب العالمين يصدق قولهم فتقوم الحجة عليك.

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ـ عز وجل ـ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى؟ قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى؟ قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى؟ قال: يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندى»[1].

وهذا يقول منعتنى فضل مائك وأنا محتاج إليه فيقيم الله عليه الحجة ولا يكلمه إلا كلام عتاب.

قال الله ـ عز وجل ـ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الأدب.

خصمته رجل أعطى بى عهداً ثمَّ غدر، ورجل حلف على يمين صبراً[١] بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل مائه فيقول الله له: اليوم أمنعك فضل مائى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك، وفى رواية: رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل»[٢].

وهذا يقول كنت أمينًا على أموالى وشركاتى فخنتنى وسرقتنى، واستخدمت سيارة الشركة وعقارها وهاتفها لمصلحتك الشخصية.

وهذا يقول طلبت منى الرشوة وأوقعتنى فى الحرام وقدمت قريبك علىَّ.

وهذا مهندس بنى العمارات يتعلق به المئات والآلاف يومئذ يقولون: غششت فى مواد البناء انتقم منه يا منتقم.

وهذا يقول: عملت لى فكنت تأكل وتشرب من مطعمى من ورائى وتأخذ ما ليس من حقك.

وهذا يقول: بعت لى بضاعة أو فاكهة وعلمت وجود العيب فيها فغششتنى وأخذت مالى ظلمًا.

وهذا يقول: ساعدتنى على معصية الله.

وآخر يقول: كنت محاميًا وترافعت عن خصمى وأنت تعلم ارتكابه للجريمة ووقوعه فى الإثم فبرأته ونجيته.

ومن عليه أمانة وكأن قادراً على أدائها ولم يؤدها وما جهد نفسه فى ردها لصاحبها.

يؤتى به يوم القيامة وإن قتل فى سبيل الله فيقال له أدِّ الأمانة، فإن لم تسعفه حسناته الماحية ولا الشفاعة من الشافعين، يقال انطلقوا به إلى الهاوية لتأتى بالأمانة.

---

(١) أى كذبًا.

(٢) أخرجه البخارى رقم ٢٣٦٩ ومسلم رقم ١٠٨.

يقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: القتل فى سبيل الله يُكَفِّر الذنوب كلها إلا الأمانة قال: يُؤتَى العبدُ يوم القيامة وإن قُتِل فى سبيل الله، فيُقال: أدِّ أمانتك، فيقول: أى ربٍّ كيف؟ وقد ذهبت الدنيا، فيُقال: انطلقوا به إلى الهاوية فيُنطلق به إلى الهاوية، وتُمثَّل له أمانته كهيئتها يوم دُفِعت إليه، فيراها فيعرفها، فيهوى فى أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج قَلَّتْ[1] عن منكبيه، فهو يهوى فى أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدَّدها، وأشد ذلك الودائع . . . »[2].

• سؤال فى الدين:

ويعرض عليك ربك سؤالاً فى الدين، فيم أخذت أموال الناس؟ فإن كنت أخذت لحاجة ضرورية وتريد أداءها أدى الله عنك وقضى عنك.

عن عبد الرحمن بن أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ قال: يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقال يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم ضيَّعت حقوق الناس، فيقول: يا رب إنك تعلم أنى أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أضيِّع ولكن أتى علىّ إما حَرْق، وإما سرق وإما وضيعة[3] فيقول الله: صدق عبدى أنا أحق مَن قضى عنك فيدعو الله بشىء فيضعه فى كفة ميزانه فيرجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل رحمته)[4].

والشهيد يعرض عليه سؤال واحد فى الدين، فإن شهادته كفرت عنه الذنوب

(١) أى سقطت.

(٢) أخرجه أحمد والبيهقى موقوفًا، وذكر عبد الله بن الإمام أحمد فى كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه، فقال: إسناده جيد.

(٣) الوضيعة: البيع بأقل عما اشترى به.

(٤) قال المنذرى (٣/ ٣٦) أخرجه أحمد والبزار والطبرانى وأبو نعيم أحد أسانيدهم حسن، انظر الحلية (٤/ ١٤١).

كلها عدا الدين، قال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده لو أن رجلاً قُتِل فى سبيل الله ثمَّ أحيى ثم قتل ثم أحيى وعليه دين ما دخل الجنة حتى يُقْضى عنه»(١).

وقال عليه صلوات الله وسلامه ـ: «القتل فى سبيل الله يُكَفِّر كل شىء إلا الدين»(٢).

فكيف أنت يا مسكين فى يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول: أين حسناتى؟ فيُقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال فى الصبر عنها نصبك، واشتد بسبب الكف عنها عناؤك، فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط! فيقال: هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة والمناصحة والمعايشة والطعام والشراب والسفر والعمل والزمالة والصداقة وفكِّر بخَلَدك فى هذه المشاهد:

هذا رجل جىء به يصب فى أذنيه الرصاص المذاب

قال رسول الله ﷺ: «من تَحَلَّم بحلم لم يره(٣) كُلِّف أن يعقد بين شَعِيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون. صُب فى أذنيه الآنُك(٤) يوم القيامة ومن صورَّ صورةِ(٥) عُذب وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»(٦).

ومن شدة الحساب والقصاص أنه يكون للوالدين على ولدهما دين، فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به، فيقول: أنا ولدكما، فيودان أو يتمنيان لو كان أكثر من

---

(١) صحيح أخرجه النسائى (٧/ ٣١٥) والحاكم (٢/ ٢٥) وصححه ووافقه الذهبى.
(٢) أخرجه مسلم رقم ١٨٨٦ .
(٣) أى قال إنه حلم فى نومه ورأى كذا وكذا وهو كذاب.
(٤) الآنك: الرصاص المذاب.
(٥) أى صورة مجسمة.
(٦) أخرجه البخارى رقم ٧٠٤٢.

ذلك وكذا يكون للأولاد دين فإذا كان يومئذ يتعلقون بوالديهما، فيقولان: نحن والداكم، فيودون أو يتمنون لو كان أكثر من ذلك.

وهذه امرأة أو زوجة تقول: يا رب هذا فرَّق بينى وبين أولادى فمنعنى زيارتهم ورؤيتهم بعد أن طلقنى وطردنى من منزله وحرمنى مِنْ أولادى فيفرِّق الله بينه وبين أحبابه وخِلاَّنه، يقول النبى ﷺ: «من فرَّق بين والدة وولدها فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»[1].

وهذه امرأة بغَّضت رجلاً فى زوجته لتكون زوجة له فتقول الزوجة: هذه بغضت زوجى فىَّ وحملته على تطليقى.

والزوج يقول: أفسدت العلاقة بينى وبين زوجى خذ بحقى يا منتقم منها.

وهذه امرأة تقول وافضيحتاه واسوأتاه لأنها جرت العار والشنار على زوجها، فأباحت عرضه لغيره وأنجبت له أولاد زنا ولم تعلمه.

وهذه زوجة كانت قد جمعت الأموال الكثيرة من مال زوجها وأنفقته على نفسها وأرحامها دون إذنه جاءت يومئذ فى صورة السارقة الخائنة.

وهذه امرأة لم ترب أولادها التربية الصحيحة، ولم تعلمهم أمر الله ـ تعالى ـ ولم تدلهم على طريق الصلاح والهدى قد جىء بها يومئذ يتعلق بها أولادها، يقولون: يا ربنا ما أدبتنا الآداب السامية وما خلقتنا بالأخلاق العالية وما علمتنا القرآن خذ بحقنا منها يا مولانا.

وهذه امرأة تقول: يا ويلى يا ويلى النار مصيرى وموئلى وذلك لأنها طلبت الطلاق من زوجها فى غير ما بأس.

ومن زنى بامرأة متزوجة فُضح يومئذ وظهر أمره وبان جرمه، وعلم زوج المرأة باعتداء هذا الفاجر على عرض زوجه، وتعلق به وقال: خذ بحقى يا منتقم مِمَّن

(١) صحيح أخرجه الترمذى وقال: حسن غريب، والحاكم والدارقطنى، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وانظر صحيح الجامع رقم ٦٤١٢.

اعتدى على عرضى.

فإن كان الزانى قد تاب توبة نصوحًا وعلم الله صدقه أرضى عنه خصمه وستر عيبه وغفر ذنبه ولم يفضحه أمام الأشهاد.

وهذه امرأة أفسدت المسلمين عن طريق الفن فيقول كثير من الناس يا رب ضاعف عليها العذاب فإنها قد أبعدتنا عنك بتمثيلها ورقصها وطربها.

وهذا زوج فاسق عديم الحياء قد جاء يومئذ وكاد الحياء أن يقتله، وذلك لأنه كان يطلب من زوجته أن تتجمل أمام أصحابه وأرحامه وتظهر زينتها وأشد منه وأفظع من كان يأمر زوجته أن ترقص أمام أصدقائه.

وهذا رجل طلق زوجته ثلاثًا وعاشرها معاشرة الأزواج وهو عالم بالتحريم قد جاء فى صورة الزانى منتفخ البطن نتن الرائحة قبيح المنظر أسود الوجه.

والمرأة التى وافقته على ذلك جىء بها وقد انتفخ بطنها واسودَّ وجهها زيادة على قبح منظرها.

ومن أشد الناس نكالاً يوم الحساب جامع الضرائب ظلمًا ومعذب الصالحين والأولياء فى السجون والمعتقلات وكذا من أرشد عليهم أو سعى ولو بكلمة أو أعان ولو بإشارة.

ومثلهم من كمم أفواه الدعاة وعلماء الإسلام أو منع الخطب والمحاضرات فى بيوت الله.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

ومن شهد على شهادة فى الدنيا شهد عليها فى الآخرة.

وتعرض الشهادات بحق أو بباطل كهيئتها فى الدنيا.

عن سليمان بن راشد أنه بلغه: «أن امرأً لا يشهد على شهادة فى الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة على رءوس الأشهاد، ولا يمتدح عبدًا فى الدنيا إلا امتدحه يوم القيامة على رءوس الأشهاد»(١).

ومصداق هذا فى كتاب الله: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩].

وإن كنت حريصًا على الجلوس على المقاهى واستماع التمثيليات ومشاهدة المباريات ورؤية العاريات السافرات رأيت ذلك حسرة وندامة يومئذ.

قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يقومون عن مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة»(٢) هذا لمجرد الحضور والجلوس دون ذكر وصلاة على النبى ﷺ فكيف وهم لا يسلمون من منكر.

وقال ﷺ: «ما قعد قوم مقعدًا لم يذكروا الله - عز وجل - فيه، ويصلوا على النبى ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب»(٣).

وتتوالى الحسرات والصرخات:

فكم من شيخ وضع يده على لحيته ويقول: واشيبتاه واطول حسرتاه واضعف قوتاه وكم من كهل يقول: وامصيبتاه واطول مقاماه، وكم من شاب ينادى: واأسفاه واشباباه على تغيير حسناه، وكم من امرأة قد قبضت على ناصيتها وشرها وهى تنادى واسوأتاها واهتك أستارها.

ومن هول الموقف:

أن المؤمن يُحَقِّر عمله ولو أنه سار عمره كله فى طاعة الله ويود لو أنه عاد إلى الدنيا فزاد من الأجر والثواب.

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم ٤٢٨٤.

(٢) صحيح أخرجه أبو داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٣) صحيح أخرجه أحمد بإسناد صحيح، وابن حبان فى صحيحه (ح٥٩١) والحاكم وقال: صحيح على شرط البخارى، انظر الترغيب (٢/ ٣٣٧).

قال سيد الشفعاء ﷺ: «لو أن رجلاً خرَّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرمًا فى طاعة الله ـ عز وجل ـ لحقره ذلك اليوم ولودَّ لو أنه رد إلى الدنيا كيما يزاد من الأجر والثواب»(١).

• المادة الثانية: حقوق رب العباد:

وأول سؤال يعرض عليك فى هذه المادة عن الصلاة:

قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال: يقول ربنا ـ عز وجل ـ لملائكته: انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها، فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدى من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه، ثمَّ تؤخذ الأعمال على ذلك»(٢).

فينظر فى الزكاة فإن كانت تامة كُتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه.

ثمَّ يُنظر فى صيامك فإن كان تامًا كُتِب تامًا، وإن كنت انتقصت منه شيئًا قال: انظروا هل لعبدى من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه كصيام الاثنين والخميس.

ثمَّ ينظر فى حجك فإن كان تامًا كُتِب تامًا، وإن كنت انتقصت منه شيئًا قال: انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه كالعمرة.

(١) صحيح أخرجه أحمد (٤/ ١٨٥) قال المنذرى: رواته رواة الصحيح (٤/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٠) وأبو داود رقم ٨٦٤، والترمذى رقم ٤١٣، والنسائى (١/ ٢٣٢) وابن ماجه رقم ١٤٢٥ والحديث صحيح.

ويؤتى بالمرائى يوم القيامة ومعه أمثال الجبال من الحسنات فيقال: صليت يوم كذا ليقال فلان صلى فيُضرب بصلاته فى وجهه، صمت يوم كذا وكذا ليقال: صام فلان فيُرد عليه صومه، وتصدقت يوم كذا وكذا ليقال: فلان تصدق فلا تقبل صدقته.

وإن قاتلت فى سبيل الله لأجل منصب أو مال أو لإصابة عرض من الدنيا يقال قاتلت فى سبيل الله ليقال فلان شجاع وقد قيل فيكون جهاده عليه لا له.

ومن حمل القرآن المجيد وقرأه من أجل الناس وابتغاء عرض الدنيا كقراء المآتم ونحوهم يُقال لأحدهم: قرأت القرآن ليقال فلان قارئ صاحب صوت حسن وقد قيل فتكون قراءته فى ميزان سيئاته.

وهكذا يأتى المرائى بأعمال كأمثال الجبال فتصير هباءًا منثورًا وتصبح حجة عليه لا له، وترديه إلى جهنم وبئس المأوى.

فيقول: أين ثواب عملى؟ أين حسناتى؟ أين صلاتى؟ أين صدقتى؟ أين صومى؟ أين حجى؟ أين قراءتى؟ . . .

فيقال: اطلب ثوابها ممن عملت له.

قال النبى ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من عمل عملاً لغير الله فليطلب ثوابه ممَّن عمله له»(١).

وعن شفى الأصبحى أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدِّث الناس، فلما سكت وخلا قلت له: أسألك بحق وبحق لما حدثتنى حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ فى هذا البيت عقلته وعلمته، ثمَّ

(١) حسن أخرجه ابن سعد كما فى الكنز (٣/ ٧٤٧٦) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٧٨٢ وتخريج الترغيب (١/ ٧٥).

نشغ[1] أبو هريرة نشغة، فمكثنا قليلاً ثمَّ أفاق فقال: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ فى هذا البيت ما معنا أحد غيرى وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثمَّ أفاق ومسح عن وجهه، فقال: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو فى هذا البيت ما معنا أحد غيرى وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثمَّ أفاق ومسح وجهه، فقال: أفعل لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا معه فى هذا البيت ما معه أحد غيرى وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثمَّ مال خارًا على وجهه، فأسندته طويلاً ثمَّ أفاق فقال: حدثنى رسول الله ﷺ: «أن الله ـ تعالى ـ إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضى بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل فى سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما نزلت على رسولى؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة له: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال، فلان جواد، وقد قيل ذلك، ويؤتى بالذى قُتل فى سبيل الله، فيقول الله له: فيماذا قُتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد فى سبيلك، فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جرىء، فقد قيل ذلك «ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتى، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة».

قال الوليد أبو عثمان المدائنى: فأخبرنى عقبة أن شفيًا هو الذى دخل على معاوية ـ رضى الله عنه ـ فأخبره بهذا، قال أبو عثمان: وحدثنى العلاء بن أبى

(١) نشغ: شهق حتى كاد يغمى عليه.

حكيم أنه كان سيافًا لمعاوية، قال: فدخل عليه رجل، فأخبره بهذا عن أبى هريرة، فقال معاوية: قد فُعِل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس؟ ثمَّ بكى معاوية بكاءً شديدًا حتى ظننا أنه هالك، وقلنا: قد جاءنا هذا الرجل بشر، ثمَّ أفاق معاوية ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله ورسوله ﷺ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦][١].

ويعرض عليك سؤال فى سكوتك عن إنكار المنكر.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول له: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقَّن الله عبدًا حجته قال: يا رب رجوتك وفرقت من الناس[٢]»[٣].

وإذا كنت غير مُبالٍ ولا مكترث بتغيير المنكر أقيمت عليك الحجة.

قال ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ: «لا يحقرن أحدكم نفسه إذا رأى أمرًا لله عليه فيه مقال فلا يقول فيه فيقول يوم القيامة: ما منعك إذا رأيت كذا وكذا أن تقول فيه، فيقول له أى ربِّ خفت الناس، فيقال: إياى كنت أحق أن تخاف»[٤].

فلما يرى العبد كثرة معاصيه وجرم ذنوبه وقبح أفعاله ويعلم أنه هالك، يتبرأ من أعماله ويذكر أن الذى أغواه قرينه من الجن، ولولاه ما غوى وما ضل وما ارتكب الموبقات فيحضر الحق العدل ـ سبحانه ـ قرينه من الجن، فيتجادلان، يقول العاصى: أنا برىء وهو الذى أغوانى، ويقول الجان: ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد.

(١) أخرجه الترمذى رقم ٢٣٨٢ وقال حديث حسن غريب وأصله عند مسلم.

(٢) أى رجوت رحمتك وخفت من الناس.

(٣) أخرجه ابن ماجه رقم ٩٠١٧ قال فى الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٤) أخرجه ابن ماجه رقم ٤٠٠٨، وأحمد (٣/ ٣٠، ٤٧) وقال فى الزوائد: إسناده صحيح.

قال ـ تعالى ـ مبينًا لهذه المجادلة بين الإنسان وقرينه:

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٧ ـ ٢٩].

قال بعض السادة: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة:

رجل ملك عبدًا فعلمه شرائع الإسلام، فأطاع وأحسن وعصى السيد، فإذا كان يوم القيامة أُمر بالعبد إلى الجنة، وأُمِر بسيده إلى النار، فيقول عند ذلك: واحسرتاه! وا غبناه! أما هذا عبدى؟ أما كنت مالكًا لمهجته وماله؟ وقادرًا على جميع ماله؟ فما له سعد وما لى شقيت؟ فيناديه الملك الموكل به: لأنه تأدب وما تأدبت وأحسن وأسأت.

ورجل كسب مالاً فعصى الله ـ تعالى ـ فى جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار إلى وارثه، فأحسن فى إنفاقه وأطاع الله ـ سبحانه ـ فى إخراجه، وقدّمه بين يديه، فإذا كان يوم القيامة أمر بالوارث إلى الجنة، وأمر بصاحب المال إلى النار، فيقول واحسرتاه! واغبناه! أما هذا مالى فما أحسنت به أحوالى وأعمالى فيناديه الملك الموكل به: لأنه أطاع الله، وما أطعت، وأنفق لوجهه وما أنفقت، فسعد وشقيت.

ورجل علَّم قومًا ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل، فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة، وأُمر به إلى النار فيقول: وا حسرتاه! وا غبناه! أما هذا علمى؟ فما لهم فازوا به وما فزت؟ وسلموا به وما سلمت؟ فيناديه الملك الموكل به: لأنهم عملوا بما قلت، وما عملت، فسعدوا وشقيت.

وكذلك قال إبراهيم النخعى ـ رضى الله عنه ـ: إنى لأكره القصص لثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

حساب المؤمن

فإن كنت من المؤمنين الأتقياء أقبلت على المحكمة الإلهية ناضر الوجه.

فَقرَّبك ربك وأدناك، وستر عليك وآواك وغفر لك ذنوبك وأرضاك وأبدلك بالسيئات حسنات وقبل منك الحسنات الماحيات، والطاعات المكفرات.

قال رسول الله ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ: «يُدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: ربِّ أعرف، قال: فيقول: إنى سترته عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال: فيعطى صحيفة حسناته..»[1].

وفسّر هذا الحديث أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ فقال: يدنى الله العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه[2] فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه فى ذلك الستر فيقول له: اقرأ يا ابن آدم كتابك قال: فيمر بالحسنة فيبيضُّ لها وجهه، ويمرُّ بالسيئة فيسودُّ لها وجهه، قال: فيقول الله ـ تعالى ـ له: أتعرف يا عبدى؟ قال: فيقول: نعم يا رب أعرف، قال: فيقول: إنى أعرف بها منك، قد غفرتها لك، قال: فلا تزال حسنة تُقبل فيسجد.

وإن كنت من أهل الرشاد، والتوفيق والسداد، الذين وفوا الله بالميعاد، وخافوا مولاهم رب العباد، أخذ بيدك الملك وقادك، يجوز بك بالرفق ورفع الخلائق أبصارهم إليك، وتمنوا مثل ما مَنَّ الله عليك، وأنت سائر إلى ربك ليجازيك بسعيك، ويعدل إليك بكسبك، فلما انتهى بك المَلَك إلى سلطان العظمة، تلقاك ربك بالكرم والرحمة، وسترك ـ جل جلاله ـ بالنور، وأبدى لك

---

(١) أخرجه البخارى رقم ٢٤٤١، ومسلم رقم ٢٧٦٨.

(٢) أى حفظه وستره.

البشرى والسرور، وقربك وأدناك، وفضلك وحاباك، فلم يطلع على حسابك مَلَك ولا نبى ولا رسول، إلا الملك الجبار الذى لا يحول ولا يزول، فيقول لك: عبدى أنت الذى تسهر والعباد نائمون، وتصوم والعباد يشبعون، وتبكى والعباد يضحكون، وتحزن والعباد يفرحون، وتخافنى والعباد آمنون، أنت الذى كنت تجتهد فى عبادتى وتتصدق والعباد يبخلون، وتبذل المعروف بين عبادى والناس يمنعون.

يقول المولى ـ جلَّ جلاله ـ: فوعزتى وجلالى وملكى ومجدى وكبريائى وعظيم سلطانى وقدرتى على جميع العباد لأؤمنن روعك، ولأبيحنك جنتى، ولأوسعنك مغفرتى ورحمتى، ولأعطينك من جزيل ثوابى وحسن مآبى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولأبيحنك النظر إلى وجهى ولأرفعن قدرك وجاهك، ولأشفعنك فى إخوانك وأهلك وأحبابك وجيرانك من أهل الذنوب والخطايا»[1].

* * *

(١) بستان الواعظين ص١٢٠، ١٢١ بتصرف.

محاكمة حامل القرآن

وإن كنت حاملاً للقرآن عاملاً به جئت يوم الحساب مع مَن كان على شاكلتك تتقدمكم سورة البقرة وسورة آل عمران للدفاع عنكم(١).

يقول رسول الله ﷺ: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تتقدمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شَرْق(٢) أو كأنهما فِرْقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»(٣).

فإن قيل لك: قصرت فى أمر كذا أذنبت يوم كذا وقفت سور القرآن تتكلم وتدافع وتحاج عنك، وسبحان من أنطقها.

وتشفع لك وتدخلك الجنان وتُبْعِدك عن النيران.

قال سيد ولد عدنان ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»(٤).

يقول نبى القرآن ﷺ: «يجىء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول أنا الذى أسهرت ليلك وأظمأت نهارك»(٥).

ويطلب القرآن من ربه أن يرضى عن حامله ويلبسه تاج الكرامة ويرفع درجته قال ﷺ: «يجىء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلِّه، فيلبس تاج الكرامة،

---

(١) المراد ثوابها.

(٢) أى بينهما فرق يضىء.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٨٠٥.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٨٠٤.

(٥) أخرجه ابن ماجه. قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم، فإن بشيراً هذا خرج له مسلم ووثقه ابن معين وقال النسائى ما به بأس، انظر الفتح الربانى (١٨/ ٧٢).

ثمَّ يقول: يا رب زده فيُلبس حلة الكرامة، ثمَّ يقول يا رب ارضَ عنه فيرضى عنه، فيقول: اقرأ وارق، ويُزاد بكل آية حسنة»[١].

ويقول القرآن لربه: يا رب كل عامل يعمل فى الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا إلا فلانًا كان يقوم فى آناء الليل وأطراف النهار فيحل حلالى ويحرم حرامى يقول: يا رب فأعطه فيتوِّجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ثمَّ يقول: هل رضيت فيقول: يا رب أرغب له فى أفضل من هذا فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله»[٢].

ويشفع له. يقول ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أى ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه. ويقول القرآن: ربِّ منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال: فيشفعان»[٣].

ثمَّ يشفع حامل القرآن لأهله وأقاربه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

والصائم المتفوق فى صيامه الذى يصوم فى الصيف ويكرم الضيف ويقاتل المشركين بالسيف يرويه الله من العطش ويسقيه وغيره فى شدة العطش فإنَّ الله ـ تعالى ـ قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه لله فى يوم حار كان حقًا على الله ـ عز وجل ـ أن يرويه يوم القيامة[٤].

وهذا قضاء القاضى العدل ـ سبحانه ـ.

---

(١) أخرجه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٨٠٣٠.

(٢) أخرجه البيهقى فى الشعب كما فى الكنز (١/ ٢٤٢٠) وله شاهد.

(٣) أخرجه أحمد والطبرانى والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم وصححه صاحب صحيح الجامع رقم ٣٨٨٢.

(٤) قال المنذرى: (٢/١٠٨) رواه البزار بإسناد حسن إن شاء الله وانظر صحيح الترغيب رقم ٩٧٠، ٩٧١.

فمَن عرق لله هنا فى دار الدنيا أظله الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

ومن عطش لله - تعالى - فى الدار الفانية سقاه من شراب الجنة فى الدار الآخرة.

• المؤذن المحتسب[١]:

والمؤذن المحتسب يكون يومئذ أطول الناس عنقًا كما رفع نداء فى عالم الدنيا.

قال ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة»[٢].

وكل من سمع صوت أذانه يوم الحساب ليشهد له سواء كان إنسًا أو جنًا أو شجرًا أو حجرًا.

قال ﷺ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا مَدر[٣] ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة»[٤].

ومن حرم شهوات الحياة الدنيا ولم يتعلق قلبه بها وآثر الآخرة على الأولى وتحمل الفقر وشدة العيش من أجل الله يؤتى به يومئذ فى أبهى صورة نوره كنور الشمس.

عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال: «كنت عند رسول الله ﷺ يومًا، فطلعت الشمس، فقال: يأتى قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس، قال أبو بكر نحن هم يا رسول الله؟ قال: لا، ولكم خير كثير، ولكنهم الفقراء المهاجرون الذين يحشرون من أقطار الأرض..»[٥].

---

(١) أى الذى أذن ابتغاء الأجر فى الآخرة.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أى حجر.

(٤) أخرجه البخارى رقم ٦٠٩.

(٥) صحيح أخرجه أحمد والطبرانى، وأحد إسنادى الطبرانى رواته رواة الصحيح، وصححه المنذرى، وانظر صحيح الجامع (٣٩٢١).

• أهل الفترة:

وعندما يرى المجانين والحمقى والصُّم وأهل الفترة شدة الموقف يظنون أنهم هالكون وسائرون إلى النار فيحتجون إلى ربهم ويذكرون أعذارهم فيمتحنهم ربهم امتحانًا خاصًا.

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هَرِم[١]، ورجل مات فى فترة[٢].

فأما الأصم، فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا.

وأما الأحمق فيقول: ربِّ جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، والصبيان يخذفوننى بالبعر!

وأما الهَرِم فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا.

وأما الذى مات فى الفترة فيقول: ربِّ ما أتانى لك رسول، فيأخذ مواثيقهم لَيُطِيعنَّه فيرسل إليهم: أن ادخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها سُحِب إليها»[٣] ودخلها وكان من أهلها، وذاق عذابها وعقابها.

* * *

---

(١) الهَرِم: المقصود به الشيخ الكبير الذى ذهب عقله فهو كالمجنون.

(٢) الذى مات فى الفَتْرة: من كان بين زمان نبى ونبى ولم تبلغه الدعوة.

(٣) أخرجه أحمد والبزار وابن أبى عاصم فى السنة، والبيهقى فى الاعتقاد، قال البيهقى: هذا الإسناد صحيح.

الميزان

وبعد أن تحاسب على أعمالك ينصب الميزان وتتقدم لوزن أعمالك فَتَذَكَّرْ يوم يؤتى بك فتوقف بين كفتى الميزان، فإن رجح نادى المنادى بصوت يسمعهُ الخلائق كلها: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خف نادى الملك: شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا:

تذكر يوم تأتى الله فردًا ... وقد نُصِبت موازين القضاء

وهتكت الستور عن المعاصى ... وجاء الذنب منكشف الغطاء

هذا الميزان كبير الحجم للغاية بحيث إنه يسع السموات السبع والأرضين السبع. قال النبى ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة فلو دُرِّى فيه السموات والأرض لوَسِعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله: لمن شئت من خلقى، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»(١).

«وعند الميزان ملك إذا وُزِن العبد نادى: ألا إن فلان ابن فلان قد ثقلت موازينه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، ألا إنَّ فلان ابن فلان قد خفت موازينه وشقى شقاءً لا يسعد بعده أبدًا»(٢).

وأما الكافر فتوزن أعمالهُ كما توزن أعمال المؤمن لكن لا قدر لها.

كما قال تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

قال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، واقرءوا إن شئتم ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»(٣).

---

(١) أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح أخرجه ابن المبارك فى زوائد الزهد (٣٧٢) عن عبيد الله بن العيزار.

(٣) أخرجه البخارى رقم ٤٧٢٩.

وأعمالك توزن كما توزن صحائف أعمالك، فكيف بك وأنت ترى صحائف الأعمال توزن والأعمال نفسها توزن.

فالحمد لله تملأ ميزانك.

قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان»[١].

وسبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم تثقّلان ميزان العبد إن كان من أهلهما قال رسول الله العظيم: «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[٢].

والخلق الحسن أثقل شىء فى الميزان.

قال النبى ﷺ: «ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإنَّ الله يبغض الفاحش البذىء»[٣].

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رجلاً قعد بين يدى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله: إنَّ لى مملوكين يكذبوننى ويخوننى ويعصوننى وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فوق ذنوبهم اقْتُصَّ لهم منك الفضل، قال: فتنحّى الرجل فجعل يبكى ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله ـ تعالى ـ قال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء:٤٧] فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لى ولهؤلاء شيئًا خيراً من مفارقتهم أشهدك أنهم أحرار كلهم[٤].

فكيف بك إذا رأيت أعمالك توزن؟

ثمَّ كيف بك إذا أُمِر بك أن توضع فى الميزان بشحمك ولحمك والناس

(١) أخرجه مسلم كتاب الطهارة (١/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٧٢).

(٣) أخرجه الترمذى وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى: حسن صحيح.

(٤) أخرجه الترمذى رقم (٣١٦٥) وأحمد (٦/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) والحديث صحيح.

ينظرون إليك وأنت فى كفة الميزان فإما أن تخف بك أو تثقل، فإن ثقلت بك فأنت من المفلحين وإن خفت بك فأنت من الطالحين.

قال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥][١].

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يجنى سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم، فقال رسول الله ﷺ مم تضحكون؟ قالوا: يا نبى الله من دقة ساقيه، فقال: «والذى نفسى بيده، لهما أثقل فى الميزان من أحد»[٢].

ومما يثقل ميزان العبد طول الصمت:

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: لقى رسول الله ﷺ أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر، وأثقل على الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله، قال عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذى نفسى بيده ما عمل الخلائق بمثلهما»[٣].

ويثقل ميزانك أيضًا المواظبة على قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وأفضل من ذلك وأثقل فى الميزان صبرك على فقدك ولدك الصالح.

عن أبى سلمى ـ رضى الله عنه ـ راعى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بخٍ بخٍ، وأشار بيده لخمس ما أثقلهن فى الميزان: سبحان

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صفة القيامة (٤/ ٢١٤٧).

(٢) أخرجه أحمد، والترمذى وقال الترمذى غريب.

(٣) قال المنذرى فى الترغيب ٣/ ٣٥٦: رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى والبزار وأبو يعلى بإسناد جيد رواته ثقات، واللفظ له وانظر الصحيحة رقم ١٩٣٨.

الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يُتَوفَّى للمرء المسلم فيحتسبه»[١].

وصحائف الأعمال توزن أيضًا لكمال العدل وتمام القسط وهذه صورة ميزان أحد عباد الله وزنت صحف أعماله فإذا بها فارغة من الحسنات.

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يستخلص رجلاً من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مدّ البصر ثمَّ يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فقال: لا يا رب فيقول: بل إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء»[٢].

ويلقى القريب قريبه يومئذ فلا يسأله عن حاله ولا ينشغل بأمره وهو يراه فى أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠ - ١١].

ويرى الإنسان يومئذ ابنه وأباه وزوجته وأرحامه فيبتعد عنهم ويفر منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل.

قال عكرمة: يلقى الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه أى بعل كنت لكِ؟ فتقول: نِعم البعل كنت وتُثنى بخير ما استطاعت فيقول لها: فإنى أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبينيها لى لعلى أنجو مما ترين، فتقول له: ما أيسر ما طلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئًا أتخوف مثل الذى تخاف: قال: وإنَّ الرجل

(١) قال المنذرى (٣/١٢٣) رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم، ورواه البزار من حديث ثوبان، وحسَّن إسناده، والطبرانى من حديث سفينة ورجاله رجال الصحيح.

(٢) حسن أخرجه الترمذى رقم ٢٦٣٩، وابن ماجه رقم ٤٣٠٠.

ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: أى بنى أى والد كنت لك؟ فيُثنى بخير، فيقول له: يا بنى إنى احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبتِ ما أيسر ما طلبت ولكنى أتخوف مثل الذى تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧][(١)].

فلا تنفع والديك يومئذ ولا ينفعانك قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣] فالنسب انقطع بينك وبين أقاربك.

قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وها أنت تعرض على أحد أقاربك أن يتحمل عنك سيئة واحدة فلا يتحملها عنك قال ـ جل وعز ـ: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

وانظر إلى هذا العبد الذى أراد الله به خيراً عن أبى ذر قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجًا من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيُقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتُعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول: نعم لا يستطيع أن يُنكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه فيقال له فإنَّ لك مكان كل سيئة حسنة فيقول: ربِّ عملت أشياء لا أراها ههنا فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»[(٢)].

وأنت خائف وَجِل من خفة موازين أعمالك ترى الذين قدموا بأعمال أمثال

---

(١) تفسير ابن كثير سورة عبس.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجًا.

الجبال فجعلها الله هباءً منثوراً لأنهم كانوا يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ويراقبون الخلق ولا يراقبون الخالق، ويبارزون الله بالمعاصى إذا ما غابوا عن خلق الله.

قال رسول الله ﷺ: «لأَعْلَمن أقوامًا من أمتى يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباءً منثوراً، قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، حلِّهم لنا[1] لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»[2].

وتخيل حالك وأنت ناظر إلى كفتى الميزان فإذا بك تبصر كثيراً من المسلمين المقصرين قد خفت موازينهم وأُمِر بهم إلى النار، وأنت تقول فى نفسك: كل هؤلاء وقد استوجبوا دخول النار بأعمالهم وهم يقولون لا إله إلا الله فكيف حالى؟ وأين مصيرى؟ قال سيد الشافعين ﷺ: «يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصى عددهم إلا الله بما عصوا الله، واجترءوا على معصيته وخالفوا طاعته، فيؤذن لى فى الشفاعة فأثنى على الله ساجداً كما أثنى عليه قائمًا فيقال لى: ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تُشَفَّع»[3].

ويظل النبى ﷺ يذهب ويخر تحت عرش الله ساجداً إلى أن يرضيه ربه فى أمته.

قال ﷺ: «أشفع لأمتى حتى ينادينى ربى تبارك وتعالى ـ فيقول: أقد رضيت يا محمد؟ فأقول: أى رب قد رضيت»[4].

(١) حلِّهم لنا: أى صفهم لنا.

(٢) أخرجه ابن ماجه قال المنذرى فى الترغيب (٣/ ٢٤٢) ورواته ثقات، وانظر صحيح ابن ماجه رقم ٢٤٢٣.

(٣) حسن أخرجه الطبرانى فى الكبير والصغير، وحسنه المنذرى (٤/ ٣٢٢) والهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٧٦).

(٤) أخرجه البزار والطبرانى وإسناده حسن إن شاء الله، الترغيب (٤/ ٣٢٨).

• **الشفاعة فيمن استوت حسناته بسيئاته:**

وهذا عبد توزن أعماله فتستوى حسناته بسيئاته، فيعلم أنه بذلك من أصحاب الأعراف، فيريد أن يدخل الجنة فيجرى إلى رسول الله ﷺ طالبًا الشفاعة، فيستأذن المصطفى ﷺ ربه فى الشفاعة لهذا العبد، فإن كان العبد أهلاً لذلك كأن يعلم الله منه أنه لو عاش أكثر مما عاش لازداد إيمانًا، فيقبل الله شفاعة نبيه ﷺ فيه، وفى أشباهه.

ويأتى عبد آخر مثل هذا العبد وقد استوت حسناته وسيئاته، فيطلب الشفاعة فلا يُقبل فى حقه الشفاعة لأن الله قد علم منه أنه لو عمَّر لن يتوب ويزداد هدى.

• **الشفاعة فيمن استوجبوا دخول النار:**

ويؤتى بعبد آخر فتوضع حسناته وسيئاته فيرى السيئات قد زادت على الحسنات بسيئة أو أكثر، فيعلم أنه من أهل النار، فينطلق إلى أبيه وأمه وزوجه وأرحامه يقول: أعطونى حسنة أو حسنتين لأنجو من النار فيمتنعون من ذلك، ويقولون: بل نرجو أن تعطينا من حسناتك، فيأتى النبى ﷺ طالبًا الشفاعة، فإن أذن رب العالمين لنبيه ﷺ بالشفاعة لهذا العبد شفع له النبى ﷺ فدخل الجنة ونجا من النار.

وقد أمر بك إلى النار وغضب الجبار.

فإذا بولدك الصغير الذى مات دون البلوغ يصرخ وينادى: يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين يا أجود الأجودين يا خير الغافرين أبى لا تُعذبه بالنار، أبى لا تدخله جهنم.

ألحق الوالد المسكين بولده الصغير.

فيقول الرحمن الرحيم: خذ بيد والدك وأدخله الجنة، ويتقدم أمامك إلى أبواب الجنان ليفتح لك أبواب الرحمة والرضوان.

وتثمر النتائج النهائية فى حساب الخلائق ووزن أعمالهم أنهم ثلاثة فرق: فريق فى الجنة وهم الذين زادت حسناتهم على سيئاتهم، وفريق فى النار وهم الذين خفت موازين حسناتهم وثقلت موازين سيئاتهم، وفريق على سور الأعراف بين الجنة والنار وهم الذين استوت حسناتهم بسيئاتهم ويعرفون بأهل الأعراف.

• أصحاب الأعراف:

والأعراف سور وحاجز مانع من وصول أهل النار إلى الجنة وهذا السور مرتفع ومشرف وكل مرتفع من الأرض يسمى عند العرب عرفًا.

هذا السور يقف عليه قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم النار، فإذا فرغ الله جل وعلا من القضاء بين العباد قضى فيهم بأمره.

عن سعيد بن جبير قال: يقول عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثمَّ قرأ الآيتين: ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٨، ٩] ثمَّ قال: الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط، ثمَّ عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا إلى أهل النار ﴿**قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأعراف: ٤٧] تعوذوا بالله من منازلهم، قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نورًا يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورًا، وكل أمة نورًا فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق

ومنافقة فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم:٨] وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع فهنالك يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف:٤٦] فكان الطمع دخولاً. قال فقال ابن مسعود: «إنَّ العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثمَّ يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته»(١).

وحكى عن بعض الصالحين أنه قال: أخذتنى ذات ليلة سنة فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون، فقوم يمضى بهم إلى الجنة، وقوم يُمضى بهم إلى النار، قال: فأتيت إلى الجنة فناديت أهل الجنة، بماذا نلتم سكنى الجنة فى محل الرضوان؟ فقالوا: بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان، ثمَّ أتيت إلى باب النار فناديت: يا أهل النار بم نلتم النار؟ قالوا: بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن قال: فنظرت فإذا أنا بقوم موقوفون بين الجنة والنار، فقالوا لى: لنا ذنوب جلت وحسنات قَلَّت: فالسيئات منعتنا من دخول الجنة والحسنات منعتنا من دخول النار وأنشدوا:

نحن قوم لنا ذنوب كبار ... منعتنا من الوصـول إليه

تركتنا مـذبذبين حيـارى ... أمسكتنا من القدوم عليه(٢)

تيقظ وتفكر فقد تكون من الذين يقفون على تل الأعراف قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤ ـ ٤٧].

---

(١) تفسير ابن كثير، سورة الأعراف وعزاه لابن المبارك وسكت عليه.

(٢) التذكرة ص٣٠٩.

ومعنى ذلك أن أهل الأعراف على سور بين الجنة والنار، فينظرون إلى أهل الجنة وأهل النار ويعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه، فإذا نظروا إلى أهل الجنة ألقوا عليهم السلام وطمعوا أن يكونوا معهم قال الحسن: والله ما جعل ذلك الطمع فى قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم[1]. وإذا نظروا إلى أهل النار استغاثوا بمولاهم أن ينجيهم من النار وقالوا: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وينادى أهل الأعراف على رجال من أئمة الكفر فى نار جهنم على وجه التوبيخ والاستهزاء قائلين لهم: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف:٤٨].

عندئذ يمن الله - جل ثناؤه - عليهم بكرمه وفضله ورحمته ومغفرته ويقول لأهل التكبر من أهل النار ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف:٤٩] فينطلق أهل الأعراف إلى الجنة ويتركون هذا السور.

وذلك بعد أن يذهبوا إلى الأنبياء - عليهم السلام - ويطلبون منهم الشفاعة، فيأتون النبى ﷺ فيشفع لهم، فيجعلهم العدل - سبحانه - من آخر من يدخل الجنة.

قال حذيفة: «إن أصحاب الأعراف قوم تكافئت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم، فجُعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى الله بين العباد أُذِن لهم فى طلب الشفاعة فأتوا آدم فقالوا: يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك، فقال: هل تعلمون أن أحداً خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمته إليه غضبه وسجدت له الملائكة غيرى؟ فيقولون: لا، فيقول: ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا ابنى

(١) تفسير ابن كثير سورة الأعراف.

إبراهيم، فيأتون إبراهيم ﷺ فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فيقول: تعلمون من أحد اتخذه الله خليلاً، هل تعلمون أن أحدًا أحرقه قومه بالنار فى الله غيرى؟ فيقولون: لا فيقول: ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى موسى، فيأتون موسى ـ عليه السلام ـ فيقول: هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليمًا وقربه نجيًا غيرى؟ فيقولون: لا فيقول: ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا عيسى، فيأتونه ـ عليه السلام ـ فيقولون له: اشفع لنا عند ربك، فيقول: هل تعلمون أحدًا خلقه الله من غير أب غيرى؟ فيقولون: لا، فيقول: هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله غيرى؟ قال: فيقولون: لا فيقول: أنا حجيج نفسى ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ فيأتونى فأضرب بيدى على صدرى ثمَّ أقول: أنا لها ثمَّ أمشى حتى أقف بين يدى العرش، فآتى ربى ـ عز وجل ـ فيفتح لى من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط، ثمَّ أسجد فيقال لى: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسى، ثمَّ أثنى على ربى ـ عز وجل ـ، ثمَّ أخر ساجدًا، فيقال لى: ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأقول، ربى أمتى ربى أمتى، فيقول: هم لك فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب إلا غبطنى بذلك المقام وهو المقام المحمود[١]، فآتى بهم باب الجنة، فأستفتح فيفتح لى ولهم، فيُذهب بهم إلى نهر يقال له نهر الحيوان حافتاه قصب مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك وحصباؤه الياقوت، فيغتسلون منه فتعود إليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصيرون كأنهم الكواكب الدُّرِّيّة، ويبقى فى صدورهم شامات بيض يُعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة. . .»[٢].

فإذا انتهى أمر الميزان وتبين أهل الجنة من أهل النار، فيصفُّ أهل الجنة صفوفًا ليشفع الصديقون والشهداء والعلماء وحملة القرآن منهم لمن كان أهلاً للشفاعة

(١) الشفاعة لأقوام استوت حسناتهم وسيئاتهم.

(٢) تفسير ابن كثير سورة الأعراف آية ٤٩ وللحديث شواهد كثيرة.

فى هذا الموطن، فإن أذن الحق - تعالى - بالشفاعة فى المشفوع له شفعوا فيه وذلك فى حق من أحسن إليهم فى دار الدنيا فقد ورد عن النبى ﷺ قال: «يصفُّ أهل الجنة فيمر الرجل من أهل النار على الرجل من أهل الجنة فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيتنى فسقيتك شربة؟ قال: فيشفع له، ويمر الرجل على الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهوراً فيشفع له... ويقول يا فلان أما تذكر يوم بعثتنى لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له»[1].

وهذا فضل الله يؤتيه للمحسنين والمتقين إكرامًا وفضلاً ورحمة منه لمن أعان طائعًا على طاعته وفى هذا من العدل التام ما فيه فلا يستوى مَن ساعد الصالحين على الصلاح بمن لم يعنهم على ذلك قال رسول الله ﷺ: «﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ - يوم القيامة - ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٠] قال: أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممَّن صنع إليهم المعروف فى الدنيا»[2].

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه رقم ٣٦٨٥ قال فى الزوائد فى إسناده يزيد الرقاشى ضعيف، قلت يشهد لمعناه ما بعده.

(٢) أخرجه أبو نعيم (١٠٨/٤) قال فى المجمع (١٣/٧) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندى ضعفه الذهبى من عند نفسه.

الحوض

وبعد أن توزن أعمالك تذهب إلى حوض النبى ﷺ لتشرب منه، وللنبى ﷺ حوضان: أحدهما قبل الصراط والثانى فى الجنة وكلاهما يُسمى كوثرًا والكوثر فى كلام العرب: الخير الكثير، واختلف فى الميزان والحوض أيهما قبل الآخر، فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض قبل.

والصحيح أن الحوض بعد الميزان وقبل الصراط، لأنه إن تأخر عن الصراط فلا فائدة، فإن أهل النار يدخلون النار أثناء المرور على الصراط، وفى الحديث أن قومًا يمنعون عن الحوض فيقول النبى ﷺ: «أصحابى فيقولون: هم فى النار والله...».

وقد روى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال:

«بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلمَّ فقلت: إلى أين؟

فقال: إلى النار والله.

قلت: ما شأنهم؟

فقال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بينى وبينهم رجل فقال لهم: هلم.

فقلت: إلى أين؟

قال: إلى النار والله.

قلت: ما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أُراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم[١]»[٢].

قلت: «فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط، لأن الصراط إنما هو جسر ممدود يُجاز عليه فمن جازه سلم من النار على ما يأتى»[٣].

وروى مسلم عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية[٤]، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ، آخر ما فيه يشخب ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة[٥] ماؤه أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل».

وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إنى ليعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمين أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال: من مقامى إلى عمان. وسئل عن شرابه فقال أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق»، فى غير كتاب مسلم «يعب فيه ميزابان من الكوثر»، الحديث. وفى أخرى: «ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليه قدح».

وروى مسلم عن أنس: قال بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءة، ثمَّ رفع رأسه متبسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت علىّ آنفًا سورة فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ

---

(١) همل النعم: الإبل بلا راع والمراد إلا القليل منهم.

(٢) رواه البخارى كتاب الرقاق باب فى الحوض رقم ٦٥٨٧ ج١١ ص٤٧٣ فتح.

(٣) وذهب الحافظ فى الفتح (١١/٤٧٤) إلى أن الحوض بعد الصراط.

(٤) أى الليلة المُقمرة المضيئة.

(٥) المراد بها فلسطين.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ (سورة الكوثر) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال فإنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: يا رب إنه من أمتى، فيقال: ما تدرى ما أحدث بعدك» وفى رواية أخرى: «ما أحدث».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورِق[1]، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظمأ بعده أبدًا» أخرجه البخارى[2].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمامكم حوضًا كما بين جربا وأذرح فيه أباريق كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا»[3].

قال عبد الله (أى ابن عمر) فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث أخرجه البخارى ومسلم وأحمد.

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ حوضى أبعد من أيلة إلى عدن لهو أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإنى لأصد الناس، كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علىَّ غُرًا مُحجَّلين من أثر الوضوء[4]» رواه مسلم.

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «إنّ لى حوضًا ما بين الكعبة، وبين المقدس أبيض مثل اللبن آنيته عدد نجوم السماء، وإنى لأكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة».

---

(١) الفضة.

(٢) البخارى ١١/٣٩٦ فتح، ومسلم ٧/٩٦، وأحمد ٢/٢١، ١٣٥، ١٣٤، ورواه البخارى فى الأدب عنه.

(٣) رواه البخارى كتاب الرقاق باب فى الحوض رقم ٦٥٧٧ ج١١ ص٤٧٢.

(٤) بياض فى جباههم وأقدامهم.

وقد ظن بعض الناس أن هذه التحديدات فى أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث النبى ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبًا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام ما بين أذرح وجربا، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن، وهكذا وتارة أخرى يُقدِّر بالزمان فيقول: مسيرة شهر والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا فكان ذلك بحسب مَن حضره ممن يعرف تلك الجهات فخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها، والله أعلم.

ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أنَّ الحوض يكون على وجه هذه الأرض وإنما يكون وجوده فى الأرض المُبدَّلة على مسامته هذه الأقطار أو فى المواضع التى تكون بدلاً من هذه المواضع فى هذه الأرض وهى أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد ـ كما تقدم ـ تُطهر لنزول الجبار ـ جل جلاله ـ لفصل القضاء.

وعن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ قال: «ما أنتم بجزء من مائة ألف أو سبعين ألف جزء ممن يرد علىَّ الحوض، وكانوا يومئذ ثمانمائة أو تسعمائة»[١]، والله أعلم.

وأول من يرد الحوض النبوى فقراء المهاجرين ـ رضى الله عنهم ـ ابن ماجه عن الصنابجى الأحمسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إنى فرطكم على الحوض[٢] وإنى مُكاثر بكم الأمم فلا تقتتلن بعدى»[٣].

وخرّج عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «إنَّ حوضى ما بين عدن إلى

---

(١) رواه أحمد وأبو داود السجستانى، وأبو داود الطيالسى والحاكم عن زيد بن أرقم وهو فى صحيح الجامع برقم ٥٥٥٧.

(٢) أى سابقكم إلى الحوض.

(٣) له شواهد كثيرة منها ما رواه أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة: ألا إنى فرط لكم على الحوض ولبقيته شواهد فى الصحيح.

أيلة أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل أكاويبه كعدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا، وأول الناس من يرد عليَّ الحوض فقراء المهاجرين. الدُّنس ثيابًا الشعث رؤوسًا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السُّدد» قال: فبكى عمر حتى ابتلت لحيته فقال: لكنى نكحت المتنعمات وفُتِّحت لى أبواب السدد لا جرم أنى لا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ، ولا أدهن رأسى حتى تشعث» خرجه الترمذى[1].

عن أبى سلام الخشنى قال: بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز فحُمِلت على البريد قال: فلمَّا دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين: لقد شق مركبى البريد فقال: يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك ولكن بلغنى عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبى ﷺ.

قال أبو سلام: حدثنى ثوبان عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد. . .» فذكره بمعناه.

ولعل هؤلاء لهم مزيد فضل فى السبق إلى الحوض، وقد يكون من جاء بعدهم من الأغنياء الشاكرين من التكريم والتقدير ما ليس لهم.

• المطردون من الحوض:

فلا ترى أقوامًا يقتربون من الحوض فيمنعون من الشرب منه، روى البخارى عن أنس عن النبى ﷺ قال: «ليردن عليَّ ناس من أصحابى الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى فأقول أصحابى، فيقال لى: لا تدرى ما أحدثوا بعدك»[2].

وعن أبى هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد عليَّ الحوض رهط من أصحابى فيُجْلَون[3] عن الحوض فأقول يا رب أصحابى فيقول: إنك لا

---

(١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن ثوبان وهو فى صحيح الجامع برقم ٢٠٦٠.

(٢) رواه البخارى كتاب الرقاق باب فى الحوض رقم ٦٥٨٢ ج١١ ص٤٧٢.

(٣) يبعدون.

علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[١] هو فى الصحيح.

مسلم عن أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ قالت: قال رسول الله ﷺ «إنى على الحوض حتى أنظر مَن يرد علىَّ منكم، وسيؤخذ ناس دونى، فأقول: يا رب منى ومن أمتى فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم» وفى حديث أنس «فيختلج العبد منهم فأقول: يا رب من أمتى فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» وقد تقدم. وكذلك حديث البخارى: «إذا زمرة حتى إذا عرفتهم» تقدم أيضًا وفى الموطأ وغيره من حديث أبى هريرة «فقالوا: كيف تعرف مَن يأتى بعدك من أمتك يا رسول الله؟ الحديث، وفيه قال: «فإنهم يأتون غرًا مُحجلين من أثر الوضوء»[٢].

قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم أجمعين: فكل مَن ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى، وجماعة أهل الزيف والأهواء والبدع، ثمَّ البعد قد يكون فى حال ويُقربون بعد المغفرة إن كان التبديل فى الأعمال ولم يكن فى العقائد.

وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يُعرفون به ثمَّ يقال لهم سُحقًا وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يُظهرون الإيمان ويُسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثمَّ يُكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سُحقًا، ولا يُخلَّد فى

---

(١) البخارى رقم ٦٥٨٥.

(٢) رواه مالك ومسلم عن أبى هريرة وهذا هو الشاهد منه (قالوا: أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون علىَّ غرًا مُحجلين من أثر الوضوء» وفى رواية «قالوا: يا رسول الله أوَتعرفنا قال: نعم، تردون علىَّ الحوض غُرًا مُحجلين من آثار الوضوء، ليست لأحدٍ غيركم».

النار إلا كافر جاحد مُبطِل ليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

وقد يُقال: إنَّ من أنفذ الله عليه وعيده من أهلِ الكبائر، إنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يُعذب بعطش والله أعلم.

وروى الترمذى عن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ﷺ أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدى فمَن غشى أبوابهم فصدقهم فى كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه، ولا يرد علىَّ الحوض، ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم فى كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه، وسيرد علىَّ الحوض، يا كعب بن عجرة: الصلاة برهان، والصبر جنة حصينة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وخرجه أيضًا فى كتاب الفتن وصححه.

• الكوثر الذى أعطيه ﷺ فى الجنة:

البخارى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «بينا أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدّر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فإذا طينه أو طينته مسك أذفر، شك هدبة، خرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وزاد ثمَّ رفعت إلى سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيمًا»

الترمذى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج. هذا حديث حسن والله أعلم.

وبعد ورود الناس الحوض ينادى المنادى: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد.

قال سيدنا النبى ﷺ: «. . . إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذِّن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا

يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا مَن كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبَّر[١] أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يَحْطِم بعضها بعضًا فيتساقطون فى النار، ثمَّ تُدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يَحْطِم بعضها بعضًا، فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا مَن كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها، قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا مرتين أو ثلاثًا حتى إنَّ بعضهم ليكاد أن ينقلب[٢] فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم الساق، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثمَّ يرفعون رءوسهم وقد تحول فى الصورة التى رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. . .»[٣].

ويرى المؤمنون ربهم ـ سبحانه ـ حينئذ، ويحجب عن ذلك الكفار والمنافقون.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٥].

وأما المؤمنون فإنهم يجتمعون فى مكان واحد ويقومون بعد أن علموا فوزهم

(١) غُبَّر: جمع غابر وهو الباقى.

(٢) أى يكفر ويرتد والمراد المنافقون.

(٣) أخرجه البخارى كتاب الأذان ومسلم كتاب الإيمان.

ونجاتهم من النار وعذابها، فإذا بالجنة تقترب منهم من مكان غير بعيد، وكأنها تنادى عليهم وتقول: هلم إلىّ يا أهلى وأحبابى فقد اشتقت إليكم كثيراً وانتظرتكم زمنًا طويلاً.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١]، وقال: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير:١٣].

عندئذ يأتى المؤمنون إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ طالبين فتح باب الجنة لدخولها فيأتون آدم فيرد الأمر إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى يدفعه إلى عيسى وعيسى يعلمهم صاحبه الحقيقى إنه محمد ﷺ.

يقول سيد الخلق ﷺ: يجمع الله ـ تبارك وتعالى ـ الناس قال: فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابنى إبراهيم خليل الله قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء[1] اعمدوا إلى موسى الذى كلمه الله تكليمًا، قال: فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له[2].

فينطلق الحبيب المصطفى ﷺ ووراءه أمته، ثمَّ بقية الأنبياء ـ عليهم السلام ـ كل نبى وراءه الصالحون من أمته.

فإذا بالصراط قد نصب.

أبت نفسى تتوب فما احتيالى   إذا برز العباد لذى الجلال

---

(١) وراء وراء: أى وراء موسى ووراء محمد صلى الله عليهما وسلم فإن الوحى جاءنى عن طريق جبريل فقط، أما موسى ـ عليه السلام ـ فكلمه ربه تعالى بواسطة وأما محمد ﷺ فكلم ربه بدون واسطة، شرح مسلم.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان رقم ١٩٥.

وقامـوا من قبورهم سكارى بأوزار كأمثـــال الجبـــال
وقد نُصب الصراط لكى يجوزوا فمنهـم مَن يُكـبُّ على الشمالِ
ومنهم مَن يسير لدار عـدن تلقـــاه العـرائِس بالغـــوالى
يقـــول له المهيمن يا وليى غفرت لك الذنـوب فلا تبالى

وصدق القائل:

إذا مُـــدَّ الصراط على جحيم تصول على العصاة وتستطيلُ
فقـوم فى الجحيم لهم ثبـور وقوم فى الجنــان لهم مقيـلُ
وبان الحق وانكشف الغطـاء وطـال الويل واتصل العويلُ

وهذا الصراط ينصب على متن جهنم، وسائر الخلق من الأنبياء والإنس والجن وعدد كبير من الملائكة يقفون عليه فهو طويل للغاية.

* * *

الصراط

فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثمَّ وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثمَّ قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، والملائكة قائمون على الصراط قد أحاطوا به، وأنت تنظر فترى طول أجسامهم وقوة بنيانهم وهول منظرهم فإنَّ بين شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبعمائة عام.

ومعهم كلاليب وخطاطيف يخطفون بالكلوب الواحد مئات الآلاف بل آلاف الآلاف.

يقول عبيد بن عمير: «إنَّ الصراط مثل السيف على جسر جهنم وإن لجنبتيه كلاليب وحسكًا، والذى نفسى بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومُضَر»(١).

والرحم والأمانة قد قامتا على جنبتى الصراط يمينًا وشمالاً، وقد عظمت الأهوال وكثرت الأحزان.

حتى إن النبى ﷺ يقوم على الصراط يقول: «ربِّ سلم سلم، وزملاؤه من الأنبياء يقولون: رب سلم سلم يقول أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ فيأتون محمداً ﷺ فيؤذن لهم وتُرسَل الأمانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط يمينًا وشمالاً فيمر أولهم كالبرق الخاطف، قال: قلت: بأبى أنت وأمى وأى شىء كمر البرق؟ قال: ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين؟ ثمَّ كمر الريح، ثمَّ كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: ربِّ سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجىء الرجل ولا يستطيع السير إلا

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٤٠٣) بإسناد صحيح.

زحفًا قال: وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت بأخذه فمخدوش ناج، ومكردس فى النار، والذى نفس محمد بيده: إنَّ قعر جهنم لسبعون خريفًا»[١].

وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشى على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط ورقته ودقته، فهو أرق من الشعر وأحد من السيف، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدَّته[٢]، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلُّون ويتعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفَّل[٣] إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه.

فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه فى ظلمات بعضها فوق بعض لا ترى نوراً إلا لغيرك، وأنت مُثقَّل الظهر بأوزارك، تلتفت يمينًا وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون فى النار، والرسول ـ عليه السلام ـ يقول: يا رب سلم سلِّم، والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك؟ فناديت بالويل والثبور وقلت: هذا ما كنت أخافه فيا ليتنى قدمت لحياتى، يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلاً! يا ليتنى كنت ترابًا! يا ليتنى كنت نسيًا منسيًا! يا ليت أمى لم تلدنى. . . »[٤].

وأنت تنظر إلى من يمر بجوارك على الصراط فترى من يمر مثل البرق ومن يمر كطرف العين، ومن يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح ومنهم

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى رقم ٧٤٣٩ ومسلم رقم ١٨٣.
(٢) أخرجه مسلم رقم ١٨٣.
(٣) أى ينقلبون فى جهنم.
(٤) الإحياء، كتاب ذكر الموت.

من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم مَن يمر سعيًا، ومنهم من يمشى مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا.

وتكون الأنوار عليهم على قدر أعمالهم وإسراعهم، فمَن كانت سرعته كالبرق كان نوره كالجبل الأشم، ومن كانت سرعته كطرف العين كان نوره مثل النخلة، ومن كانت سرعته كانقضاض الكوكب كان نوره من أعلاه إلى أسفله، ومَن كانت سرعته كالفرس السريع كان نوره إلى ترقوته ومن كانت سرعته كشد الرَّجُل كان نوره إلى صدره ومن كان يسعى سعيًا كان نوره إلى حقويه[١]، ومَن كان يمشى مشيًا كان نوره إلى ركبتيه، ومن كان يزحف على بطنه كان نوره إلى قدميه، ومن كان يزحف فتمسه النار يكون النور على قدم ولا يكون على القدم الأخرى، والمنافق يحرم النور الذى كان معه قبل المرور على الصراط فلا يرى نورًا ويمشى فى الظلام، فينادى على المؤمن انتظر حتى ألتمس من نورك فيقال له ارجع وراءك فالتمس نورًا فيرجع فيسقط فى النار.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢ ـ ١٥].

وما من أحد إلا سيرد النار يومئذ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

وقد كان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ وبعض الصالحين يخافون خوفًا شديدًا

---

(١) إلى وسطه.

من ورود النار، لأن الحق ـ سبحانه ـ أخبرنا عن ورود النار ولم يخبرنا عن الصدور عنها.

قال قيس بن أبى حازم: «كان عبد الله بن رواحة واضعًا رأسه فى حجر امرأته، فبكى فبكت امرأته، فقال ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكى فبكيت، قال: إنى ذكرت قول الله ـ عز وجل ـ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ فلا أدرى أأنجو أم لا»[1].

وكان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول: يا ليت أمى لم تلدنى، ثمَّ يبكى فقيل له: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها ولم نُخْبَر أنا صادرون عنها.

وقال الحسن البصرى: «قال رجل لأخيه، هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ فما رُئى ضاحكًا حتى لحق بالله»[2].

وورود المؤمنين معناه مرورهم على النار والنظر إليها وإلى عذابها دون أن يصلهم عذابها وزقومها وسمومها.

وذهب فريق من المفسرين كابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إلى أن معنى الورود الدخول، فالمؤمنون يدخلون جهنم وتكون عليهم بردًا وسلامًا ثمَّ يصدرون عنها إلى الجنة.

ويؤيد هذا المعنى أن الورود فى القرآن المجيد معناه الدخول قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨، ٩٩]، وقال سبحانه ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨] أى أدخلهم فرعون النار.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق كما فى تفسير ابن كثير سورة مريم.

(٢) تفسير الطبرى وتفسير ابن كثير.

وروى جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الورود: الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢](١).

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «يردُ الناس النار ثمَّ يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البصر ثمَّ كالريح ثمَّ كحضر(٢) الفرس، ثمَّ كالراكب فى رحله، ثمَّ كشد الرجل فى مشيه»(٣).

وقال بعض المفسرين: إنَّ الخطاب فى قوله (منكم) للكفار وليس الخطاب للمؤمنين ورأى البعض أن المراد بالورود الحُمى التى تصيب المؤمن فى دار الدنيا والأرجح أنهم سيردونها ولا تؤذيهم بلهبها وحرها وتكون عليهم بردًا وسلامًا قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢] والمبعد عنها لا يدخلها وبينما المؤمنون يجوزون على الصراط ـ وأنت معهم ـ يرون إخوانهم من المصلين المتصدقين الصائمين الحاجين الذين ساءت أخلاقهم وقبحت معاملاتهم فاستطالوا فى أعراض إخوانهم، ولم تسلم ألسنتهم وقلوبهم من أذية جيرانهم وأصحابهم وأرحامهم.

يرونهم يتساقطون فى النار، فيلقى الله ـ تعالى ـ فى قلوب المتقين الرقة بإخوانهم فلا يسرعون إلى دخول الجنة، وينتظرون عند الصراط يناشدون ربهم لنجاة إخوانهم فيُنزلهم رب العالمين النار ويحرم على النار أن تمسهم فيخرجونهم قال رسول الله ﷺ «حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار».

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٩) والحاكم (٤/ ٥٨٧) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) أى إسراع الفرس.

(٣) أخرجه الترمذى رقم ٣١٥٩، والدارمى رقم ٢٨١٠، والحاكم (٢/ ٧٣٥) وصححه ووافقه الذهبى.

وفى رواية: «فما أنتم بأشد مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا فى إخوانهم، فيقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون؟ فيُقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتُحَرّم صورهم على النار، فيُخْرِجون خلقًا كثيرًا، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقه وإلى ركبته، ثمَّ يقولون: ربنا ما بقى فيها ممَّن أمرتنا به، فيقال: ارجعوا فمَن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثمَّ يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممَّن أمرتنا، ثمَّ يقال: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه نصف مثقال دينار من خير[1] فأخرجوه فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثمَّ يقولون ربنا لم نذر فيها ممَّن أمرتنا أحدًا، ثمَّ يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثمَّ يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا. . . »[2].

ويرى إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وهو يجوز على الصراط بعض المسلمين يتساقطون فى النار، وتخطفهم الملائكة بالكلاليب والخطاطيف، فيقول: يا رباه! فيقول الرب ـ جل وعلا ـ يا لبيكاه فيقول إبراهيم: يا رب حرَّقت بَنِىَّ؟ فيقول: «أخرجوا من النار من كان فى قلبه ذرة أو شُعَيْرة من إيمان»[3].

وأصحاب هذه الصفة لا يبلغون درجة الطائفة الأولى فى قوة اليقين وزيادة الإيمان.

ويبقى بعد شفاعة إبراهيم أبى الأنبياء ـ عليه السلام ـ أعداد كبيرة ممَّن اقترفوا الآثام ولم يتوبوا منها، فيتقدم لهذه الشفاعة الكبرى عظيم الأنبياء وسيد الأتقياء محمد ﷺ.

---

(١) أى من إيمان فالإيمان أعلى درجة من الإسلام، وقد أدوا أعمال الإسلام الظاهرة لكنهم قصروا فى باب المعاملة.

(٢) أخرجه البخارى رقم ٧٤٣٩، ومسلم ١٨٣.

(٣) أخرجه ابن حبان رقم ٧٣٧٨، قال المنذرى (٤/ ٣٢٧) ولا أعلم فى إسناده مطعنًا، وصححه محقق ابن حبان.

قال سيد المرسلين ﷺ: «فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يُلهمنيه الله ثمَّ أخِر له ساجدًا فيُقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقُل يُسْمَع لك وسل تُعطه واشفع[1] تُشَفَّع فأقول ربِّ أمتى أمتى، فيُقال: انطلق فمَن كان فى قلبه مثقال من حبة من بُرَّة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل، ثمَّ أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثمَّ أخر له ساجدًا فيُقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقُل يُسْمَع لك وسل تُعطه واشفع تُشَفَّع فأقول: أمتى أمتى فيُقال لى: انطلق فمَن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثمَّ أعود إلى ربى فأحمده بتلك المحامد، ثمَّ أخر له ساجدًا، فيُقال لى يا محمد ارفع رأسك وقُل يُسمع لك وسل تعطه واشفع تُشفَّع فأقول: يا رب أمتى أمتى فيُقال لى: انطلق فَمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل هذا. . . . ثم أرجع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثمَّ أخر له ساجدًا فيُقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقُل يُسْمع لك وسل تعطه واشفع تُشفَّع فأقول يا رب ائذن لى فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذاك لك أو قال: ليس ذاك إليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لأخرجن من قال: لا إله إلا الله. . .[2]»[3].

هذا وخير الغافرين وأرحم الراحمين وأكرم الأكرمين - سبحانه - يجعل شفاعته خاتمة الشفاعات بعد شفاعة الأنبياء وشفاعة الصديقين[4] وشفاعة الشهداء وشفاعة العلماء العاملين. . . لتكون شفاعته مكملة لكل مقصود ومتممة لكل مرغوب، فلا يبقى بعدها رغبة فى شفاعة أو أمل فى توسل، وزيادة على ذلك فإنه لا يبقى فى النار بعد هذه الشفاعة أحد يقول: لا إله إلا الله.

---

(١) هذه هى الشفاعة الخامسة للنبى ﷺ وهى الشفاعة لعصاة أمته الذين دخلوا النار وعُذِّبوا فيها فيخرجون منها.

(٢) هذه شفاعة أرحم الراحمين وهى أعظم الشفاعات وأكبرها وأرأفها.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة.

(٤) أسألك أن لا تنسانى من الشفاعة إن كنت من أهلها.

ولا تظنن أن هؤلاء يشفعون لأعداد قليلة من العصاة، فالولى الواحد قد يشفع لأكثر من مائة ألف.

عن عبد الله بن أبى الجدعاء قال: قال رسول الله ﷺ: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم»(١).

وهذا رجل ليس بنبى بل هو من الأولياء الصالحين.

وقال سيد الشافعين ﷺ: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين ربيعة ومُضر، إنما أقول ما أقول»(٢).

قيل: إنه عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وقيل: أويس القرنى وهذا ليس خاصًا بهذين أو غيرهما بل لكل مؤمن صالح.

قال صاحب الشفاعة ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ: «إنَّ من أمتى من يشفع للفئام(٣)، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة»(٤).

• شفاعة الشهداء:

ومرة أخرى يعرض النبى ﷺ صورة الشفعاء والمشفوع لهم فيذكر لنا شفاعة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وشفاعة الصديقين وشفاعة الشهداء وشفاعة أرحم الراحمين سبحانه.

فعن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٩) وابن ماجه رقم ٤٣٦٦، وابن حبان فى صحيحه رقم ٧٣٧٦، والحاكم فى المستدرك (١/ ٧٠) وسكت عليه الحاكم، وقال الذهبى: صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧) والطبرانى فى الكبير (٧/ ٧٦٣٨) عن أبى أمامة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢/ ٥٣٦٣).

(٣) أى الجماعات الكثيرة.

(٤) حسن أخرجه الترمذى رقم ٢٤٤٠ وقال: حديث حسن.

فصلى الغداة ثمَّ جلس[١] حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ وجلس مكانه حتى صلى الأولى[٢] والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة ثمَّ قام إلى أهله فقال الناس لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ: سل رسول الله ﷺ ما شأنه؟ صنع اليوم شيئًا لم يصنعه قط، فقال: نعم عُرض علىَّ ما هو كائن من أمر الدنيا فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد حتى انطلقوا إلى آدم ـ عليه السلام ـ، والعرق يكاد يلجمهم فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر اصطفاك الله، اشفع لنا إلى ربك فقال: قد لقيت مثل الذى لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣] فينطلقون إلى نوح ـ عليه السلام ـ فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك فى دعائك فلم يدع على الأرض من الكافرين ديَّارًا فيقول: ليس ذاكم عندى انطلقوا إلى إبراهيم فإنَّ الله اتخذه خليلاً فينطلقون إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ فيقول: ليس ذاكم عندى، فانطلقوا إلى موسى فإنَّ الله كلمه تكليمًا فينطلقون إلى موسى ـ عليه السلام ـ فيقول: ليس ذاكم عندى ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم فإنه كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ـ فيقول عيسى ليس ذاكم عندى، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم فإنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، انطلقوا إلى محمد فليشفع لكم إلى ربكم قال: فينطلقون إلىَّ، وآتى جبريل، فيأتى جبريل ربه فيقول: ائذن له وبشره بالجنة قال: فينطلق به جبريل فيخر ساجدًا قدر جمعة، ثمَّ يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع، واشفع تُشفع فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه خرَّ ساجدًا قدر جمعة أخرى، فيقول الله: يا محمد ارفع رأسك، وقُل يُسمع، واشفع تشفع، فيذهب ليقع ساجدًا فيأخذ جبريل بضبعيه، ويفتح الله عليه من الدعاء ما لم يفتح على بشر قط فيقول: أى رب جعلتنى

---

(١) أى صلاة الصبح.

(٢) أى صلاة الظهر.

سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليرد عليَّ الحوض أكثر مما بين صنعاء وإيلة[١]، ثمَّ يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثمَّ يقال: ادعوا الأنبياء فيجيء النبى معه العصابة[٢]، والنبى معه الخمسة والستة، والنبى ليس معه أحد، ثمَّ يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون فيمن أرادوا، فإذا فعلت الشهداء ذلك يقول الله ـ جل وعلا ـ: أنا أرحم الراحمين، يا ملائكتى أدخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئًا فيدخلون الجنة ثمَّ يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: انظروا فى النار هل فيها من أحد عمل خيراً قط؟ فيجدون فى النار رجلاً، فيقال له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أنى كنت أسامح الناس فى البيع، فيقول الله: اسمحوا لعبدى كإسماحه إلى عبيدى ثمَّ يُخرج من النار آخر فيقال له: هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا غير أنى كنت أمرت ولدى إذا مت فأحرقونى بالنار ثمَّ اطحنونى حتى إذا كنت مثل الكحل اذهبوا بى إلى البحر فذرونى فى الريح، فقال الله: لمَ فعلت ذلك؟ قال: من مخافتك، فيقول: انظر إلى مُلك أعظم مَلِك فإنَّ لك مثله وعشرة أمثاله، فيقول: لمَ تسخر بى وأنت الملك؟ فذلك الذى ضحكت به من الضحى»[٣].

* وأحد الناجين من النار بشفاعة رب العالمين يخشى أن يعود إليها فيسبقه رجاؤه فى رحمة الرحمن ـ تعالى ـ فيقول: أى ربٍّ إذا أخرجتنى منها فلا تعدنى إليها فينجيه منها.

قال رسول الله ﷺ: «يُخرج من النار أربعة فيُعرضون على الله فيلتفت أحدهم فيقول: أى رب إذ أخرجتنى منها فلا تعدنى فيها فينجيه الله منها»[٤].

* * *

---

(١) إيلة: القدس.

(٢) العصابة: الجماعة ما بين العشرة أو العشرين إلى الأربعين.

(٣) حسن أخرجه أحمد (١/ ٤ ـ٥)، وابن حبان فى صحيحه رقم ٧٤٧٦، وحسنه الأرنؤوط.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة.

الصراط الثانى

وعندما يجوز المؤمنون على الصراط ويخلصون من النار، ويتجهون إلى الجنة يحبس فريق منهم على قنطرة ثانية أو الصراط الثانى فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، وذلك لأن من زادت حسناته على سيئاته ولو بحسنة واحدة دخل الجنة، وقد يكون أساء إلى أخيه بلسانه، وأخوه أيضًا رجحت كفة حسناته لكنه قد استطال فى عرض أخيه فلا يدخل أحدهم الجنة إلا بعد التنقية والتهذيب من هذه الآثام، والعفو والتسامح حينئذ ميسور مقبول لأن الجميع داخلو الجنة قال ﷺ «يخلص المؤمنون من النار فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم فى دخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا»[١].

وفريق من هؤلاء المؤمنين يسألون عن أموال كثيرة لم ينفقوها فى طاعة.

قال سيد ولد آدم ﷺ: «أصحاب الجنة محبوسون على قنطرة بين الجنة والنار يُسألون عن فضول أموال كانت بأيديهم»[٢].

وأما الفريق الذى سبق إلى باب الجنة ولم يقف عند القنطرة وهم الأنبياء والصديقون وبعض الصالحين والشهداء، فإنهم ينتظرون عند باب الجنة وكل نبى على منبره حتى يفتح لهم النبى محمد ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لكل نبى يوم القيامة منبراً من نور وإنى لعلى أطولها وأنورها فيجيء مناد ينادى أين النبى الأمى؟ قال: فتقول الأنبياء كلنا نبى أمى، فإلى أين أرسل؟، فيرجع الثانية فيقول: أين النبى الأمى العربى؟ قال: فينزل

---

(١) أخرجه البخارى رقم ٦٥٣٥.

(٢) أخرجه البخارى رقم ٦٥٣٥، وأحمد بنحوه (٣/ ١٣).

محمد ﷺ حتى يأتى باب الجنة فيقرعه فيقول: مَن؟ فيقول: محمد أو أحمد، فيقال: أوَقد أرسل إليك؟ فيقول: نعم، فيُفتح له فيدخل الجنة فيتجلى له الرب ـ تبارك وتعالى ـ ولا يتجلى لأحد قبله فيخر لله ساجدًا، ويحمده بمحامد لم يحمده بها أحد ممَّن كان قبله ولن يحمده بها أحد ممن كان بعده، فيقال له: يا محمد ارفع رأسك تكلم تُسْمَع واشفع تشفَّع. . . »[١].

ويقف أهل الجنة صفوفًا يتقدمهم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ويتقدم سيد الأنبياء ﷺ عند باب الجنة ليكون أول من يقرع باب الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة»[٢].

فإذا قرع الباب فتح له الخازن وقال: أمرت ألا أفتح لأحد قبلك.

قال سيد العالمين ﷺ: «آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»[٣].

وتفتح أبواب الجنان لأهل التقى والإيمان.

وأول أمة تلج باب الجنة بعد الأنبياء والمرسلين ـ عليهم السلام ـ أمة الحبيب محمد ﷺ يتقدمها أبو بكر وعمر وبقية العشرة المبشرين بالجنة ـ رضى الله عنهم ـ ثمَّ السابقون إلى الإسلام غير العشرة.

قال ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»[٤].

ويظل أهل الجنة يتقدمون إلى أبواب الجنة فيدخلون حتى يأتى آخر من يدخل الجنة.

---

(١) أخرجه ابن حبان رقم ٦٤٨٠، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الشفاعة.

(٤) أخرجه البخارى كتاب الجمعة رقم ٨٩٦.

• آخر من يدخل الجنة:

كما روى عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال:

«يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء ـ فذكر الحديث إلى أن قال ـ:

ثمَّ يقول ـ يعنى الرب تبارك وتعالى ـ:

ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يُعطى مثل النخلة بيده، ومنهم من يعطى أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على قدر إبهام قدميه يُضىء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدَّم قدمه، وإذا أُطفئ قام فيمرون على قدر نورهم، منهم من يمر كطرفة العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذى يُعطى نوره على ظهر قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد، وتخر رجل، وتُعلق رجل وتصيب رجليه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها فقال: الحمد لله الذى أعطانى ما لم يعط أحدًا إذ نجانى منها بعد إذْ رأيتها.

قال: فيُنطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة، وألوانهم فيرى ما فى الجنة من خلل الباب فيقول: ربِّ أدخلنى الجنة.

فيقول له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار.

فيقول: ربِّ اجعل بينى وبينها حجابًا لا أسمع حسيسها.

قال: فيدخل الجنة ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأن ما هو فيه إليه حلم فيقول: ربِّ أعطنى ذلك المنزل.

فيقول له: لعلك إن أعطيتكه تسأل غيره.

فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، وأنَّى منزل أحسن منه، فيعطاه فَيَنْزِلُه، ويرى أمام ذلك منزلاً كأن ما هو فيه إليه حلم قال: ربِّ أعطنى ذلك المنزل.

فيقول الله ـ تبارك وتعالى ـ له: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره.

فيقول: لا وعزتك يا رب وأنَّى منزل أحسن منه، فيعطاه فينزله، ثمَّ يسكت.

فيقول الله ـ جل ذكره ـ: ما لك لا تسأل؟

فيقول: ربِّ قد سألتك حتى استحييتك وأقسمت حتى استحييتك.

فيقول الله ـ جل ذكره ـ: ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه.

فيقول: أتهزأ بى وأنت رب العزة فيضحك الرب ـ تعالى ـ من قوله.

قال الراوى عن ابن مسعود: فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه.

قال: فيقول الرب ـ جلَّ ذكره ـ: لا ولكنى على ذلك قادر سل.

فيقول: ألحقنى بالناس.

فيقول: ألحق بالناس فينطلق يرمل[1] فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رُفع له قصر من دُرَّة فيخر ساجدًا فيُقال له: ارفع رأسك ما لك؟

فيقول: رأيت ربى أو تراءى لى ربى.

فيُقال: إنما هو منزل من منازلك.

قال: ثمَّ يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود له:

فيقال له: مه[2].

فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة.

(١) يُرمل: يمشى بسرعة مع تقارب الخطى.

(٢) مه؟: ماذا تفعل؟.

فيقول: إنما أنا خازن من خُزَّانك، وعبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على ما أنا عليه.

قال: فينطلق أمامه حتى يُفتح له القصر.

قال: وهو من دُرَّة مُجوَّفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مُبَطَّنة بحمراء فيها سبعون بابًا كل باب يُفضى إلى جوهرة خضراء مُبطنة كل جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف[1] أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حُلة يرى مُخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته، وكبده مرآتها إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفًا فيقال له: أشرف فيُشرف على فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك.

قال: فقال عمر: ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاهم.

قال: يا أمير المؤمنين ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، إنَّ الله ـ جل ذكره ـ خلق دارًا جعل فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثمَّ أطبقها. فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ثمَّ قرأ كعب: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٧].

وخلق دون ذلك جنتين وزيَّنهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثمَّ قال:

مَن كان كتابه فى عليين نزل فى تلك الدار التى لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه فلا تبقى خيمة من خيم الجنة إلا دخلها فى ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واهًا لهذه الريح هذا ريح رجل من أهل عليين قد خرج يسير فى ملكه...»[2].

---

(١) الوصائف: جمع وصيفة: وهى الخادمة.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا، والطبرانى، والحاكم، هكذا عن ابن مسعود مرفوعًا وآخره من قوله: «إن الله =

* أخى العاصى أختى العاصية:

وبينما الناس عليهم الأنوار تسعى بين أيديهم وأيمانهم إذا بك تسعين فى ظلمات بعضها فوق بعض، فتصورى وقد أحاطت بك الملائكة، فقيّدوك فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا، والذراع سبعون باعًا، والباع لا يعلم قدره ولا قوته ولا صلابته إلا الجبار المنتقم، وقد جمع فى كل حلقة من حلقات السلسلة قوة حديد الدنيا ما خفى وما ظهر، تدخل السلسلة من فمك وتخرج من دبرك، فتستغيثين بشربة ماء، فيعطونك شربة يسقط منها لحم جسمك، فتقولين ألا ترحمونى؟ فيقولون: كيف نرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين.

فإذا دخلوا النار بدأ التوبيخ والتأنيب، فيقولون: من الذى أغوانا؟ من الذى أضلنا، فيتبرأ الأتباع من المتبوعين، ويتبرأ المتبوعون من الأتباع، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

ويتبرأ الكبراء والسادة والأقوياء من الضعفاء، قال جل ثناؤه: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

ويتبرأ الأواخر من الأوائل، والأوائل من الأواخر، قال ـ سبحانه ـ: ﴿قَالَ

= ـ جلَّ ذكره ـ خلق داراً...» إلى آخره. موقوفًا على كعب، وأحد طرق الطبرانى صحيح، واللفظ له، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وهو فى مسلم بنحوه باختصار عنه. انظر الترغيب والترهيب (٤/٢٤٧، ٢٤٨). قلت: الألفاظ التى ليست فى مسلم الأصح وقفها على ابن مسعود ولها حكم الرفع.

ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

الكل يتبرأ ويحيل الإفساد إلى غيره، فعندئذ يقولون: من أغوانا؟ الفنانون، الراقصون، اللاعبون، الوزراء، الأمراء، السلاطين، الملوك، الكل يقول: أغوانا إبليس، فينصب لإبليس منبر فى النار فيقول كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ[1] إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فينادون ويستغيثون بأهل الجنة يطلبون منهم أن يطعموهم وأن يسقوهم، وأهل الجنة يعاتبونهم ويلومونهم؛ قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤، ٤٥] إلى أن قال: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف ٥٠، ٥١].

فيستغيثون بخزنة النار طالبين تخفيف العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

فيستغيثون برئيس خزنة النار، الذى جلس فى وسط جهنم يشعلها، ينادون

---

(١) ما أنا بدافع عنكم العذاب، وما أنتم بدافعين عنى العقاب.

على مالك فيجيبهم بعد ألف عام: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧]، فيرد على طلبهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، فيجيبهم: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]. هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك.

فيستغيثون برب العالمين شديد العذاب، فيقولون في المرة الأولى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢]، ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة:١٢]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٤]، ثم يقولون ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم:٤٤]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم:٤٤]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر ٣٧]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧]، ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون:١٠٦]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨]. فلا يتكلمون بعدها أبدًا.

ها أنت مساقة سوقًا بعنف وغلظة وشدة، مأخوذة بالنواصي والأقدام، ملقاة إلى دار الآلام، محشورة إلى مأوى أهل الآثام، مقيّدة بالسلاسل والأغلال والقيود العظام، لابسة ثياب القطران، وقد غضب عليك الملك العلام.

فجأة رأيت النار قد فُتحت في وجهك والتأمت عليك وأحاطت بك إحاطة القيد باليد، فلا خروج ولا هروب ولا إدبار ولا فرار ولا قرار؛ قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٧١، ٧٢]. فعندما ترين النار تسرعين تريدين الخروج.

أبواب النار

فإن سألت عن أبوابها فقد ذُكر عن بعض أهل العلم في قول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. قال: من الكفار والمنافقين والشياطين، وبين الباب والباب خمسمائة عام.

فالباب الأول: يسمى: «جهنم»، لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء، فيأكل لحومهم، وهو أهون عذابًا من غيره.

والباب الثاني: يقال له: ﴿لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]، يقول: آكلة اليدين والرجلين، تدعو من أدبر عن التوحيد وتولى عما جاء به محمد ﷺ.

والباب الثالث: يقال له: «سقر»، وإنما سُمّي سقر لأنه يأكل اللحم دون العظم.

والباب الرابع: يقال له: «الحطمة»، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٥، ٦]، تحطم العظام وتحرق الأفئدة، قال الله تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: ٧]، تأخذه النار من قدميه وتطلع على فؤاده وترمي بشرر كالقصر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣]، يعني سودًا، فتطلع الشرر إلى السماء ثم تنزل فتحرق وجوههم وأيديهم وأبدانهم فيبكون الدمع حتى ينفد، ثم يبكون الدماء، ثم يبكون القيح حتى ينفد القيح حتى لو أن السفن أرسلت تجري فيما خرج من أعينهم لجرت.

والباب الخامس: يقال له: «الجحيم»، وإنما سُمّي جحيمًا لأنه عظيم الجمرة، الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا.

والباب السادس: يقال له: «السعير»، وإنما سمى السعير لأنه يسعر بهم ولم يطفأُ منذ خلق، فيه ثلاثمائة قصر، فى كل قصر ثلاثمائة بيت فى كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب، وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال، وفيه جب الحزن ليس فى النار عذاب أشد منه إذا فتح باب الجب حزن أهل النار حزنًا شديدًا.

والباب السابع: يقال له: «الهاوية» من وقع فيه لم يخرج منه أبدًا، وفيه بئر الهباب، وذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ [الإسراء:٩٧]، إذا فتح الهباب يخرج منه نار تستعيذ منه النار، وفيه الذين قال الله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾ [المدثر:١٧]، أو هو جبل من نار يوضع أعداء الله على وجوههم على ذلك الجبل، مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم، والزبانية وقوف على رءوسهم، بأيديهم مقامع من حديد إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان.

وأبواب النار: حديد، فرشها: الشوك، غشاوتها: الظلمة، أرضها: نحاس ورصاص وزجاج. النار من فوقهم، والنار من تحتهم، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت، فهى سوداء مظلمة مدلهمة مظلمة قد مزجت بغضب الله.

وقد يكون كل باب من هذه الأبواب من ناحية المعنى يتعلق بجميع الأبواب الأخرى، فالنار فى كل جزء منها جهنم، باعتبار أنه يصيب وجوه الناس حتى إنهم يتقون النار بوجوههم، وهو لظى، باعتبار أنه ينزع اللحم، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، وكل باب سقر، باعتبار أنه يضرب اللحم فيسوِّده. وكل باب حطمة، باعتبار أنه يحطم العظم ويكسره ويفتته. وكل باب جحيم باعتبار أنه عظيم الجمر، تصل الجمرة إلى حجم

النجوم!!. وكل باب سعير، باعتبار أنه يزداد كل يوم عذابًا. وكل باب هاوية، باعتبار أنّ من فيه يهوى على وجهه، ويتقلب على جبهته من مكان عال إلى أدنى منه.

وذُكِر أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب، وهى كما قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤]، على كل باب سبعون ألف جبل، فى كل جبل سبعون ألف شعب من النار، فى كل شعب سبعون ألف شق من النار، فى كل شق سبعون ألف واد، فى كل واد سبعون ألف قصر من نار، فى كل قصر سبعون ألف بيت من نار، فى كل بيت سبعون ألف قلة من سم، فإذا كان يوم القيامة كُشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الناس، وآخر عن شمالهم، وسرادق أمامهم، وسرادق فوقهم، وآخر من ورائهم، فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم، وكل ينادى: ربّ سلم ربِّ سلم.

بين كل بابين مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد حراً من الذى فوقه سبعين ضعفًا، ويقال: إن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم سبعون واديًا، قعر كل واد منها سبعون عامًا، لكل واد منها سبعون ألف شعب، فى كل شعب منها سبعون ألف مغارة، فى جوف كل مغارة سبعون ألف شق، فى كل شق منها سبعون ألف ثعبان، فى شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب، لكل عقرب منها سبعون ألف فقّارة، فى كل فقارة منها قلة سم لا ينتهى الكافر ولا المنافق حتى يواقع ذلك كله[1].

والنار مثوى لأهل الكفر كلهم ... طباقها سبعة مسودة الحُفَر

جهنم ولظى والحُطم بينهما ... ثم السعير كما الأهوال فى سقر

تحت ذاك جحيم ثم هاوية ... يهوى بها أبدًا سُحقًا لتحتقر

(١) انظر التذكرة (٤٤٩، ٤٥٠).

في كـل باب عقوبات مضاعفة ... وكل واحـدة تسطو على النفر
فيهـا غلاظ شداد من ملائكـة ... قلوبهم شـدة أقسى من الحجر
لهم مقـامع للتعـذيب مُرصــدةٌ ... وكـلٌّ كسر لديهـم غير منجبر
سـوداء مظلمــة، شعثاء مُوحشة ... دهمــاء محرقـة، لوّاحة البشر
فيها الجحيم مُذيب للوجوه مع الـ ... أمعــاء من شـدة الإحراق والشرر
فيهـا السلاسل والأغـلال تجمعهم ... مع الشيــاطين قسرًا جمـع منقهر
فيها العقـارب والحيات قد جُعلت ... جلودهم كالبغــال الدُّهم والحُمر
والجـوع والعطش المُضنى لأنفسهم ... فيهــا ولا جلد فيهــا لمصطبر
لهذا إذا مـا غلت فورٌ يُقلبُهم ... مـا بين مرتفع منهـا ومنحـدرِ
جمع النواصى مع الأقدام صيّرهم ... كالقوس محنيّة من شدة الوتر
لهم طعــام من الزقــوم يعلق فى ... حلوقهم شوكه كالصــاب والصبر
يا ويلهم تُحرِق النيران أعظمهم ... بالموت شهـوتهم من شدة الضجر
ضجّوا وصاحوا زمانًا ليس ينفعهم ... دعـاء داعٍ ولا تسليـم مصطبر
وكلٌّ يوم لهم فى طول مُدتهم ... نزع شديد من التعذيب والسُّعرِ [١]

• ثياب أهل النار:

وأما إذا سألت عن لباسهم؟

فثيابهم نار، وكساؤهم نار، فُصّلت وقطعت لهم ثياب من نار؛ قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ١٩ - ٢١].

فالثياب مفصلة ومقطعة على مقدار أجسامهم، وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن

(١) انظر كتاب: أشعار الخطباء للمؤلف.

﴿قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، أى ملابسهم من قطران، والقطران: ثياب أسود يشتعل نارًا من ذاته.

● طعام وشراب أهل النار:

وإن سألت عن شراب أهلها وطعام من فيها؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الأَثِيمِ ۝٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٥]، وقال: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا[1] وَلا شَرَابًا ۝٢٤ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٤ - ٢٦]، وقال: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٥، ٦]، وقال عز من قائل: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦].

قال الهروىّ: معناه من صديد أهل النار، وما ينغسل ويسيل من أبدانهم. قلت: وهو الغساق أيضًا، وذكر ابن المبارك: أخبرنا سفيان، عن منصور عن إبراهيم وأبى رزين فى قوله تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧]، قالا: ما يسيل من صديدهم، وقيل: الغسَّاق: القيح الغليظ المنتن.

وعن عبد الله بن عمر، قال: الغساق: القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق فى المغرب أنتنت أهل المشرق، ولو أنها تهراق فى المشرق أنتنت أهل المغرب، وقيل: الغساق الذى لا يستطاع من شدة برده، وهو الزمهرير، وقال كعب: الغساق عين فى جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فتستنقع ويؤتى بالآدمىّ فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام فيجر لحمه فى كعبيه كما يجر الرجل ثوبه.

وقوله: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]، أى وافق أعمالهم الخبيثة، وصدق من قال:

ونار تلظى فى لظاها سلاسل يغلّ بها الفجار ثم يُسلسلُ

---

(١) بردًا: أى نومًا.

شرابُ ذوى الإجرام فيها حميمًا ... وزقومها مطعومها حين يؤكلُ
حميمٌ وغسّاقٌ وآخر مثله ... من المهل يغلى فى البطون ويشعل
يزيد هوانًا من هواها ولا يزل ... إلى قعرها يهوى دوامًا وينزلُ
وفى ناره يبقى دَوَمًا مُعذبًا ... يصيح ثبورًا ويحه يتولول
عليها صراطٌ مدحضٌ ومزلّة ... عليه البرايا[1] فى الخلائق تُحمَلُ
وفيه كلاليب تعلق بالورى ... فهذا نجا منها وهذا مُخردَلُ
فلا مذنب يفديه ما يفتدى ... وإن يعتذر يومًا فلا العذرُ يُقبلُ
فهذا جزاءُ المجرمين على الردى ... وهذا الذى يوم القيامة يَحصُلُ
أعوذُ بربى من لظى وعذابها ... ومن حال من يهوى بها يتجلجلُ
ومن حال من فى زمهرير مُعذّب ... ومَن كان فى الأغلال فيها مُكَبَّلُ

وإن سألت عن طعامك وشرابك واللباس؟

فالطعام نار، والشراب نار، واللباس نار.

هذا هو جلدك الرقيق الذى أكل الحرام وغُذِّى بالحرام ونما على الحرام، يصير وقودًا للنار، وطعامًا لجهنم، ولا تتصورى أن هذا الجسم الضعيف المتهالك هو الذى تدخلين به النار أيتها العاصية، وإنما الجسم يكبر ويكبر، وقد ورد: «ضرس الكافر مثل أُحُد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»[2].

ولا تقولين هذا فى حق الكافر، أما أنا فمسلمة عاصية، فقد جاء فى الحديث الصحيح: «إن من أمة محمد ﷺ من يعظم فى النار حتى يكون أحد زواياها»[3]، ركن من أركان النار، فيا لكبر جسمه، وعظم بدنه.

(١) البرايا: الخلق.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٨٥١.

(٣) أخرجه ابن ماجه بسند حسن رقم ٤٣٢٣.

فإذا ما لمست النار جسمك لمسة اسودَّ كله عن آخره، ثمّ تأخذه النار فتحرقه، ولا ينقطع العذاب أبدًا، إذا ما انتهى الجسم وأحرق الجلد بدّلك الله تعالى جلدًا آخر، وجهنم تلظى وتتوقد.

وفى الوقت نفسه تُسحبين على هذا الوجه الرقيق الذى فتنت به الشباب، بل وتحمين نفسك من النار بوجهك، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٢٤، ٢٥].

وهل يمكن للوجه أن يدفع العذاب وهو أرق ما فى الجسم.

وفى ذات اللحظة، الفم يأكل الزقوم، وإذا أردت أن تعلمى قدر عذاب الزقوم فاسمعى كلام النبىّ المعصوم يقول: «لو أن قطرة من الزقوم قُطِرت على أهل الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه وشرابه»(١)، قطرة من الزقوم تفسد معايش أهل الدنيا، هذا طعامك وشرابك، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٩].

وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥١ ـ ٥٥].

وقال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ﴾[الصافات: ٦٢ ـ ٦٨].

---

(١) أخرجه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

فالطعام يزيد الهم والغم: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦، ٧].

وبعد أن يحرق الجلد ويسود ينزع نزعًا شديدًا، قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦].

ثم يدق العظم ويتفتت ويتحطم، قال تعالى: ﴿كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٤ ـ ٩].

وأشد من هذا أن العذاب لا يقتصر على العذاب الجسدىّ، بل هناك عذاب روحىّ، وذلك عندما يكلمك صاحباتك وزميلاتك اللاتى دخلن الجنة من التقيات والعابدات والمحجّبات، ويعاتبنك، قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٦٨].

ها هى صديقتك فى الجنة تلومك وتعاتبك، ولا تنفعك وقتئذ أبدًا.

• أهون أهل النار عذابًا:

لا يمكن بحال أن أصف لك عذاب جهنم وصفًا تامًا لا يبقى معه نقصان ولا زيادة، لأنه لا يعلم قدر النار إلا خالقها، وإلا من رآها ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

لكن يكفيك أن تعلمى أن أخف أهل النار عذابًا من يكون تحت قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه، ومعنى هذا أن العذاب من الجمرتين اللتين تحت القدمين وصل للجسد كله من أسفله إلى أعلاه، قال رسول الله ﷺ: «أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة من يكون تحت قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه»، وفى رواية: «تحت أخمص قدميه»[١].

وأخمص القدمين: هو الموضع الداخل فى وسط القدم، وهو رقيق لين، وأدنى خرق أو خدش أو عذاب فى هذا الموضع يؤلم أشد الإيلام.

فما حال أعلاهم وأشدهم عذابًا؟!

• وطعامهم الغسلين:

قال تعالى: ﴿وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٦، ٣٧].

ورد عن النبىّ ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، قال: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته، ولسرادق النار أربعة جُدر، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة، ولو أن دلواً من غسلين يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا»[٢].

• وشرابهم الحميم والصديد والمهل:

كما ورد: «إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدمه وهو الصهر ثم يعاد كما كان»[٣].

(١) أخرجه مسلم رقم ٢١٣.

(٢) أخرجه الترمذى، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

(٣) أخرجه الترمذى، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]، أنه: «يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩](١).

والمهل: كعكر الزيت، فهو قبيح المنظر، نتن الرائحة، سيئ الطعم، فلا والله لا يذوقون فيها برد شراب أبدًا، ولا والله لا يذوقون فيها لذة طعام أبدًا.

فيا أيها الناس: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون، فلو أن سفنًا أُجريت فيها لجرت.

وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»(٢).

فمن كثر بكاؤه خوفًا من الله تعالى، وخشية منه ضحك كثيرًا في الآخرة، قال الله تعالى مخبرًا عن أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]، أي خائفين وجلين باكين.

ووصف أهل النار، فقال:

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨ ـ ١١٠].

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣١].

(١) أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

(٢) أخرجه البخاري.

• سبعون ألف زمام:

ولقوة النار يوم القيامة نرى أنها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يمسكونها ويجرونها.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(١).

هذا يبين أن جهنم اسم علم لجميع النار، معنى: «يؤتى بها» يجاء بها من المحل الذى خلقها الله تعالى فيه، فتدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط، والزمام ما يزم به الشيء، أى يشد ويربط به، وهذه الأزمة التى تساق بها جهنم تمنع من خروجها على أرض المحشر فلا يخرج منها إلا الأعناق التى أمرت بأخذ من شاء الله بأخذه ويأتى وملائكتها كما وصفهم الله، غلاظ شداد، وأما قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، فالمراد رؤساؤهم على ما يأتى، وأما ملائكة النار الآخرين فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

• وأما إن سألت عن خزنة جهنم؟:

فعن جابر بن عبد الله، قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبى ﷺ: هل يعلم نبيكم عدة خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندرى حتى نسأله، فجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد غُلب أصحابك اليوم، فقال: «وبماذا غلبوا؟» قال: سألهم اليهود: هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قال: «فماذا قالوا؟» قال: قالوا: لا ندرى حتى نسأل نبينا، قال: «لا يغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا، لكنهم سألوا نبيهم فقالوا: أرنا الله جهرة، علىّ بأعداء الله، إنى سائلهم عن تربة الجنة وهى «الدرمك»، فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم كم عدد خزنة جهنم؟، قال: «هكذا وهكذا فى مرة عشرة،

---

(١) أخرجه مسلم.

وفى مرة تسعة»، قالوا: نعم، قال لهم النبىّ ﷺ: «ما تربة الجنة؟» قال: فسكتوا، ثم قالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال النبى ﷺ: «الخبز من الدرمك»[١].

• نار الآخرة مثل نار الدنيا سبعون ضعفًا:

وإن سألت عن مقدار إشعال النار ومستوى الإحراق؟ فقد ورد عن أبى هريرة أنه قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهى سوداء مظلمة»[٢].

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ناركم التى توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله، وإن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت بتسعة وستين جزءًا»[٣].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة»[٤].

ومن شدة إحراقها أن أنعم أهل الدنيا ينسى النعيم فى غمسة فى النار؛ فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له: هل رأيت بؤسًا قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[٥].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل

---

(١) أخرجه البخارى.

(٢) الصحيح وقفه.

(٣) أخرجه مالك ٢/٧٥٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه رقم ٨/٤٣ بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٢٨٠٧.

الدنيا من الكفار فيقول: اغمسوه فى النار غمسة، فيغمس فيها ثم يخرج فيقال له: أى فلان هل أصابك نعيم قط؟ فيقول: لا ما أصابنى نعيم قط، ويؤتى بأشد المؤمنين ضراً وبلاءً فيقال: اغمسوه فى الجنة، فيغمس غمسة ثم يخرج فيقال له: أى فلان هل أصابك ضر قط أو بلاء؟ فيقول: ما أصابنى ضر قط ولا بلاء»(١).

قوله: «ناركم هذه التى يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»، يعنى أنه لو جمع كل ما فى الوجود من النار التى يوقدها ابن آدم لكانت جزءًا من جزءٍ من أجزاء جهنم، إنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار نارًا لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذى هو من سبعين جزءًا أشد من حر نار الدنيا.

ومن شدة العذاب أن النار نفسها تشتكى، فعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضى بعضًا، فجعل لها نفسين: نفس فى الشتاء، ونفس فى الصيف، بأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها، وأشد ما تجدون من الحر من سمومها»(٢).

وعن أبى هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذا سمع وجبة(٣) فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوى فى النار إلى الآن حتى انتهى إلى قعرها»(٤).

• وإن سألت عن سلاسلهم؟

قال الله تعالى: ﴿**وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ**﴾ [الحج: ٢١]، ﴿**إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ**﴾ [غافر: ٧١]، ﴿**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا**﴾ [الحاقة: ٣٢]،

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم ٤٣٢١ بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخارى رقم ٥٣٧، ومسلم ٦١٧.

(٣) الوجبة: الهدة، وهى صعق وقع الشىء الثقيل.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٨٤٤.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً﴾ [المزمل: ١٢].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رضاضة مثل هذه ـ وأشار إلى مثل الجمجمة ـ أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»[1].

وعن بكار بن عبد الله أنه سمع ابن أبى مليكة يحدث عن أبىّ بن كعب قال: إن حلقة من السلسلة التى قال الله: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ إن حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا.

سمعت سفيان يقول فى قوله: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قال: بلغنا أنها تدخل فى دبره حتى تخرج من فيه، وقال ابن زيد: ويقال: ما يأتى يوم القيامة على أهل النار إلا ورحمة من الله تطلع طائفة منهم فيخرجون، ويقال: إن الحلقة من غُل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته.

• وقود النار:

وإن سألت عن وقودها وكبريتها؟ فالناس والحجارة، كأن من يدخل النار يصير عوداً من أعواد الكبريت، ما أفظعه من عذاب؛ قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

الوقود بفتح الواو على وزن الفعول بفتح الفاء: الحطب، وكذلك الطهور اسم للماء، والسحور اسم الطعام، وبضم الفاء: اسم للفعل، وهو المصدر، والناس عموم ومعناه: الخصوص ممن سبق عليه القضاء أنه يكون حطبًا لها، أجارنا الله منها، قال: حطب النار: شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات طال منهن العويل.

---

(١) أخرجه الترمذى رقم ٢٥٨٨، وقال: حسن صحيح.

وقيل: المراد بالحجارة: الأصنام لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، أى: حطب، وهو ما يلقى فى النار مما تُذكى به وعليه فيكون الناس والحجارة وقوداً للنار على التأويل الأول وعلى التأويل الثانى يكونون معذبين بالنار والحجارة.

• رحمة الله بعصاة المسلمين فى النار:

ومن رحمة الرحمن الرحيم ومن رأفة الرؤوف الودود أن المسلمين الذين يدخلون النار يميتهم الله إماتة ليخفف عنهم من عذابها.

ومع ذلك احترقوا حتى صاروا فحمًا، قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناسًا أصابتهم النار بذنوبهم أو قال: بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن لهم فى الشفاعة فيجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثمَّ قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل..»[1].

ومن عدل الله ـ جل وعلا ـ أن النار تأخذ عصاة المسلمين حسب كثرة ذنوبهم وكبرها وإصرارهم عليها.

قال رسول الله ﷺ: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته»[2].

• طلب جهنم الزيادة:

وجهنم لا تكتفى أبدًا، فتوهمى شدة صوتها، ورعب شهيقها، وهى تطلب الزيادة، فلا تكتفى بحال حتى يضع رب العزة فيها قدمه، وكل ما خطر ببالك

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١٨٥.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٨٤٥.

فالله بخلاف ذلك، قال تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، عن أنس، عن النبيِّ ﷺ قال: «تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، وعزتك وكرمك، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا، فيسكنهم فضل الجنة»، وفى رواية أخرى من حديث أبى هريرة: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا».

وأشد الناس عذابًا يوم القيامة من يُعذِّبون الناس فى الدنيا؛ فعن هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا فى الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا على الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا».

ومن أشد أهل النار عذابًا العالِم الذى لم يعمل بعلمه؛ عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أى فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله»[١]. أقتاب بطنه: أى أمعاؤه.

وعن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار، فتندلق بطنه فى النار فيدور كما يدور الحمار بالرّحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ابن فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه»[٢].

---

(١) أخرجه البخارى رقم ٣٢٦٧.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٩٨٩.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أُسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قُرضت رُدّت، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرءون كتاب الله ولا يعملون».

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن علىّ بن زيد، قال: سمعت أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ يقول: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أُسْرِى بى رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قال: فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء، أى من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب». قال إبراهيم النخعىّ ـ رضى الله عنه ـ: إنى لأكره القصص لثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

فى حديث البراء من قول الكافر: رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة، يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه وقد يكون ما جاء فى الخطباء هو عذابهم فى القبور، فى أعضاء مخصوصة كغيرهم، هذا لعظم ما ارتكبوه من مخالفة قولهم فعلهم، نعوذ بالله من ذلك.

ومن أشد الناس عذابًا فى النار: الجبارون والمتكبرون، كما قالت النار: «ما لى لا يدخلنى إلا الجبارون والمتكبرون». وكما قالت: «وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة: وكلت بمن جعل مع الله إلهًا آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين»[1]، أى الذين يصنعون التماثيل، والصور المجسمة التى يضاهون بها خلق الله تعالى.

هذه صورة موجزة عن النار وعذابها وأهلها. فما صورة الجنة وأهلها ونعيمها؟

(١) حسّنه بعضهم.

ألا هل من مُشمّر للجنة؟

هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد وحبرة ونعمة وزوجة حسناء بهية فى مقام أمين.

جنات عدن لهم ما يشتهون بها ... فى مقعد الصدق بين الروض والزهرِ
بناؤها فضة قد زانها ذهب ... وطينها المسك والحصبا من الدُّررِ
أوراقها ذهب منها الغصون دنت ... بكل نوع من الريحان والثمرِ
أوراقها حلل شفافة خلقت ... واللؤلؤ والمرجان فى الشجرِ
دار النعيم وجنات الخلود لهم ... دار السلام لهم مأمونة الغيرِ
وجنة الخلد والمأوى وكم جمعت ... جنات عدن لهم من مونق نَضِرِ
طباقها درجات عدها مائة ... كل اثنتين كبعد الأرض والقمرِ
أعلى منازلها الفردوس عاليها ... عرش الإله فسل واطمع ولا تذرِ
أنهارها عسل ما فيها شائبة ... وخالص اللبن الجارى بلا كدرِ
وأطيب الخمر والماء الذى خليت ... من الصداع ونطق اللهو والسكرِ
والكل تحت جبال المسك منبعها ... يجرونه كيف شاءوا غير محتجرِ
فيها نواهد أبكار مزينة ... يبرزون من حلل فى الحسن والخفرِ
نساؤها المؤمنات الصابرات على ... حفظ العهود مع الإملاق والضررِ
كأنها بدر فى غصون نقا ... على كثيب بدت فى ظلمة السحرِ
كل امرئ منهم يعطى قوة مائة ... فى الأكل والشرب والإفضا بلا خورِ
طعامهم رشح مسك كلما عرقوا ... عادت بطونهم فى هضم منضمرِ
لا جوع لا برد لا هم ولا نصب ... بل عيشهم عن جميع النائيات عرِى

فيها الوصائف والغلمان تخـدمهم كلؤلؤ فى كمـال الحسن منتشرِ
فيها الغنا والجـوارى الغـانيات لهم بأحسن الذكر للمـولى مع السمرِ
لباسهم سندس حـلاهم ذهب ولؤلـؤ ونعيـم غيـر منحصرِ
والذكر كالنفس الجـارى بلا تعب ونزهوا عن كـلام اللغـو والهـذرِ
وأكلهـا دائم لا شىء منقطع كرر أحـاديثها فى أطيب الخبرِ
فيها من الخير ما لم يجر فى خَلَد[1] ولم يكـن مـدركًا للسمـع والبصـرِ
فيها رضا الملك والمولى بلا غضب سبحـانه ولهم نفـع بلا غيـرِ
لهم من الله شىء لا نظير له سمـاع تسليمـه والفـوز بالنظرِ
بغير كيف ولا حـد ولا مثـل حقًا كما جاء فى القرآن والخبرِ
وهى الزيـادة والحسنى التى وردت وأعظم الموعد المذكور فى الزبرِ[2]

* * *

يا سائلى عن الجنة

يا ولى الله:

فاسمع إذن وصف دار غرسها الرحمن بيده وكيف يقدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهى المسك والزعفران.

---

(١) خلد: عقل.

(٢) الزبر: الكتب المنزلة.

وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب وترى هذه اللبنات من داخلها.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب.

وإن سألت عن ثمرها فأمثالها القلال، ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها فإنها من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون.

وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والسلسبيل والزنجبيل والكافور.

وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، حتى إنه ليلجه سبعمائة ألف من الأنام.

وما بين المصراعين (فتحتى الباب) من مصاريع الجنة من مكة إلى هجر من السعودية إلى البحرين.

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستنفر بالطرب لمن يسمعها، ولو أن الله ـ سبحانه ـ كتب عليهم الموت لماتوا من جمال صوتها.

وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها

مائة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير فى ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام.

وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهى من غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار.

وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.

وإن سألت عن فراشها فبطائنها من إستبرق مفروشة فى أعلى الرتب.

وإن سألت عن أرائكها فهى الأسرة عليها البشخانات وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر.

وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم ـ عليه السلام ـ أبى البشر.

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان.

وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فهن الكواكب الأتراب اللائى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فالورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حِبَّها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه فى صحن خدها، كما يرى فى المرآة التى جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا وأفواه الخلائق تهليلاً وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم. ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، ولا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فهى غاية أمنيته وهواه، وإن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو منها فى غاية الأمانى هذا لم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظومًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً.

وإن سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب، ثلاث وثلاثين بلا عقود وأحقاب.

وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر.

وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حور، وإن سألت عن القدود، فهل رأيت أحسن الأغصان.

وإن سألت عن النهود فهن الكواعب ونهودهن كألطف الرمان.

وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان.

وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان، اللاتى جمعن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس منتقلة فى بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة[1].

وحديثها السحر الحلال لو أنه   لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يملك وإن هى حدثت   ود المحدث أنها لم توجز

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإن قبلت فلا شىء إليه أشهى من التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى فى الظهيرة والقمر ليلة البدر كما توارد عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود فى الصحاح والسنن والمسانيد.

* * *

(١) المخاصرة: وضع اليد عند الخاصرة والخاصرة نهاية عظم الورك والمقصود تضع يدها عند وسطه.

سَوْق أهل الجنة إلى الجنة

وإن سألت كيف يساقون إلى الجنة؟

إذا خرجت من القبور ـ يا طالب الجنة ـ تلقاك نوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر، ويطيرون بها فينزلون عند محطة العرض فيأخذون كتابهم باليمين، ويمرون بلا حساب، أو يحاسبون حسابًا يسيرًا، ثم ينقلون إلى محطة الحوض فيشربون، وتأمَّل حالهم وهم يمرون على الصراط كالبرق أو كطرف العين أو كالريح المرسلة، ومعهم جواز مكتوب فيه هذا جواز من الله العزيز الحميد لفلان ابن فلان، أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية، وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحداهما جرت فى وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدًا فيضربون الحلقة ـ أى حلقة باب الجنة ـ بالصفيحة، فلو سمعت طنين الحلقة، ما أجمله من صوت فيفتح خازن الجنة الباب ويتلقاه الخزنة بالترحيب قائلين: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيقابله، فلولا أن الله عَزَّ وَجَلَّ عرف عبده نفسه لخر العبد ساجدًا لهذا القيم على الحوراء من البهاء والنور والجمال، فيقول: أنا قيمك الذى وكلت بأمرك، فيتبعه فيقفو أثره، تأمل حاله وهو يمشى معه وقد أعطاه الله جمال يوسف وصبر أيوب وطول آدم وخلق محمد ﷺ إنه يمشى على أرض لم ير مثلها من مسك خالص، حصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، ويخرج من كل هذا نور فإن الجنة بيضاء ذات نور لكن ليس فيها شمس ولا زمهرير.

تأمل وأنت معه إذا بك ترى ما يعجز اللسان عن وصفه من القصور والغرف والبساتين والحدائق والأنهار والثمار والأشجار والملابس والنعيم المقيم.

ولما تسمع الحور العين بقدومه ـ بقدوم حبها وحبيبها ـ تستخف إحداهن العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول:

أنت حبى وأنا حبك، وأنا الراضية لا أسخط أبدًا، وأنا الناعمة فلا أبأس أبدًا، والخالدة فلا أظعن أبدًا، فيدخل بيتًا من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق خضر وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتى الأريكة، فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشًا عليها سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضى جماعهن فى مقدار ليلة، تجرى من تحتهم الأنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيور بيض فترفع أجنحتها، فيأكل من جنوبها من أى الألوان شاؤوا، ثم تطير فتذهب، فيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انشعب الغصن إليهم، فيأكلون من أى الثمار شاؤوا إن شاء قائمًا وإن شاء متكئًا[1]، وإن شاء نائمًا، وإن شاء أن تجرى وراءه الثمار جرت.

حبيبى فى الله افتح ذهنك لتشاهد هذا المشهد إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به من سككها، فيقول له انظر ما ترى؟ قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة، وأكثر أنيس، فيقول له الملك:

فإن هذا أجمع لك، حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان يقولون نحن لك، نحن لك، ثم يقول:

امش، فيقول: ماذا ترى؟ فيقول أكثر عساكر رأيتها من خيام وأكثر أنيس؟

---

(١) جاء هذا فى أثر عن على ـ رضى الله عنه ـ رواه ابن أبى الدنيا.

قال: فإن هذا أجمع لك، فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا: نحن لك نحن لك[١].

ويفتح أذنيه: فيستمع لأذان أهل الجنة يؤذن المؤمن فيقول: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وإن لكم أن تخلدوا فلا تموتوا أبدًا[٢].

إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، لا أمراض لا مستشفيات لا عيادات لا صيدليات لا أطباء.

إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، لا عجائز ولا شيوخ وإنما الكل فى سن ثلاث وثلاثين سنة، جاءت عجوز إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هل يدخل الجنة عجوز؟ قال: «لا» فحزنت، فتلا عليها هذه الآية: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٦][٣].

إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا لا تعب ولا نصب ولا هم ولا غم ولا كرب ولا حزن، نعيم مقيم.

يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة فيغمس فى النار غمسة، ثم يخرج فيقال: هل رأيت نعيمًا قط فيقول:

لا وعزتك ما مر بى نعيم قط.

ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا ـ لكنه كان مطيعًا لمولاه ـ فيقول له هل مر بك بؤس قط: فيقول:

لا وعزتك ما مرَّ بى بؤس قط[٤].

---

(١) رواه أبو نعيم عن الضحاك.

(٢) رواه مسلم كتاب صفة الجنة.

(٣) رواه الترمذى بسند حسن.

(٤) رواه مسلم رقم ٢٨٠٧.

فى أول غمسة نسى الفقر والمرض والتعب والقلق والأرق، والغنى العاصى الذى كان يسكن القصور، ويعمِّر الدور، فى أول غمسة فى النار نسى نعيم الدنيا كله.

إن لكم أن تخلدوا فلا تموتوا أبدًا: لا موت وإنما هو الدوام والبقاء ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

فبعد أن يخرج كل موحد من النار: ينادى مناد ـ بعد أن يوضع الموت على الصراط فى هيئة كبش ثم يذبح ـ : يا أهل الجنة، فيشرئبون (يتطلعون ويرفعون رؤوسهم ـ فيقال خلود فلا موت).

ثم ينادى مناد: يا أهل النار فيشرئبون ـ فيقال لهم: خلود فلا موت.

ـ يا أهل الجنة إن لكم أن تفرحوا فلا تحزنوا أبدًا[١].

ـ يا أهل الجنة إن لكم أن تضحكوا فلا تبكوا أبدًا.

ـ يا أهل الجنة إن لكم أن تشتهوا فلا تمنعوا أبدًا.

وأعظم نعيم الجنة هو رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ فليس نعيم الجنة فى ترابها ولا قصورها ولا غرفها ولا أنهارها ولا عيونها ولا طعامها ولا شرابها ولا لباسها ولا إستبرقها ولا سندسها ولا حورها ولا عينها... وإنما نعيم الجنة الأكبر فى رؤية وجه ربها.

ويرونه سبحـــانه من فوقهـم ... نظر العيان كأنما يرى القمران
هـذا تواتر عن رسول الله لم ... ينكـره إلا فاســد الإيمـــان
أو مـا سمعت منادى الإيمان ... يخبر عن منادى جنة الحيـوان
يا أهلهـــا لكم لدى الرحمن ... وعد هـو منجزه لكم بضمان
قالوا: أمـا بيضت أوجهنا كذا ... أعمـــالنا أثقلـت فى الميــزان

(١) اخرجه مسلم كتاب الجنة (٣٨٣٧) بلفظ آخر.

وكذلك قد أدخلتنا الجنات حين أجرتنا من مدخل النيران
فيقول عندى موعد قد آن أن فيرونه أعطيكموه برحمتى وحنانى
من بعد كشف حجابه جهرًا روى ذا مسلم ببيان

وتمتع بكلام الرحمن جل جلاله مع أهل الجنة... أخى:

أو ما علمت بأنه سبحانه حقًّا يكلم حزبه بجنانِ
فيقول جل جلاله: هل أنتم قالوا: نحن ذوو رضوانِ
أم كيف لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم ينله قط من إنسان
هل ثَمَّ شىء غير ذا فيكون أفضـ ـل منه نسأله من المنان[1]
فيقول أفضل منه رضوان فلا يغشاكم سخط من الرحمن
ويذكر الرحمن واحدهم بما قد كان منه سالف الأزمان
منه إليه ليس ثم وساطة ما ذاك توبيخًا من الرحمن
لكن يعرفه الذى قد ناله من فضله والعفو والإحسان
ويسلم الرحمن جل جلاله عليهم وهو فى القرآن[2]

أى والله ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

* * *

(١) ثم: هناك.
(٢) القصيدة النونية لابن القيم ص٢٣٥ ـ ٢٣٧.

السابقون إلى الجنة من هذه الأمة وصفتهم

فإن سألت عن السابق من هذه الأمة لها؟

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(أول زمرة[١] تلج[٢] الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم[٣] الألوة[٤] ورشحهم المسك[٥] ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما[٦] من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيًا)[٧].

وفيها أيضًا عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء)[٨].

---

(١) زمرة: الفوج أو الجماعة.

(٢) تلج: تدخل.

(٣) مجامر: جمع جمرة وهي المبخرة.

(٤) الألوة: العود الذي يتبخر به وهو طيب الريح.

(٥) رشحهم: عرق أبدانهم المسك نفسه.

(٦) مخ سوقهما: المخ هو ما بداخل العظم، والسوق جمع ساق.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٤٥، ومسلم في الجنة ٢١٨٠.

(٨) متفق عليه: رواه البخاري في الأنبياء ٣٣٢٧.

وروى أحمد والطبرانى واللفظ له من حديث عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون أول من يدخل الجنة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ويموت أحدهم[1]. وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، تقول الملائكة: ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سماواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا فيقول:

عبادى لا يشركون بى شيئًا تتقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاءً، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)[2].

ولما ذكر الله أصناف بنى آدم قسمهم إلى سعيد وشقى وجعل سعيدهم قسمان:

١ ـ السابقون.

٢ ـ أصحاب اليمين.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠].

أى السابقون فى الدنيا إلى الخيرات هم السابقون فى الآخرة إلى الجنات والسابقون فى الدنيا إلى الإيمان هم السابقون فى الآخرة إلى الجنات فإن قيل فما تقول فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه عن بريدة بن الحصيب قال: (أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال:

«يا بلال: بم سبقتنى إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك[3] أمامى ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامى، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة

---

(١) تتقى بهم المكاره: تدفع بواسطتهم الأشياء المكروهة، والمقصود أنهم يكونون الفداء للإسلام.

(٢) رواه أحمد ٢/١٦٨، وباختلاف يسير فى ٢/١٧٧، وقال الهيثمى فى المجمع: ١/٢٥٩، رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجالهم ثقات اهـ. وصححه العلامة أحمد شاكر ٦٥٧٠.

(٣) صوت النعلين.

محمد، قلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا: لبلال.

فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله على ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «فبذلك»(١).

هذا الحديث يدل على تقدم بلال بين يدى رسول الله ﷺ، وذلك لأن بلالاً كان يدعو إلى الله أولاً بالأذان فيتقدم أذانه بين يدى النبى ﷺ فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم فتقدمه بين يديه ﷺ كرامة لرسوله ﷺ، وإظهاراً لشرفه وفضله، ولا سبقًا من بلال له، بل هذا السبق من جنس سبق إلى الوضوء ودخول المسجد ونحوه.

• الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة:

عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفًا)(٢).

وسيأتى لهذا مزيد بيان.

أخى طالب الجنة:

ونظير هــذا سبـق أهل الفقر للـ ـجنـــات فى تقــديره أثـرانِ

مائة بخمس ضربها أو أربعيـ ـن كلاهمـــا فى ذاك محفوظـانِ

فأبو هريرة قد روى أولاهمـا وروى لنا الثانى صحـــابيانِ

هذا بحسب تفاوت الفقراء فى اسـ ـتحقاق سبقهم إلى الإحسـانِ

أو ذا بحسب تفـاوت فى الأغنيـا ء كلاهمـا لا شك موجودانِ

(١) رواه الترمذى فى المناقب ٦٣٨٩، وأحمد ٥/ ٣٦٠، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب ١٩٦، وحسن الأرناؤوط إسناد الترمذى فى جامع الأصول ٦٣٨٩ ـ ٨/ ٥٧٧.

(٢) رواه مسلم فى الزهد ٢٢٨٥ ـ ٤/ ٣٧.

هذا وأولهم دُخولاً خير خلـ ـق الله من قد خص بالقرآنِ
والأنبياء على مراتبهم من التـ ـفضيل تلك مواهب المَنانِ
هـذا وأمـة أحمـد سباق با قى الخلق عند دخُولهم بجنانِ
وأحقهم بالسبق أسبقهم إلى الـ إسلام والتصديق بالقرآن
وكذا أبو بكر الصديق أسبقهم دخولاً قول ذى البرهان
وروى ابن ماجـه أن أولهم يُصا فحه إله العرش ذو الإحسانِ
ويكـون أولهـم دخـولاً جنة الـ ـفردوس ذلك قامع الكفرانِ

* * *

أكثر أهل الجنة أمة محمد ﷺ

وأكثر أهل الجنة أمة محمد ﷺ ففى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟» فكبرنا، ثم قال: «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» فكبرنا، ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك: ما المسلمون فى الكفار إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض»[1]. هذا لفظ مسلم.

وعند البخارى: «وكشعرة سوداء فى ثور أبيض»[2] بدون أو بل بالواو.

وهذا الحديث يدل على أن أمة محمد ﷺ يبلغون نصف سكان الجنة، وهناك حديث آخر يفيد أن أمة محمد ﷺ يبلغون ثلثى سكان الجنة رغم أنهم أقل الأمم عدداً.

(١) رواه مسلم فى الإيمان ٣٧٦، ١/ ٢٠٠.

(٢) البخارى فى الرقاق ٦٥٢٨، ١١/ ٣٨٥.

فماذا يقول رسول الله ﷺ؟

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم وربع الجنة لكم، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «كيف أنتم وثلثها؟» قالوا: ذلك أكثر، قال: «كيف أنتم والشطر[1] لكم؟» قالوا: ذاك أكثر، فقال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، لكم منها ثمانون صفًا»[2].

ولا تنافى بين حديث الشطر وبين هذا لأنه ﷺ رجا الشطر فأعطاه الله رجاءه وزاد السدس.

* * *

خلق الرب ـ جل وعلا ـ بعض الجنان بيده

فإن سألت عن خلقها؟

فقد اتخذ الرب تعالى من الجنان دارًا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهى سيدة الجنان، والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة: جبريل، ومن البشر: محمدًا ﷺ، ومن السماوات: العليا، ومن البلاد: مكة، ومن الأشهر: المحرم، ومن الليالى: ليلة القدر، ومن الأيام: يوم الجمعة، ومن الليل: أوسطه، ومن الأوقات: أوقات الصلاة، إلى غير ذلك، فهو سبحانه وتعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

---

(١) الشطر: النصف.

(٢) رواه أحمد ١/٤٥٣، وصححه أحمد شاكر ٤٣٢٨ ـ ٦/١٥٧، وكذا محقق صفة الجنة لأبى نعيم ٢٣٩، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/٤٠٣: هو فى الصحيح باختصار. ورواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى فى الثلاثة ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وقد وثق. اهـ.

قال عبد الله بن عمر: «خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وعدن، وآدم عليه السلام، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان»(١).

وعن أبى سعيد قال: (إن الله أحاط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده، وقال لها: تكلمى، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، فقال: طوبى لك منزل الملوك)(٢).

ورحم الله الإمام ابن القيم القائل:

فاسمع إذًا صفاتها	تيك المنازل ربة الإحسانِ
هى جنة طابت وطاب نعيمها	فنعيمها باق وليس بفانِ
دار السلام وجنة المأوى ومنـ	ـزل عسكر الإيمان والقرآنِ
فالدار دار سلامة وخطابهم	فيها سلام واسم ذى الغفرانِ

* * *

أدنى أهل الجنة وأعلاهم

وإن سألت عن أدنى أهل الجنة، فإن ملكه أعظم من ملوك الدنيا أجمعين.

قد روى مسلم فى صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال: (سأل موسى ـ عليه السلام ـ ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: رجل يجىء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت

(١) صحيح موقوفًا، الحاكم (٢/ ٣١٩) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) صحيح موقوفًا، أخرجه أبو نعيم (٦/ ٢٠٤).

نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ومصداقه من كتاب الله: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧][1]، وأعظم بدار خلقها الرب تعالى بيده.

* * *

احتجاج الجنة والنار

وتعالى معى لنشاهد هذا النقاش بين الجنة والنار.

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: (احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلنى الجبارون والمتكبرون. وقالت هذه: يدخلنى الضعفاء والمساكين. فقال الله عَزَّ وَجَلَّ لهذه: أنت عذابى أعذب بك من أشاء. وقال لهذه: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها)[2].

وفى رواية أخرى: (تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم، فقال الله سبحانه للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى، وقال للنار: أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع قدمه عليها، فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ وينزوى[3] بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله عَزَّ وَجَلَّ ينشئ لها خلقًا)[4].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان رقم ١٨٩.

(٢) متفق عليه: البخارى فى التوحيد ٧٤٤٩، ومسلم فى الجنة ٢١٨٦، وفى لفظة البخارى (اختصمت).

(٣) ينزوى: ينضم ويجتمع (ينكمش).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى فى التفسير ٤٨٥٠، ومسلم فى الجنة ٢١٨٦.

الجنة يبقى فيها فضل

لكن الجنة يبقى فيها فضل، ورد في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك؟ ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة)[١].

وفى لفظ مسلم: (يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى، ثم ينشئ الله سبحانه وتعالى لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة)[٢].

* * *

امتناع النوم على أهل الجنة

وأهل الجنة لا ينامون، فعن جابر قال: سئل نبى الله ﷺ فقيل: أينام أهل الجنة؟ فقال النبى ﷺ: «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون»[٣].

فلا نوم ولا تعب ولا ملل ولا سأم ولا قلق ولا أرق ولا نصب ولا مرض ولا ألم ولا يأس ولا خوف ولا رعب حتى العرق لا يصيبهم.

وإنما العرق يخرج على أجسادهم كرائحة المسك ولا بول ولا غائط، وإنما إذا أراد أحدهم الحاجة كما يريدها أحدنا فى الدنيا، خرج من جسده بديلاً للبول

(١) متفق عليه: رواه البخارى فى التوحيد ٧٣٨٤، ومسلم فى الجنة ٢١٨٨.

(٢) رواه مسلم فى الجنة ٢١٨٨.

(٣) قال الهيثمى فى المجمع: ١٠/٤١٥: رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح، وصححه الألبانى فى الصحيحة ١٠٨٧.

والغائط رائحة المسك، لا كمسك الدنيا وإنما هو مسك إلهى ليس له مثيل لا فى لونه ولا فى رائحته، وإنما هى مشابهة أسماء، إذ ليس فى الجنة مما فى الدنيا إلا الأسماء.

* * *

بوابى الجنة وخزنتها وأبوابها

وللجنة أبواب وخزنة عند كل باب، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ...﴾ [الزمر: ٧٣].

والخزنة جمع خازن وهو المؤتمن على الشىء الذى قد استحفظه وروى مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن، من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بلى أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك».

وورد من حديث أبى هريرة أنه ﷺ قال: «من أنفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة، كل خزنة باب: أى فل[1] هلم...».

أما أبوابها فقال الله خالقها عنها: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «فى الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون». أخرجاه.

وهناك أبواب أخرى مثل باب الصبر، وباب التوبة، وباب الضحى، وباب الصلاة، وباب الجهاد، وباب الزكاة.

ويمكن لنا أن نقسم أبواب الجنة ثلاثة أقسام:

---

(١) يعنى: فلان.

القسم الأول: الأبواب العامة وهى ثمانية أبواب والبعض منا يدخل من كل هذه الأبواب، والكثير يدخل من باب واحد.

والقسم الثانى: أبواب خاصة بفئة معينة، فمن أعطى الصلاة حقها دخل من باب الصلاة، ومن أعطى الصبر حقه، دخل من باب الصبر، ومن أعطى الصيام حقه دخل من باب الريان، وهكذا، وهى أربعة أبواب:

الباب الأول: باب خاص بزوجاته فى الدنيا ومن الحور العين.

الباب الثانى: باب خاص بأصدقائه وأصحابه قال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤].

الباب الثالث: باب مفتوح إلى النار إذا أراد أن يرى أصحابه الذين تخلفوا عنه إلى النار..

يصور الحق تبارك وتعالى هذا المشهد فيقول: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٦٢].

الباب الرابع: لخواص الخواص: باب مفتوح فى دار السلام إذا ما أراد العبد أن يرى الله ـ سبحانه ـ فتح الباب فرأى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ.

اعلم ولى الله أن:

أبوابها حق ثمانية أتت ... فى النص وهى لصاحب الإحسانِ

باب الجهاد وذاك أعلاها ... وباب الصوم ويدعى الباب بالريان

ولكـــل سعـى صالـــح بـاب ورب السعى[1] منه داخل بأمانِ
ولســـــوف يـدعى المــرء مـــن أبوابها جميعًا إذا وفى حلى الإيمانِ
منهم أبو بكر هــو الصـــديق ذاك خليفــة المبعــوث بالقـرآنِ

* * *

زرع الجنة

وفى الجنة زرع إذا اشتهاه المؤمن. قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يحدث يومًا وعنده رجل من أهل البادية، أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عَزَّ وَجَلَّ فى الزرع فقال له: أولست فيما اشتهيت؟ فقال: بلى ولكنى أحب أن أزرع، فأسرع وبذر، فبادر الطرف نباته[2] واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شىء، فقال الأعرابى: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشيًا، أو أنصاريًا فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحـاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ[3].

وهذا يدل على أن فى الجنة زرع. فإن قيل: فكيف استأذن الرجل ربه عَزَّ وَجَلَّ فى الزرع فأخبره أنه فى غنية[4] عنه؟ قيل: لعله استأذن فى زرع يباشره ويزرعه بيده وقد كان فى غنى عنه.

كما يدل الحديث على أن من اشتهى شيئًا من الدنيا وجده، فمن اشتهى لعبة أو تلفازًا، وجده لكن بما يتناسب مع الجنة.

---

(١) رب السعى: صاحب السعى إلى الطاعات.
(٢) فبادر الطرف نباته: أى تم نبته واستواؤه وحصاده فى لمح البصر.
(٣) رواه البخارى فى الحرث والمزارعة ٢٣٤٨، وفى التوحيد ٧٥١٨.
(٤) غنية: استغناء.

أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

وإن سألت عن أشجارها وبساتينها، فهى كما قال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن:٤٨]، وهو جمع فنن وهو الغصن.

قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨].

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٢٧ ـ ٣٣].

والمخضود: الذى قد خضد شوكه أى نزع وقطع فلا شوك فيه، هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة.

فعن عتبة بن عبد السلمى قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابى، فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكًا منها ـ يعنى الطلح ـ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لونًا آخر»[1].

وقيل: المخضود هو الموقر حملاً لأن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل ولا تنافى بين المعنيين السابقين.

ـ وقيل: المخضود لا يعقر[2] اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه ـ وأما الطلح فأكثر المفسرين قالوا:

---

(١) رواه أبو نعيم فى صفة الجنة وصححه المحقق رقم ٣٤٧، ورواه ابن أبى داود فى البعث والنشور وصححه الشيخ الحوينى رقم ٦٩، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤١٤) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح اهـ.

(٢) يجرح.

إنه شجر الموز، وظاهر من فسره بذلك إنما أراد التمثيل به لحسن نضره وإلا فالطلح فى اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادى.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]» (١).

وفيها أيضًا من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها». قال أبو حازم: وحدثنا به النعمان بن أبى عياش الزرقى فقال: حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها» (٢).

وعن أبى سعيد الخدرى، أن رجلاً قال: يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك فقال: «طوبى لمن رآنى وآمن بى، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى، لمن آمن بى ولم يرنى» فقال رجل: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: «شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»، أى تخرج من ثمارها.

وعن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها (٣) ذهب أحمر، وسعفها (٤) كسوة لأهل الجنة منها مقاطعاتهم (٥) وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء (٦)، أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم (٧).

---

(١) أخرجه البخارى كتاب التفسير رقم ٤٨٨١.

(٢) أخرجه البخارى رقم ٦٥٥٢ كتاب الرقاق.

(٣) كربها: الكرب هو أصول سعف النخل الغلاظ العراض.

(٤) هو جريد النخل، وورقه إذا يبس وجف.

(٥) مقاطعاتهم: جمع مقطعة وهى الثوب القصير، أو برود عليها وشى.

(٦) الدلاء: جمع دلو.

(٧) عجم: نوى.

وعن أسماء بنت أبى بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ، وذكر سدرة المنتهى فقال: «يسير فى ظل الفنن منها الراكب مائة سنة»، أو قال: «يستظل فى الفنن منها مائة راكب، فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال»(١).

وعن مجاهد قال: أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق، وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائمًا لم يؤذه ومن أكل جالسًا لم يؤذه، ومن أكل مضطجعًا لم يؤذه. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤].

وقد قيل:

أشجارها نوعان منها ما له ... فى هذه الدنيا مثال دان

كالسدر أصل النبق مخضود(٢) مكـ ... ـان الشوك من ثمر ذى ألوان

هذا وظل السدر من خير الظلال ... ونفعه الترويح للأبدان

وثماره أيضًا ذوات منافع ... من بعضها تفريح ذى الأحزان

والطلع وهو الموز منضود كما ... نضدت يد بأصابع وبنان

أو أنه شجر البوادى موقرًا ... حملاً مكان الشوك فى الأغصان

وكذلك الرمان والأعناب ... والنخل التى منها القطوف دوان(٣)

هذا ونوع ما له فى هذه ... الدنيا نظير كى يُرى بعيان

يكفى من التعداد قول إلهنا ... من كل فاكهة بها زوجان

أُتوا به متشابه فى الاسم مخـ ... ـتلف الطعوم فذاك قول ثان

أو أنه وسط خيار كله ... فالفحل منه ليس ذا ثنيان

(١) رواه الترمذى كتاب صفة الجنة رقم ٢٥٤١.

(٢) لا شوك فيه.

(٣) قريبة.

لكن لبهجتهـا ولذة طعمهـا … أمر سوى هذا الذى تجـدان
فيلذها فى الأكل عند منالهـا … وتلذهـا من قبله العينـان
قال ابن عباس وما بالجنة الـ … ـعليا سوى اسمًا ما تريان
يعنى الحقـائق لا تماثل هـذه … وكلاهمـا فى الاسم متفقـان
يا طيب هاتيـك الثمـار وغرسها … فى المسك ذاك الترب للبستان
وكـذلك الماء الذى يسقى به … يا طيب ذاك الـورد للظمآن
وإذا تناولت الثمار أتت نظيـ … ـرتها فحلت دونها بمكـان
لم تنقطع أبدًا ولم ترقب نزو … ل الشمس مـن حمل إلى ميـزان
وكذاك لم تمنع ولم تحتج إلى … أن ترتقى للقنو فى العيـدان
بل ذُللت تلك القطوف فكيف ما … شئت انتزعت بأسهل الإمكان
ولقد أتى أثر بأن الساق من … ذهب رواه الترمـذى ببيـان
قـال ابن عبـاس وهاتيـك … الجذوع زمرد مـن أحسن الألوان
ومقطعـاتهم من الكـرم الذى … فيها ومن سعـة من العقبان
وثمارهـا مـا فيـه من عجم كأمـ … ـثال القـلال فجعل ذو الإحسان
وظلالهـا ممتـدة ليسـت … تقى حرًا ولا شمسًا وأنى ذان[1]
أو ما سمعت بظل أصل واحـد … فيـه يسير الراكب العجـلان
مائة سنين قدرت لا تنقضى … هـذا العظيم الأصل والأفنان
ولقد روى الخـدرى أيضًا أن طو … بى قدرهـا مـائة بلا نقصـان
تتفتح الأكمـام فيهـا عن لبا … سهم بمـا شاءوا من الألوان

* * *

(١) أى ليس فيها حر ولا شمس.

درج الجنة

وإن سألت عن درجها فعن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجنة مائة درجة منها ما بين السماء والأرض وإن أعلاها الفردوس وأوسطها الفردوس، منها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فأسألوه الفردوس» قال الترمذى: عطاء هذا لم يدرك معاذ بن جبل.

قلت: قد خرجه البخارى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ كما تقدم، فهو صحيح متصل[١].

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه»[٢].

وخرجه أبو داود، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

فكلما كان أكثر حفظًا للقرآن عاملاً بما فيه كلما كان أكثر جمعًا للدرجات، ومن حمل القرآن كله وعمل بما فيه حار ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين درجة (٦٢٣٦) على عدد آيات القرآن الكريم.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: حملة القرآن وقراؤه هم العالمون بأحكامه وبحلاله وبحرامه والعاملون بما فيه وقال مالك: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه.

وفى البخارى: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب

---

(١) أخرجه البخارى بلفظ آخر رقم ٢٧٩١ كتاب الجهاد.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٢) وسنده صحيح.

وريحها طيب، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها» وذكر الحديث. وقد تقدم أن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله فالجهاد يحصل مائة درجة، وقراءة القرآن تحصل جميع الدرجات، والله المستعان على ذلك والإخلاص فيه بمنّه وفضله.

* * *

غرف الجنة

فإن سألت عن غرفها فقد قال الله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ...﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال عزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال عزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

وروى مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغائر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»(١).

وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن واسع، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «ألا أخبركم بغرف الجنة؟ غرفًا من ألوان الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم والثواب والكرامات ما لا أذن سمعت، ولا عين رأت، فقلنا: بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله، لمن تلك؟ فقال: «لمن أفشى السلام وأدام

(١) أخرجه البخارى رقم ٣٢٥٦، كتاب بدء الخلق ومسلم رقم ٢٨٣١.

الصيام، وأطعم الطعام، وصلى والناس نيام فقلنا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله، ومن يطيق ذلك؟ قال: «أمتى تطيق ذلك، وسأخبركم من يطيق ذلك، من لقى أخاه المسلم فسلم عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلَّى العشاء الأخيرة فى جماعة فقد صلى والناس نيام: اليهود والنصارى والمجوس»[١].

وعن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة لغرفًا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» فقام إليه أعرابى فقال: لمن هى يا رسول الله؟ فقال: «لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى الليل والناس نيام»[٢].

اعلم أن هذه الغرف مختلفة فى العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها فى الأعمال، فبعضها أعلى من بعض وأرفع، وقوله الغائر من المشرق أو المغرب يروى بالياء اسم فاعل من غار، وقد روى مسلم فى غير الغارب بتقديم الراء والمعنى واحد، وروى الغابر بالياء بواحد، ومعناه الذاهب.

فإن غبر من الأضداد يقال غبر إذا ذهب، وغبر إذا بقى، ويعنى به أن الكوكب حالة طلوعه وغروبه بعيد عن الأبصار فيظهر صغيراً لبعده، وقد بيناه بقوله من المشرق أو المغرب.

وقد روى العارب بالعين المهملة والزاى، أى البعيد، ومعانيها كلها متقاربة المعنى.

وقوله: «والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» ولم يذكر عملاً ولا شيئًا سوى الإيمان، والتصديق للمرسلين من غير سؤال آية ولا

---

(١) الحديث فيه مقال وله شواهد كثيرة ترقيه إلى درجة الحسن.

(٢) أخرجه الترمذى رقم ٢٥٢٧ بإسناد حسن.

تلجلج، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذى للعامة، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين فى أعلى الغرفات وأرفع الدرجات، وهذا محال وقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥].

والصبر بذل النفس الثبات له وقوفًا بين يديه بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين، وقال فى آية أخرى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

فذكر شأن الغرفة وأنها لا تنال بالأموال والأولاد، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، ثم بين لهم جزاء الضعف وأن محلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب به مطمئنًا به فى كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا، فلهذا كانت منزلته دون غيره.

قلت: ذكره الترمذى الحكيم ـ رحمة الله عليه ـ وهذا واضح بيّن، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، وقال: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨]، فلما باين بين الأبرار والمقربين فى الشراب على ما يأتى بيانه، باين بينهم فى المنازل والدرجات وأعالى الغرفات حسب ما باين بينهم فى الأعمال الصالحات بالاجتهاد فى الطاعات، قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] فيجتهد الإنسان أن يكون من الأبرار المقربين ليكون فى عليين وأصحاب عليين جلساء الرحمن، وهم أصحاب المنابر من النور فى المقعد الصدق، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٢]، فأصحاب اليمين فى علو الجنان، أيضًا وجميعها عوالى وجنات المقربين جميعًا علالى وإحداهن علية كقول الشاعر:

ألا يا عين ويحك أسعدينى بغزر الدمع فى ظلم الليالى

لعلك فى القيامة أن تفوزى بخير الدار فى تلك العلالى

وروى الليث بن سعد قال: حدثنا محمد بن عجلان أن وافد البصرى أخبره عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ليؤتين برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله، يكونون على منابر من نور»، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين يحببون الله إلى الناس» قالوا: كيف يحببون الله إلى الناس؟ قال: «يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فإذا أطاعوهم أحبهم الله تعالى».

* * *

أنهار الجنة وما جاء فى الدنيا منها

فإن سألت عن أنهارها. فقد قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وروى أنها تجرى فى غير أخدود منضبطة بالقدرة.

وروى الترمذى عن حكيم بن معاوية عن أبيه، عن النبى ﷺ قال: (إن فى الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر العسل، وبحر الخمر ثم تنشق الأنهار بعد ذلك) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وحكيم بن معاوية هو والد بهز ابن حكيم.

وروى مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة»[١].

وذكر البخارى عن أنس فى حديث الإسراء: (فإذا هو فى السماء الدنيا

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنة (٢٨٣٩). (وسيحان وجيحان نهران فى تركيا).

بنهرين يطردان، فقال: «ما هذان يا جبريل؟» قال: النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى فى السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر، قال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك)[١].

* * *

صفة الجنة ونعيمها وما أعد الله لأهلها فيها

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما أطلعتكم عليه، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] بله بمعنى: غير، وقيل: اسم من أسماء الأفعال بمعنى دع.

وروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «ما تربة الجنة؟» قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال: «صدقت».

وعنه أن ابن صياد[٢] سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال: «درمكة بيضاء مسك خالصة».

ابن المبارك قال: أخبرنا معمر عن قتادة، عن العلاء بن يزيد عن أبى هريرة قال: (حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ودرجها اللؤلؤ والياقوت، قال: وكنا نحدث أن رضاختها اللؤلؤ وترابها الزعفران).

قلت: كل هذا مرفوع حسب ما تقدم.

(١) أخرجه البخارى كتاب المغازى.

(٢) ابن صياد غلام يهودى عاش فى عصر رسول الله ﷺ وهو من المدينة المنورة، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه المسيح الدجال، والراجح أنه ليس هو، راجع كتابى (علامات الساعة الكبرى).

من أين تفجر أنهار الجنة؟

فإن سألت من أين تفجر هذه الأنهار، فقد روى أبو هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حتمًا على الله أن يدخله الجنة، هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها، قالوا: يا رسول الله أفلا تبشر الناس؟ قال: إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[1]، وقال أبو حاتم البستى معنى قوله: فإنه أوسط الجنة يريد فى الارتفاع، وقال: قتادة: والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها.

وقد قيل: إن الفردوس اسم يشمل جميع الجنة كما أن جهنم اسم يشتمل لجميع النيران كلها، لأن الله تعالى مدح فى أول سورة (المؤمنون) أقوامًا وصفهم، ثم قال: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، ثم أعاد ذكرهم فى سورة المعارج فقال: ﴿أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥] فعلمنا أن الفردوس جنات لا جنة واحدة، قاله ابن وهب. لكنّ هذا يثبت من ناحية المعنى أما من ناحية تحديد أسماء الجنة فإن فى الجنة جنة خاصة يقال لها الفردوس.

* * *

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٠٠٣ كتاب الأشربة.

الخمر شراب أهل الجنة
ومن شربه فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة
وفى لباس أهل الجنة وآنيتهم

النسائى عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة، ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة، ومن شرب فى آنية الذهب والفضة فى الدنيا، لن يشرب بهما فى الآخرة»، ثم قال رسول الله ﷺ: «لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة».

قلت: إن قال قائل: قد سوى النبى ﷺ بين الأشياء الثلاثة، وأنه يحرمها فى الآخرة، فهل يحرمها إذا دخل الجنة؟ قلنا: نعم، إذا لم يتب منها لقوله ﷺ: «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة» خرجه مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ، وكذلك لابس الحرير، ومن أكل فى آنية الذهب والفضة، أو شرب فيها لاستعجاله ما أخر الله له فى الآخرة، وارتكاب ما حرم الله عليه فى الدنيا.

وقد روى أبو داود الطيالسى فى مسنده قال: حدثنا هشام عن قتادة عن داود السراج عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو».

وهذا نص صريح، وإسناد صحيح، فى أنه إن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه فإن كان من قول النبى ﷺ فهو الغاية فى البيان، وإن كان من قول الراوى على ما ذكر أنه موقوف فهو أعلم بالمقالة وأقعد بالحال، ومثله لا يقال من جهة الرأى وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان.

* * *

كسوة الجنة وكسوة أهلها

وإن سألت عن كسوة أهلها فقد قال الله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]. وقال: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وثمار الجنة تنفتق عن ثياب الجنة.

حبيبى فى الله إن أردت الثياب فى الجنة إذا بالشجرة يخرج من ثمارها ثياب على مقدار جسدك طولاً وعرضًا.

روى النسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال:

«بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل فقال يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة، أخلقًا تخلق أو نسجًا تنسج؟ فضحك بعض القوم. فقال: مم يضحكون؟ إنَّ جاهلاً يسأل عالمًا، فجلس يسيرًا أو قليلاً فقال رسول الله ﷺ: أين السائل عن ثياب الجنة؟ فقالوا: ها هو ذا يا رسول الله فقال: «لا بل تنفتق عنها ثمر الجنة» قالها ثلاثًا، والله أعلم.

ليس فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب.

الترمذى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب». قال: حديث حسن غريب.

* * *

الحور العين

ذكر أن الآدميات فى الجنة على سن واحد، وأما الحور العين فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما اشتهت أنفس أهل الجنة.

وقال أبو هريرة: إن فى الجنة حوراء يقال لها (العيثاء) إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك وهى تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

وقال ابن عباس: إن فى الجنة حوراء يقال لها (لعبة) لو بزقت فى البحر لعذب ماء البحر كله، مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى عَزَّ وَجَلَّ.

ابن المبارك قال: أخبرنا معمر عن أبى إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأودى، عن ابن مسعود قال: «إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقيها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء».

* * *

الأعمال الصالحة مهور الحور العين

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥].

وخرج أبو عيسى الترمذى من حديث المقدام بن عدى كرب قال:

قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال» الحديث وفيه: «ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين» وقد تقدم فى باب ما ينجى من أهوال

القبر وفتنته، وقال محمد بن النعمان المقرئ: كنت قاعداً عند الجلا المقرئ بمكة في المسجد الحرام، إذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطمار خلقة، فقام إليه الجلا ووقف معه ساعة ثم انصرف إلينا فقال: هل تعرفون هذا الشيخ؟ فقلنا: لا، فقال: ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما أكملها رآها فى المنام فى حليها وحللها فقال: لمن أنت؟ فقالت: أنا الحور التى ابتعتنى من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة هذا الثمن فما نحلتى أنا منك؟ قال: ألف ختمة، قال الجلا: فهو يعمل فيها بعد.

وروى عن سنحون أنه قال: كان بمصر رجل يقال له سعيد، وكان له أم من المتعبدات وكانت إذا قام الليل يصلى تقوم والدته خلفه، فإذا غلب عليه النوم ونعس تناديه والدته: يا سعيد إنه لا ينام من يخاف النار ويخطب الحور الحسان فيقوم مرعوبًا، ويروى عن ثابت أنه قال: كان أبى من القوامين لله فى سواد الليل، قال: رأيت ذات ليلة فى منامى امرأة لا تشبه النساء، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: حوراء أمة الله فقلت لها: زوجينى نفسك، فقالت: اخطبنى من عند ربى وأمهرنى فقلت وما مهرك؟ فقالت: طول التهجد وأنشدوا:

يا خاطب الحور فى خدرها	وطالبًا ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيًا	وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم	وحالف الوحدة فى ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه	وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها	وعقدها يشد فى نحرها
لهان فى نفسك هذا الذى	تراه فى دنياك من زهرها

وقال مضر القارئ: غلبنى النوم ليلة فنمت عن حزبى فرأيت فى منامى فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتم ومعها رق فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت: نعم، فقالت: اقرأ هذا الكتاب، ففتحته فإذا فيه مكتوب: فوالله ما ذكرته

قط إلا ذهب عنى النوم.

ألهتك اللذائذ والأماني عن الفردوس والظلل الدوانى
ولذة نومة عن خير عيش مع الخيرات فى غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن

وقال مالك بن دينار: كان لى أحزاب[1] أقرؤها كل ليلة، فنمت ذات ليلة. . .
فقالت: نعم، فدفعت إلى الرقعة، فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات:

لهاك النوم عن طلب الأمانى وعن تلك الأوانس فى الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو فى الخيام مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن

وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدى وكان قد بكى شوقًا إلى الله ستين عامًا قال: رأيت كأن ضفة نهر يجرى بالمسك الأزفر حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب، فإذا بحوار مزينات يقلن بصوت واحد: سبحان المُسبَّح بكل لسان سبحان الدائم بلا زوال سبحانه سبحانه، قال: فقلت: من أنتن؟ قلن: خلق من خلق الله سبحانه، قلت: وما تصنعن ها هنا؟ فقلن:

يناجون رب العالمين لحقهم وترى هموم القوم والناس نوم
ذرانا إله الناس رب محمد لقوم على الأقدام بالليل قوم

فقلت: بخ، بخ، لهو من هؤلاء، لقد أقر الله أعينهم، فقلن: أما تعرفهم؟ فقلت: والله ما أعرفهم، قلن: هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر.

* * *

(١) أحزاب من القرآن الكريم والمراد الورد الليلى.

أوصاف الحور العين

يا أيها القارئ الكريم أرجوك أن تعيرنى الجنان، وتفتح الأذنان لنستمع بحب وشغف لوصف الحور الحسان اللاتى أنشأهن الرحمن فى جنة الرضوان.

● إن سألت عن أزواجك وحبيباتك:

- فهن الكواعب الأتراب، اللائى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود وللرُّمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حِبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه فى صحن خدها، كما يرى فى المرآة التى جلاَّها صيقلها ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حُللها.

لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا، وأفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحًا، ولتزخرفت لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس ضوء النجوم، ولآمن مَنْ على ظهرها بالله الحى القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها.

ولا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحَبَل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والغائط، وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تُبلى ثيابها، ولا يُخْلَق ثوب جمالها، ولا يُمل طيب وصالها قد قصرت على زوجها، فلا تطمح لأحدٍ

سواه، وقصر طرفه عليها فى غاية أمنيته وهواه، وإن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو منها فى غاية الأمانى هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظومًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً.

وإن سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر فى غيرما ضرر.

وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حور.

وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان.

وإن سألت عن النهود فهن الكواعب ونهودهن كألطف الرمان.

وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان.

وإن سألت عن حسن الخُلُق فهن الخيرات الحسان، اللاتى جمعن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها.

ـ وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت:

هذه الشمس منتقلة فى بروج فلكها، وإذا حاضرتْ زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته، فيا لذة المعانقة والمخاصرة.

وحديثها السحرُ الحلال لو أنهُ ... لَمْ يَجْنِ قَتْلَ المُسْلم المُتَحَرِّزِ
إن طَالَ لم يَملَّكَ[1] وإن هى حدثتْ ... ودَّ المُحَدَّث أنها لَم تُوجِزِ

ـ وإن غَنَّتْ فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك

(١) لم يملك: لم يمل أحد من حديثها.

المؤانسة والإمتاع.

ـ وإن قَبَّلتْ فلا شيء أشهى إليه من التقبيل، وإن نَوَّلت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل[1].

واسمع إذن وصف الحور العين التى قَصَّ الله عليك ذكرها وبيَّن لك النبى ﷺ وصفها..

ولنأخذ فى وصفها عضواً عضواً ما استطعنا إلى هذا سبيلاً، وما وجدنا نصًا ودليلاً..

ولنبدأ بأعلاها حتى ننتهى إلى أسفلها.

أما طولها فيتناسب مع طول حبيبها.

وأما عرضها فيتلاءم مع عرض زوجها.

وأمَّا الحلل التى عليها فهى من سندس وإستبرق وحرير الجنة بألوان خضراء وحمراء وغير ذلك من الشفافية والصفاء، كما قال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١].

وقال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١].

وقال: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣، وفاطر: ٣٣].

وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه..

(ثمَّ ينظر ـ أى ولى الله ـ فإذا حوراء من الحور العين جالسة على سرير ملكها عليها سبعون حلة ليس منها حلة من لون صاحبتها فيرى مخ ساقها من وراء اللحم والدم والعظم والكسوة فوق ذلك)[2].

وهذه الثياب مكللة بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ.

---

(١) حادى الأرواح لابن القيم ص ٢٥١، ٢٥٢.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا. انظر الترغيب ج٤ ص٢٤٩، ولا يصح رفعه.

أما التيجان على رأسها فخير من الدنيا وما فيها يقول ﷺ «ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» [١].

وهذا التاج عليه ألوان وأنواع لا تحصى من الجواهر..

وأمَّا خمارها على رأسها فخير من الدنيا وما فيها [٢].

وأما شعرها فطويل ناعم صُفَّ بطريقة فاتنة ساحرة ينفجر منه الريح وينبثق منه النور والجمال .. كما ورد : «لو أنَّ طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها» [٣].

وأما وجهها فيعجز اللسان عن وصفه، ويعجز الكلام عن بيانه، ويعجز العقل عن تصوره ..

يقول ابن عباس رضى الله عنهما: (كنا جلوسًا مع كعب يومًا فقال: لو أنَّ يدًا من الحور ببياضها وخواتيمها دُليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ثمَّ قال: إنما قلت: يدها فكيف بالوجه بياضه وحسنه وجماله وتاجه وياقوته ولؤلؤه وزبرجده) [٤].

وعنه أيضًا: (ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض) [٥].

وما أدراك ما الجبهة اتساعًا وجمالاً ونورًا.

ثم ما أدراك ما العين:

إنها الحوراء العيناء: شديدة بياض بياض العين وشديدة سواد سواد العين، يحار الطرف فى حسن عينها، عظيمة العين مع اتساع، ومع هذا فهى قاصرة

---

(١) رواه الطبرانى بإسناد جيد. الترغيب ج٤ ص٢٦٣.

(٢) كما ورد فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط، والحديث ضعيف ومعناه صحيح.

(٤) رواه ابن أبى الدنيا، وفى إسناده عبيد الله بن زحر. انظر: الترغيب والترهيب ج٤ ص٢٦٥، ورواه ابن المبارك، انظر: الحادى ص٢١٤.

(٥) رواه ابن أبى الدنيا بسند ضعيف، الترغيب ج٤ ص٢٦٥.

الطرف على زوجها.

وأمَّا الحاجب فرقيق واسع أسود.

والأنف فضيق.

والفم فمجمع الجمال والحسن: جمال الثغر (الشفة)، وجمال الأسنان، وجمال الصوت والنغمات.

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: (يسطع نور فى الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا هو من ثغر حوراء، ضحكت فى وجه زوجها)[١].

وعن يزيد الرقاشى قال:

(بلغنى أنَّ نوراً سطع فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه، فقيل: ما هذا؟

قال: حوراء ضحكت فى وجه زوجها، قال صالح المرى الراوى عن يزيد: فشهق رجل من ناحية المجلس، فلم يزل يشهق حتى مات)[٢].

قال أحمد بن أبى الحوارى: حدثنى جعفر بن محمد قال: لقى حكيمٌ حكيمًا فقال:

أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال: لا، فقال: فاشتق إليهن، فإن نور وجوههن من نور الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فغُشِى عليه، فحُمِل إلى منزله فجعلنا نعوده شهراً)[٣].

وأما ريقها فعذبٌ أحلى من العسل وأطيب رائحة مِّن المسك.

ورد عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: (لو أنَّ حوراء بزقت فى بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها)[٤].

---

(١) رواه أبو نعيم مرفوعًا، والأصح وقفه. انظر: حادى الأرواح ص٢١٤.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا. انظر: حادى الأرواح ص ٢١٥.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا. انظر: حادى الأرواح ص٢١٥.

(٤) رواه ابن أبى الدنيا مرفوعًا ولا يصح رفعه، انظر الترغيب ج٤ ص٢٦٥.

وجاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قوله: «لو أنَّ امرأة من نساء أهل الجنة بصقت فى سبعة أبحر لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل»(١).

وأمَّا كلامها فهو السحر الحلال، وهى قصيرة اللسان عن كثرة الكلام.

وأما صوتها وغناؤها، فلو أنَّ الله كتب على أوليائه الموت لماتوا من جمال الصوت، ويا لروعة نغماتها.

وأما رائحة فمها:

فكما قال ﷺ «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لملأت الأرض ريح مسك، ولأذهبت ضوء الشمس والقمر»(٢).

وأمَّا عنقها:

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: (ينظر إلى وجهه فى جيدها أصفى من المرآة، وإنَّ لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك)(٣).

وأمَّا الثدى، فكما قال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] فثدى الحوراء لا يتدلى، وإنما هو كالتفاح.

* وأما الكبد فمرآة صافية.

كما ورد (كبده لها مرآة وكبدها له مرآة. .)(٤).

وأمَّا صدرها، ووسطها، وسرتها أعلاها وأسفلها، وفخذاها، وكتفاها، وعضدها، ومرفقاها، وساعداها، وركبتاها، وقدماها. فشىء يعلو على الخيال،

(١) رواه ابن أبى الدنيا موقوفًا ولا يصح رفعه. انظر: الترغيب ج٤ ص٢٦٥.

(٢) رواه الطبرانى والبزار وإسناده حسن فى المتابعات. الترغيب ج٤ ص٢٦٣.

(٣) رواه ابن وهب مرفوعًا ولا يصح رفعه. انظر: حادى الأرواح ص٢١١.

(٤) رواه أبو يعلى والبيهقى وهو ضعيف.

ولذا لم يرد فيه وصف عن الكبير المتعال، ولا النبى سيد الرجال.

* وأما أصابعها فأحدها أجمل وأشد ضوءاً من الشمس والقمر كما ورد فى الحديث:

(فبأى بنان تعاطيه لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر)[١].

* وأما أسفلها فهى عظيمة جسم المقعدة مع رقة وصفاء ولين ولطف.

(وإنَّ الواحدة منهن لتأخذ مقعدتها قدر ميل)[٢].

* وأما ساقها: فأبيض يرى بياض ساقها من وراء مليار حُلة.

قال ابن مسعود: (إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مُخها...)[٣].

• ولننصت الآن إلى الإمام العلامة ابن قيم الجوزية وهو يصف الحور العين بوصف جامع فريد فيقول ـ رضى الله عنه ـ:

فاسمعْ صفاتِ عرائسِ الجناتِ ثمَّ ... اختر لنفسكَ يا أخا العرفانِ

حُورٌ حِسانٌ قد كملن خَلاَئقًا ... ومحاسنًا من أجمل النسوانِ

حتى يحارَ الطرفُ فى الحُسْن الذى ... قد ألبست فالطرفُ كالحيرانِ

ويقول: لما أن يشاهدَ حُسْنَها ... سبحان معطى الحسن والإحسان

والطرف يشرب من كؤوس جمالها ... فتراه مثل الشارب النشوانِ

كملت خلائقها وأكمل حسنها ... كالبدر ليل الست بعد ثمانِ

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وضعفه المنذرى. الترغيب والترهيب ٤/٢٦٣.

(٢) رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب، وحديثه حسن عند بعضهم وانظر الترغيب والترهيب ج٤ ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(٣) رواه الترمذى وابن حبان، الترغيب ج٤ ص ٢٦٣.

والشمسُ تجرى فى محاسن وجهها ... والليل تحت ذوائب الأغصان

فتراهُ يُعجِب وهو موضع ذاك من ... ليل وشمس كيف يجتمعان

فيقول : سُبحان الذى ذا صُنعه ... سُبحان مُتقِن صُنعة الإنسان

لا الليل يدرك شمسها فتغيب ... عند مجيئه حتى الصباح الثانى

والشمس لا تأتى بطرد الليل بل ... يتصاحبان كلاهما إخوان

وكلاهما مِرآة صاحبه إذا ... ما شاء يبصر وجهه يريان

فيرى محاسن وجهه فى وجهها ... وترى محاسنها به بِعيان

حمر الخدود ثغورهن لآلئ ... سود العيون فواتر الأجفان

والبرق يبدو حين يبسم ثغرها ... فيضيء سقف القصر بالجدران

ولقد روينا أن بَرْقًا سَاطِعًا ... يبدو فيسأل عنه مَن بجنان

فيقالُ: هذا ضوءُ ثغر ضاحك ... فى الجنة العليا كما تريان

لله لا ثم ذلك الثغر الذى ... فى لثمه أدراك كل أمان

ريَّانة الأعطافِ من ماء الشبا ... بِ فغُصنها بالماء ذو جريان

لمَّا جرى ماء النعيمِ بغُصنها ... حَمَلَ الثمار كثيرة الألوان

فالوردُ والتفاح والرّمان فى ... غُصنٍ تَعَالى غارسُ البُستان

والقدُّ منها كالقضيب اللدن فى ... حُسن القوام كأوسط القضبان

فى مغرس كالعاجِ تحسب أنه ... عالى النَّقا أو واحد الكثبان

لا الظهر يلحقها وليس ثديها ... بلواحق للبطن أو بدوان

* * *

أول لقاء بالحوراء

عندما يخرج ولى الله من قبره، يخرج فتلقاه النجائب فيركب ويأكل ويشرب ويتنعم حتى يصل إلى باب الجنة، فيرى عينين من عيون الجنة، فيشرب من إحداهما، ويتوضأ من الأخرى، فإذا هو على طول آدم ستون ذراعًا فى السماء، وعلى صبر أيوب، وعلى جمال يوسف، وعلى سن عيسى ثلاثة وثلاثون عامًا، وعلى أخلاق محمد صلى الله عليهم وسلم، فإذا جاء ليدخل من باب الجنة جاءت أزواجه من الحور العين يتلقونه بالغناء والمعانقة والتقبيل.

فعن على رضى الله عنه أنه سئل عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥]، ما الوفد؟ قال: ما الوفد إلا ركبٌ، والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استُقْبِلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب[١]، شرك[٢] نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب.

وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرت فى وجوههم بنضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى:

لم تشعث أشعارهم أبدًا، فيضربون الحلقة بالصفيحة، فلو سمعت طنين الحلقة، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة، فتبعث قيمها[٣] فيفتح له الباب، فلولا أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عرَّفه نفسه لخرَّ له[٤] ساجدًا، مما يرى من النور والبهاء فيقول: أنا قيمك الذى وُكِّلْت بأمرك فيتبعه فيقفو أثره فيأتى

(١) رحال الذهب: سيارات من ذهب.
(٢) شرك نعالهم: الوردة أو الزهرة التى فى أعلاه.
(٣) قيمها: الخادم القائم على أمرها.
(٤) لخرَّ له: لسجد له.

زوجته، فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتُعانقه وتقول: أنت حبى وأنا حبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبدًا، وأنا الناعمة فلا أبأس أبدًا، وأنا الخالدة فلا أظعن أبدًا، فيدخل بيتًا من أساسه وطرائق صفر ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتى الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشًا، على كل فراش سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حُلة يُرى مخ ساقها من باطن الحُلل يفضى جماعهن فى مقدار ليلة تجرى من تحتهم أنهار مُطردة[1]، وأنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها، فيأكلون من جنوبها[2]، من أى الثمار شاءوا، إن شاء قائمًا، وإن شاء متكئًا، وذلك قوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ[3].

وفى رواية: (يُساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمرًا حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما:

كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما فى بطونهم من أذًى أو قذًى أو بأس.

ثمَّ عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم بنضرة النعيم فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدًا، ولن تشعث أشعارهم كأنما دُهنوا بالدهان، ثمَّ انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

---

(١) مُطردة: تجرى بلا حد ولا حدود.

(٢) من جنوبها: من أطرافها.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب صفة الجنة عن الحارث وهو الأعور عن على مرفوعًا ورواه ابن أبى الدنيا أيضًا والبيهقى وغيرهما عن عاصم بن ضمرة عن على موقوفًا عليه بنحوه، وهو أصح وأشهر. انظر: الترغيب والترهيب ج ٤ ص٢٤٢، ٢٤٣.

قال: ثمَّ يلقاهم أو تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم[١] يقدم من غيبة فيقولون: أبشر بما أعد الله لك من الكرامة، قال: ثمَّ ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول:

قد جاء فلان باسمه الذى يُدعى به فى الدنيا فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته وهو ذا بأثرى فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أى شىء أساس بنيانه، فإذا جَنْدل[٢] اللؤلؤ فوقه صَرْح أخضر وأصفر وأحمر، ومن كل لون، ثمَّ رفع رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق لولا أنَّ الله قدَّر له لألمَ[٣] أن يذهب ببصره، ثمَّ طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب[٤] موضوعة ونمارق[٥] مصفوفة، وزرابى[٦] مبثوثة، فنظروا إلى تلك النعمة ثم اتكأوا وقالوا: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ٤٣] الآية.

ثمَّ ينادى مُناد: تحيون فلا تموتون أبدًا، وتُقيمون فلا تظعنون أبدًا، وتصِحُّون ـ أُراه قال: فلا تمرَضون أبدًا)[٧].

وعن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة درجة»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «رجل يدخل من باب الجنة فيتلقاه غلمانه فيقولون: مرحبًا بسيدنا قد آن لك أن تزورنا قال: فتُمد له الزرابى أربعين سنة ثمَّ ينظر عن يمينه وشماله فيرى الجنان

---

(١) الحميم: القريب.

(٢) جندل أى الحجر.

(٣) لألم بصره: لأعمى بصره.

(٤) الأكواب جمع كوب: وهو كوز لا عروة له، وقيل: لا خرطوم له، فإذا كان له خرطوم فهو الإبريق.

(٥) النمارق: الوسائد. واحدها نمرقة.

(٦) الزرابى: البسط الفاخرة واحدها زربية.

(٧) رواه ابن أبى الدنيا والأصح وقفه على سيدنا على. انظر: الترغيب والترهيب ج٤ ص٢٤٣، ٢٤٤ .

فيقول: لَمَن ههنا فيقال: لك، حتى إذا انتهى رُفِعت له ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء لها سبعون شعبًا فى كل شعب سبعون غرفة، فى كل غرفة سبعون بابًا، فيقال: اقرأ وارقه فيرقى حتى إذا انتهى إلى سرير ملكه اتكأ عليه سعته ميل[١] فى ميل له فيه قصور فيسعى إليه بسبعين صحفة من ذهب ليس فيها صحفة[٢] فيها من لون أختها يجد لذة آخرتها كما يجد لذة أولها، ثمَّ يسعى إليه بألوان الأشربة فيشرب منها ما اشتهى ثم يقول الغلمان:

اتركوه وأزواجه فينطلق الغلمان ثمَّ ينظر فإذا حوراء من الحور العين جالسة على سرير ملكها عليها سبعون حلة ليس منها حلة من لون صاحبتها فيرى مخ ساقها من وراء اللحم والدم والعظم والكسوة فوق ذلك فينظر إليها فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من الحور العين من اللاتى خُبِئن لك، فينظر إليها أربعين سنة لا يصرف بصره عنها، ثمَّ يرفع بصره إلى الغرفة، فإذا أخرى أجمل منها فتقول: ما آن لك أن يكون لنا منك نصيب فيرتقى إليها أربعين سنة لا يصرف بصره عنها، ثمَّ إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك اسمه فينظرون إلى وجه الرحمن فيقول: «يا أهل الجنة هللونى فيتجاوبون بتهليل الرحمن ثمَّ يقول: قم يا داود فمجِّدنى كما كنت تُمجِّدنى فى الدنيا قال: فيمجد داود ربه عَزَّ وَجَلَّ[٣].

* * *

(١) الميل ١٧٤٨ مترًا = ٢ كيلو متر إلا الربع.

(٢) صحفة: صُنية.

(٣) قال الحافظ المنذرى: رواه ابن أبى الدنيا وفى إسناده من لا أعرفه الآن، انظر: الترغيب والترهيب ج٤ ص٢٤٩.

حور جئن إلى الدنيا

بعض المؤمنين ممَّن بلغ مكانة عالية فى العبادة والصلاح كان يرى الحور العين فى المنام، ويحس بهنَّ ويسمع كلامهنَّ ونذكر من هؤلاء ما يلى:

* قال محمد بن النعمان المقرى:

كنت قاعدًا عند الجلا المقرى بمكة فى المسجد الحرام إذ مرَّ بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطمار خَلَقَة فقام إليه الجلا ووقف معه ساعة، ثم انصرف عليه فقال: هل تعرفون من هذا الشيخ؟ فقلنا: لا، فقال: ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة فلما أكملها رآها فى المنام، فى حُلِيِّها وحُللها فقال: لَمَنْ أنت؟ فقالت: أنا الحور التى ابتعتنى من الله ـ تعالى ـ بأربعة آلاف ختمة، هذا الثمن، فما نَحَلتى[1] أنا منك؟ قال: ألف ختمة، قال الجلا: فهو يعمل فيها بعد[2].

* ويُروى عن ثابت أنه قال:

كان أبى من القوَّامين لله فى سواد الليل، قال: رأيت ذات ليلة فى منامى امرأة لا تشبه النساء، فقلت لها: مَن أنت؟

فقالت: حوراء أمة الله.

فقلت لها: زوجينى نفسك.

فقالت: اخطبنى من عند ربى وأمهرنى.

فقلت: وما مَهْرِكِ؟ قالت: طول التهجد.

وأنشدوا:

يا خاطب الحُورِ فى خِدْرها وطالبًا ذاك على قَدْرِها

(١) نحلتى: عطيتى.

(٢) التذكرة ج٢ ص٥٥٧، ٥٥٨.

انهض بِجِدٍّ لا تكن وَانيًا ... وجاهد النفس على صَبْرِها
وجانبِ الناسَ وَارْفُضْهُمْ ... وحَالِف الوحدة فى ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجْهُهُ ... وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها
وهى تماشى بين أَتْرَابِها ... وعُقْدُها يُشرِق فى نَحْرِها
لهانَ فى نفسكَ هذا الذى ... تَراهُ فى دُنياك من زهرها

وقال مُضَر القارئ:

غلبنى النوم ليلة فنِمت عن حِزبى فرأيت فى منامى فيما يرى النائم جارية كأنَّ وجهها القمر المستتم ومعها رِق فقالت:

أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت: نعم، فقالت: اقرأ هذا الكتاب، ففتحته فإذا فيه مكتوب:

فوالله ما ذكرته قط ... إلا ذهب عنى النوم
ألهتك اللذائذ والأمانى ... عن الفردوس والظلل الدوانى
ولذة نومة عن خير عيشٍ ... مع الخيرات فى غرف الجنانِ
تيقَّظ من منامك إنَّ خيراً ... من النوم التهجد بالقرآنِ

وقال مالك بن دينار:

كان لى أحزاب أقرؤها كل ليلة، فنمت ذات ليلة، فإذا أنا فى المنام بجارية ذات حُسن وجمال وبيدها رُقعة، فقالت: أتُحسن أن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إلىَّ رُقعة فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات:

لهَاكَ النومُ عن طلبِ الأمانى ... وعن تلك الأوانسِ فى الجنانِ
تعيشُ مُخَلَّدًا لا موت فيها ... وتلهو فى الخيام مع الحسانِ
تنبَّهْ مِنْ مَنامك إنَّ خيرًا ... من النومِ التهجد بالقرآنِ

وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدى، وكان قد بكى شوقًا إلى الله ستين عامًا قال: رأيت كأن ضفة نهر يجرى بالمسك الأذفر حافتاهُ شجر اللؤلؤ ونبتٌ من قُضبان الذهب، فإذا بجوارٍ مُزيَّنات يقلن بصوت واحد:

سُبحان المسبَّح بكل لسانٍ.

سُبحان الموجود بكل مكان.

سُبحان الدائم فى كل زمان.

سبحانه سبحانه.

قالت: فقلت: من أنتن؟ قلن: خلق من خلق الله سبحانه، قلت: وما تصنعن ها هنا؟ فقلن:

يناجــون ربَّ العالمين لحقهم ... وتسرى همومُ القومِ والناسُ نُوَّمُ

ذَرانا[1] إله العالمين رب محمد ... لقوم على الأقدام بالليل قوّمُ

فقلت: بخٍ بخٍ لهو من هؤلاء، لقد أقرَّ الله أعينهم.

فقلن: أما تعرفهم؟

فقلت: والله ما أعرفهم.

قلن: هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر[2].

وقد استمعت لهذه القصة التى ذكرها أحد دعاة السعودية وذكر أنه علم بها وعاصرها، وهذه القصة ـ التى وقعت فى أيامنا هذه تقول:

إنَّ طفلاً صغيراً يتيمًا طلب منه عمه أن يذهب إلى المدرسة فأبى، واشتغل بتعلم العلم والقرآن الكريم، وشب الطفل على حمل القرآن الكريم، وتعلم العلم والذكر والعبادة حتى كان يقوم الليل، ويخلو بربه قانتًا عابدًا ذاكرًا تائبًا

---

(١) ذرأنا: خلقنا.

(٢) التذكرة ج٢ ص ٥٥٨، ٥٥٩.

حامداً راكعًا ساجداً.

وفى سن الشباب مات هذا الشاب الناشئ فى عبادة الله، وكانت وفاته قبيل المغرب.

وقام عمه بأداء أحكام الميت من غسل وكفن وصلاة، ولما دخل الليل قال عمه: نؤجل الدفن إلى الصباح، ومن التعب والإعياء غلبه النوم فنام فرأى فى المنام امرأة لم تر عيناه مثلها إنها الحوراء، وهى تنادى:

عجِّل إلىَّ بحبيبى، فقال لها: ومَن حبيبك؟ قالت: هذا الشاب، فلمَّا قام من نومه شمَّ رائحة لا مثيل لها فى الوجود، فعلم أنها رائحة الحوراء، ودخل الجيران والأقارب يعزونه فشموا هذه الرائحة فقال: هى رائحة الحوراء.

بحسبك يا عمَّارُ من دَار بليةٍ
جنان بها الخيرات يزلفن من الحُللْ

ويمشينَ هونًا فى الجنانِ أمامهم
خيام من الدُّر المُحْدَقِ فى الكُللْ

إذا بَرَزَتْ حَوْرَاء حَفَّ بها البَهاءُ
وأَشْرَقت الفردوسُ والقومُ فى شُغلْ

يُعَانِقْنَ أَزْوَاجًا لِكُلِّ مُطَهَّرِ
على فرش الديباج والعيش قد كَمَلْ

وطَافَ بها الولدان من كل جانب
ونُودِىَ ولىُّ الله يجزى بما فَعَلْ

* * *

مهر الحوراء (أعمال توصل إلى الزواج بالحوراء)

قد جاءت أوصاف ونعوت كثيرة لأزواج الحور العين، وهذه الصفات يجمعها وصف جامع مانع هو:

● **التقوى:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٦].

تأمل جلال المزوج، وكيف يقرن بين الحبيب وحبيبته التى تنتظره بشغف، زواج بلا ولى وبلا شهود وبلا مأذون فالولى هو الحى القيوم، والله هو الشهيد الرقيب.

ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٧].

وهنا وصف المتقين بالصبر والصدق والعبادة والإنفاق والتهجد فى الأسحار.

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء: ٥٧].

وهاتان الآيتان السابقتان جعلت من مهور الحور العين الإيمان والعمل، وهما ركنا التقوى ولبها وثمرتها.

• القرب من الله تعالى:

من مهور الحور العين، وأعلى درجات التقوى، وأهله هم السابقون بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، وذلك هو الفوز العظيم قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ٢٤].

• الإخلاص:

من مهور الحور العين، وهو قريب من القرب وقرين درجة القرب درجة الصديقية وهي منزلة الإخلاص قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٠، ٤٩].

والإخلاص روح التقوى وقوامها، وقلبها وفؤادها.

لله قوم لدار الخلد أخلصهم ... وخصهم بجزيل الملك مولانا
فلو تراهم غداً في دار ملكهم ... قد توجوا من حلى الكون تيجانا
وقد دعاهم إلى الفردوس سيدهم ... إلى الزيارة والتسليم ركبانا
على نجائب دركى تطير بهم ... والخيل من جوهر والسرج مرجانا

حتى إذا جاوزوا دار السلام وقــد　　أبدى لهم وجهـه الرحمن سبحانا
خـروا سجــــدًا فناداهم بعزته　　إنى رضيـت بكم قربا وجيرانا
إنى خلقت لكم دار النعيم فلا　　ترون بؤسًا ولا تخشـون أحزانا
هــذا النعيم الذى لا ينقضى أبدًا　　ولا تغيره الأزمـــــــان ألوانا
وهــو الجزاء لكم منى على عملٍ　　خلصتمــوه وكنتم فِىَّ إخــوانا

● **ومن مهور الحور العين: الخوف من رب العالمين:**

وتعظيم مقامه وتقديره حق قدره، فلو علم العباد قدر عظمته ما عبدوا غيره.

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾

[الرحمن: ٤٦ ـ ٦٠].

وخوف مقام الرب يحتوى على فكر وذكر. والوقوف مع أسمائه وصفاته إذ إن صاحبه يخاف مقام ربه، ولا يخاف ربه فقط، فإن الخائف مقام الرب يعبد ويتقى، ويخاف ويخشى ويفكر ويذكر ويشاهد ويراقب، فهو من الصديقين المقربين السابقين، ولذا قيل: إن هذه الآية نزلت فى سيدنا أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ.

والخوف لب التقوى: إذ إن التقوى من الاتقاء.

والاتقاء: الخوف والحذر، وخافه اتقاه.

فخوف مقام الرب ـ جل وعلا ـ من أعلى درجات التقوى، ولذا ختم

موضوع هذه الآيات بقوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ أى: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة؟!

أو هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتى وتوحيدى إلا أن أسكنه جنتى وحظيرة قدسى برحمتى؟!

أو هل جزاء من أحسنت عليه فى الأزل إلا حفظ الإحسان عليه فى الأبد[1].

والمحسنون هم المتقون.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

وقد ذكرت الآيات عدة أوصاف للمتقين أزواج الحور العين هى:

١ ـ الإنفاق فى الرخاء والشدة.

٢ ـ كظم الغيظ.

٣ ـ العفو عن الناس.

٤ ـ الإحسان.

٥ ـ التوبة والندم.

٦ ـ عدم الإصرار على الذنب.

٧ ـ الاستغفار.

---

(١) تفسير القرطبى ج١٧ ص١٨٢، ١٨٣، وانظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٧٨.

• **ومن مهور الحور العين هذه الوصايا والنصائح:** فاستمع إليها بقلبك حتى تطبقها بجوارحك.

يقول الشاعر:

ألا فاقلـع وتـب واجهــــــد ... فإنا رأينا كل مجتهــد مصيبا

وأقبل صادقًا فى العزم واقصد ... جنـابًا للمنيــب له رحيبـــا[١]

وكن للصــــالحين أخًا وخلاً[٢] ... وكن فى هــــذه الدنيا غريبا

وكن عن كل فاحشـــة جبانًا ... وكن فى الخير مقــدامًا نجيبا[٣]

ولاحِـظ زينـة الدنيــا ببغض ... تكن عبـدًا إلى المولى حبيبـا

فمن يعبر زخارفهـا يجدهـــا ... مخالبـــة لطالبهـــا خلـوبا

وغض عن المحارم منك طرفًا ... طمــوحًا يفتن الرجــل الأريبا

فخائنـة العيــون كأسـد غـاب ... إذا مـــا أهملـت وثبـت وثوبا

ومن يغضض فضول الطرف[٤] عنها ... يجـد فى قلبــه روحًا وطيبا

ولا تطلــق لسانـك فى كلام ... يجر عليـــك أحقـادًا وحــوبا[٥]

ولا تبرح لسـانك كـل وقـت ... بذكــر اللـــــه ريانًا رطيبـــا

وصل إذا الدُّجى[٦] أرخى سدولاً ... ولا تضجر به وتكـن هيــوبـا

تجــــد أنسًا إذا أودعت قبرًا ... وفارقــت المعـــاشر والنسيبــــا

وضم مـــا تستطـع تجـده ريًا ... إذا مــــا قمت ظمآنًا سحيبا

---

(١) خِلاً: أى صاحبًا.

(٢) رحيب: واسع.

(٣) نجيب: ماهر.

(٤) فضول الطرق: أى فضول النظر أى لا يتعلق بها.

(٥) الحوب: الذنب.

(٦) الدجر: الليل.

وكن متصـــــدقًا سرًا وجهراً ولا تبخل وكن سمحا وهوبا
تجـــد مــــا قدمتـه يداك ظلاً إذا ما اشتدت بالناس الكروبا
وكن حسن السجايا [١] وذا حياد [٢] طليق الوجه لا شكسا غضوبا

وقال على الطلحى: رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت: من أنت؟ فقالت: حوراء، فقلت: زوجينى نفسك، قالت: اخطبنى إلى سيدى وأمهرنى، قلت: وما مهرك؟ قالت: حبس نفسك عن آفاتها [٣].

● **ومن مهور العين: إدامة الصيام:**

روى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول عن أبى مسعود الغفارى قال: إن نساء من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة مما نعت الله ﴿**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ [الرحمن: ٧٢] على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى، ويعطى سبعين لونًا من الطيب ليس منهن لون على ريح الآخر، لكل امرأة منهن سبعون سريراً من ياقوتة حمراء موشحة بالدر والياقوت، على كل سرير سبعون فراشًا على كل فراش أريكة، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها، وسبعون ألف وصيف، مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعام تجد لآخر لقمة لذة لا تجد لأوله، ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر، هذا بكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات» [٤].

والصيام من التقوى. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

---

(١) السجايا: الطبائع والأخلاق.
(٢) ذا حياد: عادلاً.
(٣) إحياء علوم الدين ج٤ ص٥٤٠، ٥٤١.
(٤) التذكرة ج٢ ص٥٥٦، ٥٥٧.

• ومن مهور الحور العين: كنس المساجد:

• ومن مهور الحور العين: طول التهجد فى الليل:

هذا أبو سليمان الدارانى أحد الزهاد العباد نام ذات يوم عن ورده بالليل، فجاءته امرأة من نساء الجنة، إنها الحوراء العيناء وقالت له: أتنام والملك يقظان؟!

بؤسًا لعين آثرت لذة نوم على مناجاة الملك العلام.

أتنام وأنا أربى لك فى الخدور منذ آلاف الأعوام؟؟!

وقالت له شعرًا حفظ منه:

أتطلب مثلى وعنى تنام — ونوم المحبين عنا حرام

لأنا خلقنا لكل امرئ — كثير الصلاة كثير القيام

وروى عن سحنون أنه قال: كان بمصر رجل يقال له: «سعيد»، وكانت له أم من المتعبدات وكانت إذا قام من الليل يصلى تقوم والدته خلفه، فإذا غلب عليه النوم ونعس تناديه والدته: يا سعيد إنه لا ينام من يخاف النار، ويخطب الحور الحسان فيقوم مرعوبًا(١).

يا خاطب الحوراء فى خدرها — وطالبًا ذاك على قدرها

انهض بعزم لا تكن نائيًا — وجاهد النفس على صبرها

وجانب الناس وارفضهم — وحالف الوحدة فى ذكرها

وقم الليل إذا بدا وجهه — وصم نهارًا فهو من مهرها

فلو رأت عيناك إقبالها — وقد بدت رمانتا صدرها

وهى تماشى بين أترابها — وعقدها يشرق فى نحرها

لهان فى نفسك هذا الذى — تراه فى دنياك من زهرها

(١) التذكرة ج٢ ص٥٥٨.

وطول التهجد والاستغفار بالأسحار من صفات المتقين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

وتكرر الآيات القرآنية وصف الفائزين بالحور العين بالمتقين كما جاء في سورة الطور المكية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ١٧ ـ ٢٠].

وفي سورة النبأ المكية يقول تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٦].

فـ:

عليكم بتقـوى الإله لا تتركونها ... فإن التقى أقوى وأولى وأعـدل

لبـاس التقى خير الملابس كلهـا ... وأبهى لباسًا في الوجود وأجمل

فما أحسن التقوى وأهـدى سبيلها ... بها ينفع الإنسان ما كان يعمل

فيا أيها الإنسان بادر إلى التقى ... وسارع إلى الخيرات ما دمت مهمل

وأكثر من التقــوى لتحمد غبَّها[1] ... بدار الجزاء دار بها سوف تنزل

• **أخيراً نقول:**

يا نفس هـذا الذى تأتينه عجب

علم وعقـل ولا نسـك ولا أدب

وصف النفــاق كـما فى لسمعـه

علم اللســان وجهل القلـب والسبب

---

(١) غبها: ثمرتها.

حب المتاع وحب الحيـاة فانتبهى
من قبل تطوى عليك الصحف والكتب
وتصبحيـن بقبر لا أنيـس بـه
الأهل والصحب لما ألحـدوا ذهبـوا
وخلفـوك ومـا أسلفت من عمل
المـال مستـأخر والكسـب مصطحـب
واستيقنى أن بعـد الموت مجتمعًا
للعالميـن فتأتى العجم والعـرب
والخلـق يجزيهـم بمـا عملـوا
فى يوم لا ينفع الأمـوال والحسب
واخشى رجوعًا إلى عدل توعـد من
لا يتقيـه بنار حشوهـا الغضب
وقودها الناس والأحجـار حاميـة
لا تنطـفى أبـد الآبـاد تلتهـب
والبعد عن جنـة الخلد التى حُشيت
بالطيبـات ولا مـوت ولا نصب
فيها الفواكـه والأنهـار جـارية
والنـور والحـور الوالـدات
وهـذه الدار دار لا بقـاء لها
لا يفتننك منهـا الورق والذهـب
والأهل والمال والمركـوب تركبـه
والثـوب تلبسـه فالكـل ينقلب
لا بارك الله فى الدنيا سـوى عوض
منها بعد إذا ما عـدت القرب

لا تركن إلى الدنيا

فيم الركون إلى دار حقيقتها ... كالطيف من سِنة[1] والظل من مزنِ
دار الغرور ومأوى كل مرزية ... والحر والبؤس واللأواء والمحن
الزور ظاهرها والغدر حاضرها ... والموت آخرها والكون فى الشطن
تبيد ما جمعت تهين من رفعت ... تضر من نفحت من سالف الزمن
النفس تعشقها والعين ترمقها ... لكون ظاهرها فى صورة الحسن
سحارة تحكم التخيير حتى يرى ... كأنه الحق إن كانت من الفتن
إن الإله براها كى يميز بها ... بين الفريقين أهل الحمق والفطن
فذو الحماقة من قد ظل يجمعها ... يعانى السعى من شام إلى يمن
مشمراً يركب الأخطار مجتهداً ... لأجلها يستلين المركب الخشن
وذو الحجا يقلها زهداً وينبذها ... وراءه نبذة الأقذار فى الدمن
يرحى بقلب بصير فى مصائرها ... فلا يصادف غير الهم والحزن
يجول بالفكر فى تذكار من صرعت ... من مؤثريها بسعى القلب والبدن
ممن أشاد مبانيها وأحكمها ... ليستجن من الأقدار بالجنن
نالوا مكارمها أحيوا معالمها ... سلوا صوارمها للبغى والظعن
رقوا منابرها قادوا عساكرها ... بقوة وابتنوا الأمصار والمدن
وعبدوا الناس حتى أصبحوا ذللاً ... لأمرهم بين مغلوب وممتهن
وجمعوا المال واستصفوا نفائسه ... لمتعة النفس فى مستقبل الزمن

---

(١) بداية النوم.

حتى إذا امتلئوا بشراً بما ظفروا ومكنوا من علاها أبلغ المكن
ناداهموا هادم اللذات فاقتحموا سبل السلام فأضحوا عبرة الفطن
تلك القبور وقد صاروا بها رمما بعد الضخامة فى الأجساد والسمن
بعد التشهى وأكل الطيبات غداً يأكلهم الدود تحت الترب والسمن
تغيرت منهم الألوان وانمحقت محاسن الوجه والعينين والوجن
خلت مساكنهم عنهم وأسلمهم من كان ينصرهم فى السر والعلن
وعافهم كل من كان يألفهم من الأقارب والأهلين والخدن
ما كان حظهم من عرض ما اكتسبوا غير الحنوط وغير القطن والكفن
تلك القصور وتلك الدور خاوية يصيح فيها غراب البين بالوهن
فلو مررت بهم والبوم يندبها فى ظلمة الليل لم تلتذ بالوسن
ولا تجملت بالأرياش مفتخراً ولا افتتنت بحب الأهل والسكن
ولا تلذذت بالمطعوم منهمكًا ولا سعيت لدنيا سعى مفتتن
ولا اعتبرت إذا شاهدت معتبراً تراه بالعين أو تسمعه بالأذن
مستكبراً بطر الحق الصحيح إذا يلقى إليه لفرط الجهل والشنن
يمنى النفس أمراً ليس يدركه إن الأمانى مقطاع عن المنن
يكفى اللبيب كتاب الله موعظة كما أتى فى حديث السيد الحسن
محمد خير خلق الله قدوتنا مطهر الجيب عن عيب وعن درن
عليه منا صلاة الله دائمة ما سارت الريح بالأمطار والسفن
والآل والصحب ما غنت مطوقة وما بكت عين مشتاق إلى وطن

* * *

الاعتراف بالذنوب

أنا العبـد الذى كسب الذنوبا ... وصدته الأمـــانى أن يتوبا

أنا العبـد الذى أضحى حزينًا ... على زلاتـــه قلقًا كئيبـا

أنا العبد الذى سطرت عليه ... صحائف لم يخف فيها الرقيبا

أنا العبـد المسيء عصيت سرًا ... فمـا لى الآن لا أبدى النحيبا

أنا العبـد المفرط ضـاع عمرى ... فلم أرع الشبيبـة والمشيبـا

أنا العبـد الغريق يلج بحر ... أصيح لربمـا ألقى مجيبـا

أنا العبد السقيم فى الخطايا ... وقـد أقبلت ألتمس الطبيبا

أنا العبد المخلف عن أناس ... حـووا من كل معروف نصيبا

أنا العبد الشريد ظلمت نفسى ... وقـــد وافيت بابكم منيبا

أنا العبد الفقير مددت كفى ... إليكم فادفعوا عنى الخطوبا[1]

أنا الغدار كم عاهـــدت عهدًا ... وكنت على الوفاء به مكـذوبا

أنا المقطـوع فارحمنى وصلنى ... ويسر منك لى فرجًا قريبا

أنا المضطر أرجو منك عفواً ... ومن يرجو رضـاك فلن يخيبا

فيا أسفى على عمر تقضى ... ولم أكسـب به إلا الذنوبا

وأحـــذر أن يعاجلنى ممات ... يحير هـول مصرعـه اللبيبا

ويا حزناه من حشرى ونشرى ... يـوم يجعـل الولدان شيبـا

تفطرت السماء به ومـارت ... وأصبحت الجبـال به كثيبا

إذا مـا قمت حيرانًا ظميئًا ... حسير الطرف عريانًا سليبـا

(١) حوادث الدهر .

ويا خجــــلاه من قبح اكتسابى إذا مـا أبدت الصحف العيوبا
وزلة موقف وحساب عـدل أكون به على نفسى حسيبا
ويا حـــذراه من نار تلظى إذا أزفرت وأقلقـت القلوبا
تكـاد إذا بدت تنشق غيظًا على من كـان ظلامًا مريبا
فيا من مـد فى كسب الخطايا خطاه أما يأنى لك أن تتوبا
ألا فاقلع وتب واجهـد فإنا رأينا كل مجتهــــد مصيبا
وأقبل صادقًا فى العزم واقصد جنـــابا للمنيـب له رحيبـا
وكن للصـالحين أخًا وخِـلاً وكن فى هذه الدنيا غريبا
وكن عن كل فاحشـة جبانًا وكن فى الخير مقدامًا نجيبا
ولاحظ زينـــة الدنيا ببغض تكن عبدًا إلى المولى حبيبا
ومن تعبر زخارفها يجدهـا مخالبــــة لطالبهـــا خلوبـا
واغضض عن المحارم منك طرفًا طموحًا يفتن الرجل الأريبا
فإن خائنــــة الأعين كأسد إذا مـا أهملت وثبت وثوبا
ومن يغضض فضول الطرف عنها يجد فى قلبـه روحًا وطيبا
ولا تطلق لسانك فى كلام يجر عليــك أحقادًا وحوبا
ولا تبرح لسانك كل وقت بذكــر الله ديانـا وطيبـــا
وصلِّ إذا الدجى أرخى سدولاً ولا تضجر به وتكـن هيوبا
تجـد أنسًا إذا أودعت قبرًا وفارقــت المعـــاشر والنسيبا
وصم مـا تستطع تجده ريا إذا مـا قمت ظمـآنا كسولا
وكن متصـــدقا سرا وجهرا ولا تبخل وكن سمحـا وهوبا
تجـــد ما قدمته يداك ظلاً إذا ما اشتد بالناس الكروبا
وكن حسن السجـايا وذا جياد طليق الوجه لا شكسًا غضوبًا

فى الجنة أكل وشرب ونكاح حقيقة ولا قذر فيها ولا نقص ولا نوم

مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد»، وفى رواية: «التكبير كما يلهمون النفس».

الترمذى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى الجماع» قيل يا رسول الله أوَيطيق ذلك؟ قال: «يعطى قوة مائة». وفى الباب عن زيد بن أرقم قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وذكر الدارمى فى مسنده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة» فقال رجل من اليهود: إن الذى يأكل ويشرب يكون منه الحاجة، قال: «ثم يفيض من جلده عرق فإذا بطنه قد ضمر». وخرجه الترمذى فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله أنفضى إلى نسائنا فى الجنة؟ قال: «والذى نفسى بيده إن رجل ليفضى فى اليوم الواحد إلى مائة عذراء».

الدارقطنى عن جابر بن عبد الله، قيل: يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها». والله أعلم.

* * *

المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة
كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة واحدة

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى» قال حديث حسن غريب أخرجه ابن ماجه، وقال: «فى ساعة واحدة فى الجنة».

قال الترمذى: وقد اختلف أهل العلم فى هذا فقال بعضهم فى الجنة جماع ولا يكون ولد، وهكذا يروى عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعى، وقال محمد: قال إسحاق بن إبراهيم فى حديث النبى ﷺ: «إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى، ولكن لا يشتهى هذا أبدًا». وقد روى عن أبى رزين العقيلى عن النبى ﷺ قال: «إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد». والله أعلم.

* * *

كل ما فى الجنة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣][1].

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ولا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه». وقد تقدم قول الحور العين: نحن الخالدات فلا نبيد.

---

(١) مسلم كتاب صفة الجنة رقم ٣٨٣٧.

طير الجنة وخيلها

الترمذى عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر، قال: «ذاك نهر أعطانيه الله يعنى فى الجنة، أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر» فقال عمر إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أكلها أنعم منها» قال: حديث حسن.

الترمذى عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، أن رجلاً سأل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: هل فى الجنة خيل؟ قال: «إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت إلا فعلت» قال: وسأله رجل فقال يا رسول الله هل فى الجنة إبل؟ قال: فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال: «إن يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك»[1].

وخرج مسلم عن أبى مسعود الأنصارى، قال: جاء رجل بناقة مخطوطة فقال هذه فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطوطة». وذكر ابن وهب قال: حدثنا ابن زيد قال: كان الحسن البصرى يذكر عن رسول الله ﷺ: «أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين عن خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب اقرأوا إن شئتم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكًا كَبِيراً﴾ [الإنسان: ٢٠]».

وحكى عن عبد الله بن المبارك: خرج إلى غزوة فرأى رجلاً حزينًا قد مات فرسه فبقى محزونًا، فقال له: بعنى إياه بأربعمائة درهم ففعل الرجل ذلك، أى باعه له، فرأى من ليلته فى المنام كأن القيامة قد قامت وفرسه فى الجنة وخلفه سبعمائة فرس فأراد أن يأخذه فنودى أن دعه، فإنه لابن المبارك وقد كان لك

(١) أخرجه الترمذى رقم ٢٥٤٣ كتاب الجنة.

بالأمس، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة فقال له ولم؟ قال: فقص عليه القصة فقال له: اذهب فما رأيته فى المنام رأيناه فى اليقظة..

وهذه الحكاية صحيحة لأنها فى معنى ما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى مسعود كما ذكرناه.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «خير الأمور أوسطها»[1] فهى حالة سليمة من آفات الغنى المطعن وآيات الفقر المدقع الذى كان يتعوذ منها النبى ﷺ فكانت أفضل منها، ثم إن حالة صاحب الكفاف حالة الفقير الذى لا يترفه فى طيبات الدنيا ولا فى زهرتها، فكانت حالته إلى الفقر أقرب، لقد حصل له ما حصل للفقير من الثواب على الصبر وكفى مرارته وآفاته، وعلى هذا فأهل الكفاف هم إن شاء الله صدر كتيبة الفقراء الداخلين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لأنهم وسطهم، والوسط العدل كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] أى عدولاً خياراً وليسوا من الأغنياء كما ذكرنا.

وروى الترمذى عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إنى قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد، ولا يشهد ولا يخلون رجل بامرأة لا تحل له إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

* * *

---

(١) أخرجه الحاكم وابن عدى (٦/ ١٥).

صفة أهل الجنة ومراتبهم وسنهم وطولهم وشبابهم وعرقهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم وفى لسانهم وليس فى الجنة عزب

مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة ـ وفى رواية ـ: من أمتى على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء أضاء»، وفى رواية: «ثم هم بعد ذلك منازل، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب»، وفى رواية: «الفضة ورشحهم المسك ومجامرهم وأزواجهم الحور العين». وفى رواية: «لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيًا».

قال أبو على: الألَوّة: هو العود، وفى رواية: أخلاقهم على خُلق رجل واحد على طول أبيهم، وفى رواية على صورة أبيهم ستون ذراعًا فى السماء.

وقال أبو كريب: على خلق رجل واحد، وقال أبو هريرة حين تذاكروا: الرجال فى الجنة أكثر أم النساء؟ فقال: لكل رجل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم وما فى الجنة عزب.

الترمذى عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال: «إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨] فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيت».

وروى البخارى عن أنس عن النبى ﷺ قال: «لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا ولنصيفها[1] على رأسها

(١) نصيفها: أى خادمها.

خير من الدنيا وما فيها».

الترمذى عن سعد بن أبى وقاص، عن النبى ﷺ قال: «لو أن ما يقله ظفر مما فى الجنة بدا إلى الدنيا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبَدتْ أساوره، لطمس ضوء الشمس كما تطمس ضوء النجوم». قال: حديث حسن غريب.

فى حديث أبى هريرة: «لكل واحد منهم زوجتان». وقد تقدم من حديث عمران بن حصين: «إن أقل ساكنى الجنة النساء».

قال علماؤنا: لم يختلفوا فى جنس النساء وإنما اختلفوا فى نوع من الجنس وهو نساء الدنيا ورجالها أيهما أكثر فى الجنة فإن كانوا اختلفوا فى المعنى الأول وهو لجنس النساء مطلقًا، فحديث أبى هريرة حجة، وإن كانوا اختلفوا فى نوع الجنس وهم أهل الدنيا فالنساء فى الجنة أقل.

قلت: يحتمل أن يكون هذا فى وقت كون النساء فى النار، وأما بعد خروجهن فى الشفاعة، ورحمة الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال لا إله إلا الله فالنساء فى الجنة أكثر، وحينئذ يكون لكل واحد منهم زوجتان من نساء الدنيا، وأما الحور العين فقد تكون لكل واحد منهم الكثير منهن.

* * *

قصور الجنة

روى الترمذى عن بريدة بن الحصيب، قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: يا بلال بِمَ سبقتنى إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك أمامى فأتيت على قصر مُربع مُشرق من ذهب فقلت: لمن هذا القصر قالوا: لرجل عربى فقلت: أنا عربى، لمن هذا القصر، قالوا: لرجل من قريش، قلت:

أنا قرشى لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من أمة محمد قلت: أنا من أمة محمد، قلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا لبلال، فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابنى حدث إلا توضأت عنده ورأيت أن لله تعالى على ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «بهما». قال: حديث حسن صحيح.

وخرجه الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد مختصراً من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت لمن هذا؟ فقالوا لبلال».

* * *

فرش الجنة

قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

قال بعض أهل العلم: الفُرُش فى الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض، قلت: وقد قيل: إن الفرش كناية عن النساء اللواتى فى الجنة، والمعنى نساء مرتفعات الأقدام فى حسنهنَّ وكمالهن والعرب تسمى المرأة فراشًا ولباسًا وإزارًا ونعجة على الاستعارة، لأن الفُرش محل النساء، وفى الحديث: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[(١)]، وقال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] الآية، قال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣].

* * *

(١) حديث صحيح والمقصود به أن المرأة إذا زنت على فراش زوجها، فإن الولد للزوج إلا إذا تبين بدلائل يقينية أنه ليس ولده وهذه الزانية التى خانت زوجها لم تكسب إلا الحرام.

خيام الجنة وأسواقها
وتعارف أهل الجنة في الدنيا فيها

مسلم عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال: «فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن».

فى رواية، قال: «الخيمة دُرَّة طولها فى السماء ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين».

وخرج مسلم أيضًا عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو[1] فى وجوههم وثيابهم المسك فيزدادون حسنًا وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً».

* * *

أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام» وقال فيه: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم».

---

(١) تلقى.

قال هذا حديث حسن صحيح. وفى طريق أخرى: «يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام». قال: حديث حسن صحيح.

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا». قال: هذا حديث حسن صحيح، وخرجه من حديث أنس أيضًا، وقال فيه: حديث غريب، وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا».

* * *

اختلاف هذه الأحاديث يدل على أن الفقراء مختلفو الحال وكذلك الأغنياء

ولا تعارض والحمد لله، فإن الحديثين مختلفا المعانى، وقد اختلفا فى أى الفقراء هم السابقون وفى مقدار المدة التى بها يسبقون ويرتفع الخلاف عن الموضع الأول بأن يرد مطلق حديث أبى هريرة إلى مقيد روايته الأخرى، وكذلك حديث جابر يرد أيضًا إلى حديث عبد الله بن عمرو، ويكون المعنى فقراء المسلمين المهاجرين إذ المدة فيها أربعين خريفًا، ويبقى حديث أبى سعيد الخدرى فى المدة بخمسمائة عام فى فقراء المهاجرين، وكذلك حديث أبى الدرداء فى فقراء المسلمين بنصف يوم خمسمائة سنة.

ووجه الجمع بينهما أن يقال: إن سُباق فقراء المهاجرين يسبقون سُباق الأغنياء منهم بأربعين خريفًا وغير سباق الأغنياء بخمسمائة عام، وقد قيل إن حديث أبى هريرة وأبى الدرداء وجابر يعم جميع فقراء قرون المسلمين، فيدخل الجنة سباق فقراء كل قرن قبل غير السباق من أغنيائهم بخمسمائة عام على حديث أبى

هريرة وأبى الدرداء، وقيل السباق بأربعين خريفًا على ما تقدم من حديث جابر. والله أعلم.

قلت: وقد احتج بأحاديث هذا الباب من فضل الفقير على الغنى، وقد اختلف الناس فى هذا المعنى وطال فيه الكلام بينهم حتى صنفوا فيه كتبًا وأبوابًا، واحتج كل فريق لمذهبه فى ذلك والأمر قريب.

وقد سُئل أبو على الدقاق: أى الوصفين أفضل، الغنى أو الفقر؟. فقال: الغنى لأنه وصف الحق والفقر وصف الخلق، ووصف الحق أفضل من وصف الخلق، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وبالجملة: فالفقير بالحقيقة العبد وإن كان له مال وإن كان غنيًا إذا عول على مولاه ولم ينظر إلى أحد سواه فإن تعلق باله بشىء من الدنيا ورأى نفسه أنه فقير إليه فهو عبده، قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار» الحديث، خرّجه البخارى وغيره وإنما شرف العبد افتقاره إلى مولاه وعزّه وخضوعه.

ولقد أحسن من قال:

وإذا تذللت الرقـاب تواضعًا   منا إليك فعزُّها فى ذُلّها

فالغنى المعلق البال بالمال الحريص عليه الراغب فيه هو الفقير حقيقة وخادمه الذى يقول: ما أبالى به ولا لى رغبة فيه، وإنما هى ضرورة العيش فإذا وجدتها فغيرها زيادة تشغل عن الإرادة فهو الغنى حقيقة، قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس». خرجه البخارى ومسلم، وأخذ عثمان بن سعدان الموصلى هذا المعنى فقال:

تقنَّع بما يكفيك واستعمل الرضا   فإنك لا تدرى أتصبـح أم تمسى

ليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس.

وهنا درجة ثالثة رفيعة وهى الكفاف التى سألها رسول الله ﷺ فقال: «اللهم

اجعل رزق آل محمد قوتًا»، وفى رواية: «كفافًا» خرَّجه مسلم، ومعلوم أنه ﷺ لا يسأل إلا أفضل الأحوال وأسنى المقامات والأعمال: وقد اتفق الجميع على أن ما أحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم.

وفى سنن ابن ماجه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من غنى ولا فقير إلا يودُّ يوم القيامة أنه أوتى من الدنيا قوتًا» الكفاف حالة متوسطة بين الغنى والفقر.

* * *

آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل النار دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله تعالى:

اذهب فادخل الجنة فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو أن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بى؟ أو أتضحك منى وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة)[1].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشى مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجانى منك لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه الله أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود.

له شجرة فيقول: أى رب أدننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله تعالى: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها فيقول: لا يا رب! ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى فيقول: أى رب أدننى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند رب الجنة أحسن من الأُولَيَيْنِ، فيقول مثله فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أى رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يرضيك منى؟ أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أى رَبِّ أتستهزئ بى، وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألونى مما أضحك، فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين، فيقول: إنى لا أستهزئ بك ولكنى على ما أشاء قادر».

ملحوظة: قوله أتستهزئ منى؟ وفى رواية أتسخر؟[1].

والهزوء والسخرية بمعنى واحد، وفيه تأويلان:

أحدهما: أنه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه واستحقاقه إياه، كما غلط الذى قال: «اللهم أنت عبدى وأنا ربك»[2]. أخرجه مسلم.

الثانى: أن يكون معناه: أتجازينى على ما كان منى فى الدنيا من قلة احتفالى بأعمالى، وعدم مبالاتى بها؟ فيكون هذا على وجه المقابلة كما أن الله تعالى مخبرًا عن المنافقين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير.

ريح الجنة ومن مسيرة كم يوجد؟

عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «من قتل نفسًا مُعاهدًا لم يَرح رائحة الجنة وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»(١).

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ألا من قتل نفسًا معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر(٢) بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفًا(٣)»(٤).

وفى الصحيحين من حديث أنس قال: «لم يشهد عمى مع رسول الله ﷺ بدراً، قال فشق عليه قال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غبت عنه، فإن أرانى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لَيَرين الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: واهًا لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قُتل، قال: فُوجد فى جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته ـ عمتى الربيع بنت النضر ـ: فما عرفت أخى إلا بِبَنَانه(٥)، ونزلت هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه»(٦).

---

(١) رواه البخارى فى الديات ٦٩١٤، وفى الجزية والموادعة ٣١٦٦.

(٢) نقض العهد وغدر.

(٣) سنة من السنين.

(٤) رواه الترمذى فى الديات ١٤٠٣، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى ١١٣٢.

(٥) أصابعه وتطلق أيضًا على أطراف الأصابع ومفردها: بنانة.

(٦) رواه البخارى فى الجهاد ٢٨٠٥، ومسلم فى الإمارة ١٥١٢.

وريح الجنة نوعان:

- ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانًا لا تدركه العباد.

- ريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قرب وبعد وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذى وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول. والله أعلم.

وقد أشهد الله سبحانه عباده فى هذه الدار آثارًا من آثار الجنة وأنموذجًا منها، من الرائحة الطيبة واللذات المشتهاة والمناظر البهية والفاكهة الحسنة، والنعيم والسرور.

وقرة العين، كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة.

قال تعالى فى هذه النار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة:٧٣] وأخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم[1] فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها والله المستعان، نعم:

والريح يوجـد من مسيرة	أربعين وإنْ تَشأْ مائة فمرويانِ
وكـذا روى سبعين أيضًا صحَّ	هـذا كله وأتى به أثرانِ
ما فى رجالهما لنا من مطعنٍ	والجمعُ بين الكل ذو إمكـانِ
ولقد أتى تقديره مائة بخمس	ضربهـا من غير مـا نقصـانِ
إن صحَّ هذا فهو أيضًا والذى	من قبله فى غاية الإمكانِ
وإمـا بحسب المدركين لريحها	قُربًا وبعـدًا أم همـا سيَّانِ

(١) إشارة لحديث أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضى بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير» رواه البخارى فى بدء الخلق ٣٢٦٠.

أو باختلاف قرارها وعلوها ... أيضًا وذلك واضح التبيانِ
أو باختلاف السير أيضًا ... فهو أنواع بقدر إطاقه الإنسانِ
ما بين ألفاظ الرسول تناقض ... بل ذاك فى الأفهام والأذهان

* * *

فى ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

خرّج ابن ماجه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾». إسناده صحيح[١].

قلت: وهذا بيِّن فى أن لكل إنسان منزلاً فى الجنة ومنزلاً فى النار كما تقدم.

وقد قال ها هنا: ما منكم فخاطب أصحابه الكرام المنزهين عن الذنوب العظام الموجبة للنيران ـ رضى الله عنهم.

* * *

خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط

البخارى، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثمَّ يذبح، ثمَّ ينادى مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»[٢].

---

(١) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة وهو فى الصحيحة برقم ٢٢٧٨، وصحيح الجامع برقم ٥٧٩٩.
(٢) رواه البخارى رقم ٤٧٣٠ كتاب التفسير.

مسلم عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون[1] وينظرون، فيقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثمَّ يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وأشار بيده إلى الدنيا»[2].

وأخرجه أبو عيسى الترمذى، عن أبى سعيد الخدرى يرفعه قال: «إذا كان يوم القيامة أتى الموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون، فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة، ولو أن أحدهم مات حزنًا»[3] قال: هذا حديث حسن صحيح.

وذكر ابن ماجه فى حديث فيه طول عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة! فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم! هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثمَّ يقال للفريقين كليهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبدًا»[4].

* * *

(١) أى ينظرون ويرفعون أعناقهم.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٨٤٩ كتاب الجنة.

(٣) أخرجه الترمذى رقم ٢٥٥٧ كتاب الجنة.

(٤) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة ـ كتاب الزهد رقم (٣٧) باب (٣٨) باب صفة الجنة رقم ٤٣٢٧، قال فى الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وقد أخرج البخارى بعضه من هذا الوجه وله شاهد فى الصحيحين من حديث أبى سعيد.

دوام الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

قال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة:٨]، وقد دلت آيات كثيرة أُخر على ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] فالمعنى أنهم مخلدون فى الجنة كل وقت إلا وقتًا يشاء ألا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم فى الدنيا وفى البرزخ، وفى موقف القيامة، وعلى الصراط، وكون بعضهم فى النار مدة.

وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه، وقوله فيها: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، ومثله قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨]. وقد أكد الله ـ جلت قدرته ـ خلود أهل الجنة بالتأبيد فى غير موضع من القرآن وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى[1].

* * *

(١) راجع حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح.

أسباب دخول الجنة

أولاً: أسباب دخول الجنة إجمالاً:

أشار القرآن الكريم إلى من يستحق دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠ ـ ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشورى: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ

كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]

وقال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

وفي المسند وغيره أن النبي ﷺ قال: «قد أنزلت عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم تلا ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر آيات».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣، ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وهذا فى القرآن كثير مداره على ثلاث قواعد: إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهى تجتمع فى أصلين: إخلاص فى طاعة الله، وإحسان إلى خلقه وضدها فى الذين يراءون

ويمنعون الماعون وترجع إلى خصلة واحدة وهى موافقة الرب تبارك وتعالى فى محابه، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرًا وباطنًا برسول الله ﷺ وأما الأعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل ففى بضع وسبعين شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها تصديق الرسول فى كل ما أخبر به، وطاعته فى جميع ما أمر به إيجابًا واستحبابًا، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته.

* * *

ثانيًا: أسباب دخول الجنة تفصيلاً:

يا طالب الجنة مر بك أن مفاتيح الجنة تنبنى على ركنين أساسيين:

الركن الأول: الإخلاص.

الركن الثانى: المتابعة للنبى ﷺ فى حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، والآن حان الموعد لتفصيل هذه المفاتيح حتى نرى ما أديت من هذه المفاتيح فتواظب عليه، وحتى ترى ما فاتك من هذه المفاتيح فتجاهد نفسك فى أدائه، وكلما جمعت مفاتيح أكثر كلما كنت أقرب إلى الجنة، وكلما سارعت الجنة إليك.

١ - الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: ٤]، وقال ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر: ٣].

وغير ذلك من الآيات.

ويروى عن الحسن قال: كانت شجرة تعبد من دون الله، فجاء رجل فقال: لأقطعن هذه الشجرة فجاء إليها ليقطعها غضبًا لله، فلقيه الشيطان فى صورة إنسان فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله. قال: إذا أنت لم تعبدها، فما يضرك من ذلك لا تقطعها ولك ديناران إذا

أصبحت عند وسادتك، قال: فمن لى بذلك؟ قال: أنا لك، فرجع فأصبح فوجد عند وسادته دينارين ثم أصبح بعد فلم يجد شيئًا، فقام غضبان ليقطعها، فتمثل له الشيطان فى صورته، فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع الشجرة التى تعبد من دون الله، قال: كذبت، ما لك إلى قطعها سبيل فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله، ثم قال له: أتدرى من أنا؟ فأخبره أنه الشيطان، فقال: جئت أول مرة غضبًا لله، فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما فقدتهما جئت غضبًا للدينارين فسلطت عليك.

وكان معروف الكرخى يضرب نفسه ويقول: يا نفس أخلصى وتخالصى.

وقال أبو سليمان: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى.

وحكى أن رجلاً كان يخرج فى زى النساء فيحضر حيث يحضرن من عرس أو مأتم فاتفق أنه حضر يومًا موضعًا فيه مجتمع النساء، فسرقت درة، فصاحوا: أغلقوا الباب حتى نفتش، ففتشوا واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه، فدعا الله بإخلاص وقال: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا: أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة.

• بيان حقيقة الإخلاص:

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى إخلاصًا.

والإخلاص يضاده الإشراك، فمن ليس مخلصًا فهو مشرك، إلا أن الشرك درجات.

فالإخلاص فى التوحيد يضاده الشرك فى الإلهية.

والشرك منه جلى، ومنه خفى، وكذلك الإخلاص، ونتكلم الآن فيمن انبعث

لقصد التقرب، ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر إما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس.

ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب، أو يعتق عبدًا ليتخلص من مؤونته وسوء خلقه، أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر، أو للتخلص من شر يعرض له، أو يغزو ليمارس الحرب ويتعلم أسبابها، أو يصلى بالليل وله غرض فى دفع النعاس عن نفسه ليراقب رحله أو أهله، أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال، أو يشتغل بالتدريس ليفرح بلذة الكلام، ونحو ذلك، فمتى كان باعثه التقرب إلى الله تعالى ولكن انضاف إليه خاطر من هذه الخواطر حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص والإنسان قلما ينفك فعل من أفعاله، وعبادة من عباداته عن شىء من هذه الأمور، لذلك قيل: من سلم له فى عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا، وذلك لعزة الإخلاص. وعسر تنقية القلب من هذه الشوائب؛ لأن الخالص هو الذى لا باعث له إلا طلب التقرب إلى الله تعالى.

قيل لسهل: أى شىء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب.

واعلم: أن الشوائب المكدرة للإخلاص متفاوتة، بعضها جلى، وبعضها خفى (وقد ذكرنا) ومن الرياء ما هو أخفى من دبيب النمل، فليطلب هناك، وحاصله أن ما دام العامل يفرق بين مشاهدة الإنسان والبهيمة فى حالة من العمل فهو خارج عن صفو الإخلاص، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه.

وقد قيل: ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من جاهل، وأريد به العالم بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها، والجاهل ينظر إلى ظاهر العبادة، وقيراط من الذهب الذى يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبى.

• حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب عليه:

أما العمل الذى لا يريد به إلا الرياء، فهو على صاحبه لا له، وهو سبب للعقاب كما أن العمل الخالص لوجه الله تعالى سبب للثواب. ولا إشكال فى هذين القسمين وإنما النظر فى العمل المشوب الممتزج بثوب الرياء وحظوظ النفس.

وقد اختلف الناس فى ذلك، هل يقتضى ثوابًا أم عقابًا، أو لا يقتضى شيئًا أصلاً؟ وليس تخلو الأخبار عن تعارض فى ذلك.

والذى يتضح لنا فيه ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن ننظر إلى قدر قوة البواعث فإن كان الباعث الدينى مساويًا للباعث النفسانى تقاوما وتساقطا، وصار العمل لا له ولا عليه، وإن كان الباعث للرياء أقوى، ضر وأوجب العقاب، لكن عقابه دون عقاب من تجرد للرياء، وإن كان الباعث الدينى أقوى من الآخر، فله ثواب بقدر ما فضل من قوته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

ويشهد لما ذكرنا إجماع الأمة على أن من خرج حاجًا ومعه تجارة، صح حجه وأثيب عليه، وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس، إلا أنه متى كان الحج هو المحرك الأصلى، لم ينفك عن ثواب، وكذلك الغازى إذا قصد الغزو والغنيمة على سبيل التبع، حصل له الثواب ولكنه لا يساوى ثواب من لا يلتفت إلى الغنيمة أصلاً والله تعالى أعلم.

أخى فى الله: قمة الإخلاص فى مراقبة الله تعالى فى السر والعلن.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل	خلوت ولكن قل علىَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعــة	ولا أن ما تخفيه عليه يغيب

دخل العبادلة ـ عبد الله بن عمر، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهم ـ على شاب راعٍ للغنم، فأرادوا أن يختبروا صدقه وإخلاصه قالوا: أعطنا شاة من الغنم فقال: إن هذه الشياه

لسيدى فى المدينة، وليست لى فقالوا: إن جاء سيدك فقل أكلها الذئب فقال: إن كان سيدى فى المدينة لا يرانى فأين الله؟!!

وانظر إلى هذا العبد الذى أحسن رعاية سيده، وأحسن عبادة خالقه.

ورد أن سيداً اشترى عبداً ليخدمه، واختار عبداً ليشتريه، فوافق العبد واشترط على سيده أن يخدمه فى النهار، وأن يترك له الليل فرفض السيد، وشك السيد فى أمر خادمه أين يذهب فى الليل؟ ماذا يصنع؟ وذهب السيد إلى حجرة الخادم، ونظر من ثقب الباب فرأى العبد ساجداً يعبد مولاه، وأبصر نوراً يضىء الحجرة وليس بها نور، فعلم أنه نور الطاعة، وذهب السيد إلى زوجته ليخبرها بأمر الخادم، وفتح الباب على الخادم فلما علم الخادم بهما قال:

يا صاحب السر إنَّ السرَّ قد ظهرَ ولا أريد حياة بعدما اشتهرا

فقبضه الله فى الحال.

٢ ـ الخوف من الله

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال مثال ذلك: من جنى على ملك جناية ثم وقع فى يده فهو يخاف القتل ويجوز العفو ولكن يكون تألم قلبه بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله وتفاحش جنايته وتأثيرها عند الملك وبحسب ضعف الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية بل عن صفة المخوف وعظمته وجلاله إذ قد علم أن الله سبحانه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع فبحسب معرفة الإنسان بعيوب نفسه وبجلال الله سبحانه واستغنائه وأنه لا يسأل عما يفعل يكون خوفه وأخوف الناس أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال النبى ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية»[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

---

(١) رواه البخارى ١٠/٤٣٧، ومسلم (٢٣٥٦).

وإذا كملت المعرفة أثمرت الخوف ففاض أثره على القلب ثم ظهر على الجوارح والصفات بالنحول والاصفرار والبكاء والغشى وقد يفضى إلى الموت وقد يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل وأما ظهور أثره على الجوارح فبكفها عن المعاصى وإلزامها بالطاعات تلافيًا لما فرط واستعدادًا للمستقبل قال بعضهم: من خاف أدلج. وقال آخر: ليس الخائف من بكى إنما الخائف من ترك ما يقدر عليه. ومن ثمرات الخوف أنه يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهًا عندما يشتهيه إذا علم أن فيه سمًا فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويذل القلب ويستكين ويفارقه الكبر والحقد والحسد ويصير مستوعب الهم لخوفه والنظر فى خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضن بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله كحال من وقع فى مخالب سبع ضارٍ لا يدرى أيغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلكه ولا شغل له إلا ما وقع فيه فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره فى الأعمال أن يمنع المحظورات فإن منع ما يتطرق إليه إمكان التحريم، سمى ورعًا، وإن انضم إليه التجرد والاشتغال بذلك عن فضول العيش، فهو الصدق.

اعلم أن الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل.

والخوف له إفراط وله اعتدال، وله قصور.

والمحمود من ذلك الاعتدال، وهو بمنزلة السوط للبهيمة، فإن الأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط، وليس المبالغة فى الضرب محمودًا، وهو كالذى يخطر بالبال عند سماع آية، أو سبب هائل فيورث البكاء، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس، رجع القلب إلى الغفلة فهو خوف قاصر قليل الجدوى، ضعيف النفع،

وهو كالقضيب الضعيف الذى يضرب به دابة قوية فلا يؤلمها ألمًا مبرحًا، فلا يسوقها إلى المقصد، ولا يصلح لرياضتها، وهذا هو الغالب على الناس كلهم إلا العارفين والعلماء، أعنى العلماء بالله وبآياته، وقد عز وجودهم وأما المرتسمون برسوم العلم، فإنهم أبعد الناس عن الخوف.

وأما القسم الأول: وهو الخوف المفرط، فهو كالذى يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، فهو أيضًا مذموم، لأنه يمنع من العمل، وقد يخرجه إلى المرض والوله والموت، وليس ذلك محمودًا، وكل ما يراد لأمر، فالمحمود منه ما يفضى إلى المراد المقصود منه، وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم، وفائدة الخوف الحذر، والورع، والتقوى، والمجاهدة والفكر والذكر، والتعبد، وسائر الأسباب التى توصل إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعى الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فإذا قدح فى ذلك شىء كان مذمومًا فإن قيل: فما تقول فيمن مات من الخوف؟

فالجواب: إنه يناله لموته على تلك الحال مرتبة لا ينالها لو مات من غير خوف إلا أنه لو عاش وترقى إلى درجات المعارف والمعاملة كان أفضل، فإن أفضل السعادة، طول العمر فى طاعة الله تعالى، فكل ما أبطل العمر والعقل والصحة فهو نقصان وخسران.

اعلم: أن مقامات الخائفين تختلف، فمنهم من يغلب على قلبه الخوف من الموت قبل التوبة، ومنهم من يغلب عليه خوف الاستدراج بالنعم، أو الخوف عن الميل عن الاستقامة، ومنهم من يغلب عليه خوف سوء الخاتمة.

وأعلى من هذا خوف السابقة؛ لأن الخاتمة فرع السابقة، ومن أقسام الخائفين، من يخاف سكرات الموت وشدته.

ومنهم من يخاف هيبة الوقوف بين يدى الله تعالى[1] .

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين ص٣٠٢ ـ ٣٠٤ باختصار.

٣ـ التوبة

وإذا كانت التوبة واجبة ـ كما أجمع العلماء ـ فإننى أودّ أن أذكرك ـ والشىء بالشىء يذكر ـ بأن هناك ما أوجب منها.

كما أشار إلى هذا الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ عندما سُئل عن ثمانية أمور:

عن الواجب والأوجب؟

والعجيب والأعجب؟

والصعب والأصعب؟

والقريب والأقرب؟

فأجاب بقوله:

من واجب الناس أن يتوبوا ... لكن ترك الذنوب أوجب

والدهر فى صرفــه عجيب ... وغفلة الناس عنــه أعجب

والصبر فى النائبات صعب ... لكن فوات الثـواب أصعب

وكل مـــا ترتجى قريب ... والموت مـن دون ذاك أقرب

فلا بد إذن لكى تكون ناصحًا فى توبتك أن تحقق الواجب والأوجب، وذلك بترك المعاصى والموبقات والتقرب إلى الله تعالى بفعل الصالحات.

● **إلى من أراد أن يعصى الله:**

جاء إلى إبراهيم بن أدهم أحد العصاة فقال: إنى مسرف على نفسى فاعرض على من مواعظك النافعة ما يكون سببًا فى زجرها عن المعاصى والمخالفات فقال إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال فاعصِ الله ؟ فقال الرجل: هات ما عندك يا إبراهيم..

فقال ابن أدهم: الأولى: إن أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئًا من رزقه!

فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والأرزاق دائمًا من عند الله.

فقال له: إذا كنت تعلم هذا فهل يليق بك أن تأكل رزقه وتعصيه فقال الرجل: لا يا إبراهيم.. هات الثانية.

فقال: الثانية: إن أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده...

فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والبلاد كلها ملك لله؟!!

فقال له: إذا كنت تعلم هذا ـ فهل يليق بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟!!

فقال الرجل: لا يا إبراهيم هات الثالثة.

فقال: الثالثة: إن أردت أن تعصى الله فانظر مكانًا لا يراك فيه فاعصه فيه.

فقال الرجل: كيف تقول هذا يا إبراهيم وهو أعلم بالسرائر يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

فقال له: إذا كنت تعلم هذا فهل يليق بك أن تعصيه؟!!

فقال: الرابعة: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرنى إلى أجل معدود.

فقال الرجل: كيف تقول هذا يا إبراهيم والله يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؟

فقال له: إذا كنت تعلم هذا فكيف ترجو النجاة؟!!

فقال الرجل: هات الخامسة.

فقال: الخامسة: إذا جاءك الزبانية (ملائكة النار) ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم.. وقل لهم اتركونى فلن أذهب معكم ..

فقال الرجل: كفى يا إبراهيم! أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزم العبادة حتى فارق الدنيا.

• عقاب نظرة فى الحرام:

أخى العاصى: ذكر عن بعض الصالحين أنه نظر إلى وجهه لمعة سوداء فسئل عنها فقال: نظرت يومًا إلى امرأة فتابعت النظرة بأخرى فرأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وقد نشر الخلائق فى صعيد واحد وجىء بجهنم ونصب الصراط على متنها.

وقال الله تعالى لى: جز يا عبدى فاقتحمت الصراط وخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهى فأحدث فيه هذه اللمعة فقال الله تعالى: يا عبدى نظرة بنظرة ولو زدتنا لزدناك.

ومع ذلك فباب التوبة مفتوح ولا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها.

• قتل مائة ودخل الجنة:

يحكى لنا قصة هذا التائب رسول الله ﷺ ـ فيقول ـ: كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمَّل به مائة.

ثمَّ سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟

فقال: نعم، ومَن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنَّ بها أُناس يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.

فانطلق حتى إذا نَصَفَ الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مُقبِلاً بقلبه إلى الله.

وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط.

فأتاهم مَلَك فى صورة آدمى، فجعلوه بينهم[١].

فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهوَ له.

فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة.

قال قتادة: فقال الحسن: ذُكِر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره.

وفى رواية: فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى، وإلى هذه أن تقرَّبى.

أى: أوحى الله - عَزَّ وَجَلَّ - إلى بلد المعصية أن تباعدى؛ لأنه كان أقرب إليها.

وأوحى إلى بلد التوبة أن اقتربى لأنه كان أبعد عنها.

وفى رواية: أنهم وجدوه أقرب بشبر واحد، فغفر الله له[٢].

● جادًا بأنفسهما لله:

بعد أن وقع ماعز بن مالك، والغامدية رضى الله عنهما فى جريمة الزنا، ذهب ماعز - رضوان الله عليه - إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وأخبره بما حدث.

فقال له الفاروق عمر: استر على نفسك، ولا تحدِّث أحدًا.

ولكنَّ مرارة المعصية والتوبة الصادقة حملت ماعزًا إلى أن يذهب إلى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فردَّ أبو بكر - رضوان الله عليه - بما ردَّ به عمر - رضى الله عنه -.

وإذا بذل المعصية يقطِّع قلبه، ويُحرِّق فؤاده، فما كان من ماعز - رضى الله عنه - إلا أن ذهب إلى رسول الله ﷺ، وأنبأه بما وقع.

---

(١) أى حكمًا.

(٢) رواه البخارى ج٤ ص٢١١، ورواه مسلم ٢١١٨/٤، و ٢١١٩/٤، ورواه أحمد ج٣ ص٢٠، واللفظ لمسلم.

فقال له رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ «ويحك ارجع».

قال ماعز: زنيت يا رسول الله فطهِّرنى.

قال رسول الله ﷺ: «ويحك ارجع».

قال ماعز: زنيت يا رسول الله فطهِّرنى.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام «ويحك ارجع».

قال ماعز: زنيت يا رسول الله فطهرنى.

قال رسول الله عليه أطهر صلاة وسلام: ويحك ارجع.

قال ماعز ـ خامسة ـ: زنيت يا رسول الله فطهِّرنى.

فنظر النبى ﷺ إلى أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ وقال: «لعل به جنون؟».

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «ليقم أحدكم ليستنكهه، فلعله شرب خمرًا فهذى فقال ما قال؟».

فقام أحد الصحابة وشمَّه، فوجد رائحته طبيعية.

وهنا اتجه النبى صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى ماعز وسأله: «أتدرى ما الزنا؟».

قال: دخل كذا منى فى كذا منها كما يدخل المِرود فى المكحلة أو الرشاء فى البئر.

قال ﷺ: «ارجموه».

فقام بعض الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ إليه، ووضعوه فى حفرة ورجموه.

ولمَّا اشتد به الرجم، فرَّ من الضرب.

فضربه أحد الصحابة فقتله.

وذهب الراجمون إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بأن ماعزًا حاول الفرار.

فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ «هلا تركتموه».

ثمَّ جاءت الغامدية!!

وبعد أن تمَّ رجم ماعز رضى الله عنه تكلَّم البعض فى حقه.

فقال رسول الله ﷺ «لقد تاب توبة لو تابها صاحب مِكسٍ لقبلها الله منه».

ثمَّ أقبلت الغامدية ـ رضوان الله عليها ـ على نبى الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فقالت: زنيت يا رسول الله فطهِّرنى.

قال: «ويحك، ارجعى».

فقالت: زنيت يا رسول الله فطهِّرنى.

قال ـ عليه السلام ـ: «ويحك، ارجعى».

قالت: زنيت يا رسول الله فطهرنى.

قال: «ويحك ارجعى».

قالت: أتريد أن تردَّنى كما رددت ماعز بن مالك.

قال ﷺ «آنت؟». ـ يريد أأنت صاحبته ـ.

قالت: نعم.

قال: انتظرى حتى تضعى ولدك.

فلمَّا وضعته جاءت إلى رسول الله ﷺ ومعها ولدها.

قال: «انتظرى حتى تفطميه».

فلما فطمته، وضعت كسرة خبز فى فمه ثمَّ أقبلت إليه فقال ﷺ لأصحابه: «مَن يكفل هذا الغلام؟».

قال أحد الأنصار ـ رضى الله عنهم ـ أنا يا رسول الله.

وهنا نظر النبى عليه الصلاة والسلام إلى صحابته وقال: «خذوها فارجموها».

فأخذوها وحفروا لها، وابتدءوا رجمها، وأثناء الرجم وقع هذا الموقف . .

ذلك أنَّ خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ ضربها بحجر ضربة شديدة،

فانتقل الدم من جسدها إلى ثياب خالد، فسبَّها خالد ـ رضى الله عنه ـ فقال رسول الله ﷺ: «على رسلك يا خالد لقد تابت توبة لو تابها سبعون من أهل المدينة لقبلها الله منهم، وهل ترون أفضل من أنها جادت بنفسها لله تعالى»[١].

• التوبة رفعت العذاب بعد بدء نزوله:

﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

لهذه الآية القرآنية قصة عظيمة من قصص التائبين فإن الله ـ جلَّ وعلا ـ قد بعث يونس ـ عليه السلام ـ إلى أهل نينوى من أرض الموصل بالعراق، فدعاهم إلى الله ـ جلَّ وَعَزَّ ـ فكذَّبوه وتمرَّدوا على كفرهم وعنادهم، فلمَّا طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم، وفرَّ إلى الله ـ تعالى ـ مستغيثًا به، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

فلما خرج من بين ظهرانيهم، وتَحققَّوا نزول العذاب به قذف الله فى قلوبهم التوبة والإنابة. وندموا على ما كان منهم إلى نبيِّهم، فلبسوا المسوح[٢]، وفرَّقوا بين كل بهيمة وولدها، ثمَّ عجوا[٣] إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وصرخوا وتضرَّعوا إليه، وتمسكنوا لديه، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، ورفعوا أكف الضراعة قائلين: يا رب يا رب أغثنا يا غياث المستغيثين.

وكانت ساعة توبة عظيمة، وإنابة صادقة، وأوبة ناصحة.

فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته ـ عنهم العذاب الذى كان قد اتصل بهم سببه، ودار على رؤوسهم كقطع الليل المُظلم.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ أى هلاَّ وُجِدت فيما

---

(١) هذا الحديث جمعت ألفاظه وذكرته بالمعنى، وقد رواه البخارى ومسلم رقم ١٦٩٦.

(٢) لبسوا المسوح: لبسوا الصوف.

(٣) عجُّوا: لجئوا وفزعوا، ولبُّوا.

سلف من القرون قرية آمنت بكمالها، فدلَّ على أنه لم يقع ذلك، بل كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

وقوله: ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾. أى: آمنوا بكاملهم.

وقد اختلف المُفسّرون، هل ينفعهم هذا الإيمان فى الدار الآخرة، فينقذهم من العذاب الأخروى كما أنقذهم من العذاب الدنيوى؟ على قولين[1]:

قلت: إن كان الله - جلَّ وعلا - رفع عنهم عذاب الدنيا، فمن باب أولى أن لا يعذِّبهم فى الآخرة، فإن الإسلام يجب ما قبله، والقرآن الكريم قال: ﴿لَمَّا آمَنُوا﴾، فحكمت الآية القرآنية بإيمانهم، ولعلَّ مَن قال من أئمة المفسرين بأنَّ هذا الإيمان لا ينفعهم فى الآخرة استنبط هذا الرأى من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾.

ولكن ما المانع أن يكون المعنى: كشفنا ورفعنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا إلى حين إكرامهم، وإدخالهم الجنة فى الدار الآخرة.

• غفر الله للكفل جميع ذنوبه:

بطل هذه القصة: الكفل - لا نبى الله الكفل عليه السلام - يحدِّثنا عنه رسول الله ﷺ فيقول: «كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورَّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها. فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أُرعدت وبكت فقال لها: ما يبكيك؟ أأكرهتك؟

قالت: لا، ولكن هذا عمل لم أعمله قط، وإنَّما حملتنى عليه الحاجة.

قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط.

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (قصة يونس عليه السلام).

ثمَّ نزل فقال: اذهبي بالدنانير لك.

ثمَّ قال: واللهِ لا يعصى اللهَ الكفلُ أبدًا.

فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: قد غفر الله للكفل[١].

• كان سببًا في توبة السلطان:

قال أبو المُظفر بن الجوزي:

سمعت مشايخ الحربية يحكون عن آبائهم وأجدادهم أنَّ السلطان مسعودًا لما أتى بغداد، كان يُحِبُّ زيارة العلماء والصالحين، فالتمس حضور ابن الطَّلاَّية[٢].

فقال للرسول: أنا في هذا المسجد أنتظر داعي الله في النهار خمس مرات، فذهب الرسول.

فقال السلطان: أنا أولى بالمشي إليه، فزاره. فرآه يُصلِّي الضحى، وكان يُطوِّلها يصليها بثمانية أجزاء، فصلى معه بعضها.

فقال له الخادم: السلطان قائم، على رأسك، فقال: أين مسعود؟ قال: ها أنا.

قال: يا مسعود! اعدل، وادعُ لي، الله أكبر، ثمَّ دخل في الصلاة، فبكى السلطان، وكتب ورقة بخطه بإزالة المُكوس[٣] والضرائب، وتاب توبة صادقة[٤].

---

(١) رواه أحمد، ورواه الترمذي، وقال: حسن، وذكر أن بعضهم رواه، فوقفه على ابن عمر. وقال ابن كثير: حديث غريب جدًا فإن سعدًا ـ أي مولى طلحة هذا ـ قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد، ووثقه ابن حبان، ولم يرو عنه سوى عبد الله بن عبد الله الرازي هذا. انظر: قصص الأنبياء ص٢٧٧.

(٢) ابن الطَّلاَّية: أبو العباس أحمد بن أبي غالب الكاغدي البغدادي أفنى عمره في العبادة، وكان حافظًا للقرآن.

(٣) الضرائب المأخوذة ظلمًا.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢).

• الملكان التائبان:

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: بينما رجل فيمن كان قبلكم كان فى مملكته ففكَّر، فعلم أن ذلك منقطع عنه، وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربه، فتسرَّب، فانساب ذات ليلة من قصره، وأصبح فى مملكة غيره، وأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللَّبِن بالآجر فيأكل، ويتصدق بالفضل، ولم يزل كذلك حتى رقى أمره وعبادته وفضله إلى ملكهم فأرسل إليه، فأبى أن يأتيه، فركب إليه الملك فلمَّا أتاه ولى هاربًا، فركَضَ فى أَثَرِه فلم يدركه فناداه:

يا عبد الله إنه ليس عليك منى بأس، فقام حتى أدركه فقال له: مَن أنت رحمك الله؟

فقال: أنا فلان بن فلان صاحب مملكة كذا وكذا ففكَّرت فى أمرى فعلمت أن ما أنا فيه منقطع، وأنه قد شغلنى عن عبادة ربى - عَزَّ وَجَلَّ - فتركته وجئت ها هنا أعبد ربى.

فقال له: ما أنت بأحوج لما صنعت منى.

قال: فنزل عن دابته، فسيَّبها وتبعه، فكانا جميعًا يعبدان الله - عَزَّ وَجَلَّ - فدعوا الله أن يميتهما جميعًا فماتا.

قال عبد الله: فلو كنت برُمَيْلة[١] مصر لأريتكم قبورهما بالنعت الذى نعت لنا رسول الله ﷺ[٢].

• أنت العوَّاد بالمغفرة، وأنا العواد بالذنوب:

قال جابر - رضى الله عنه -: مرَّ رجل ممَّن كان قبلكم بجمجمة فنظر إليها فحدَّث نفسه بشىء، فقال: اللهم أنت أنت وأنا أنا..

أنت العوَّاد بالمغفرة، وأنا العواد بالذنوب فاغفر لى، وخرَّ على جبهته ساجدًا.

(١) رُميلة تصغير رملة وهى من بلاد مصر.

(٢) رواه أحمد ج١ ص١٥٤.

فنودِى: ارفع رأسك فإنك العوَّاد بالذنوب، وأنا العوَّاد بالمغفرة قد غفرت لك، فرفع رأسه، وغفر الله له[١].

• توبة السيد على يد الجارية:

قال ابن هشام المذكر: أردت البصرة فجئت إلى سفينة أكتريها[٢] وفيها رجل من أولاد الأكابر ومعه جارية فقال الرجل: ليس ها هنا موضع فسألته الجارية فحملنى فلما سرنا أحضر الغذاء ثم قال: أنزلوا هذا المسكين ليتغدى معنا ثم قال: يا جارية هات الشراب فشرب وأمرها أن تسقينى فقلت: رحمك الله إن للضيف حقًا فتركنى فقال للجارية: هاتى ما عندك فأخذت العود وغنت:

وكنا كغصنى بانة ليس واحد ... يزول عن الحالات عن رأى واحد

تبدل لى خلا فحالت له غيره ... وخليته لما أراد تباعدى

فالتفت إلى وقال: وتحسن مثل هذا. فقلت: أحسن منه. فقال: قل، فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ فجعل يبكى فلما انتهيت إلى قوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١- ١٠]. فقال: يا جارية اذهبى فأنتِ حرة، وألقى ما معه من الشراب فى الماء وكسر الآنية ثم نادانى فأعتقنى ثم قال: يا أخى ترى يقبل الله توبتى؟ فقلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فمكث على العبادة أربعين سنة ثم مات رحمه الله فرأيته فى المنام فقلت: ما فعل الله بك؟

فقال: غفر الله لى بقرائتك علىَّ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

• توبة ملك ظالم:

اقتتل ملكان من ملوك اليمن فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرد أصحابه وزينت له السرر ودار الملك وتلقاه الناس ليدخل، فبينما هو فى بعض السكك

---

(١) رواه الديلمى والخطيب وابن عساكر ضعيف انظر: كنز العمال ج٤ رقم ١٠٢٧٦.

(٢) أكتريها: أستأجرها.

وقف له رجل فقال:

تسمع من الأيام إن كنت سامعًا فإنـك فيهـا بيـن نـاهٍ وآمـر
وكم ملك قـد رُكِم التراب فوقه وعهـدى به بالأمس فوق المنابر
إذا كنـت فى الدنيا قصيراً فإنمـا بلاغك مثل منها زاد المسافر
إذا أنفـت الدنيـا على المرء دينـه فمـا فاته منهـا فليس بضاير

قال: صدقت ونزل عن فرسه وفارق أصحابه ورق وترك الملك.

• سارق تائب:

دخل لص بيت رابعة العدوية ليلاً لكى يسرقه فلم يجد فيه غير أبريق وفيه ماء فلما أراد الخروج قالت له ـ عندما رأته يتسلل إلى الباب ـ يا هذا إن كنت من الأذكياء فلا تخرج بغير شىء فقال اللص: إنى لم آخذ شيئًا، فقالت له: يا مسكين توضأ بهذا الأبريق وادخل هذه الحجرة وصل ركعتين فما تخرج إلا بشىء ففعل اللص ما أمرته به فلما كان يصلى ركعة رفعت رابعة بصرها إلى السماء وقالت: (سيدى ومولاى هذا أتى بابى فلم يجد شيئًا عندى وقد وقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك).

• عظة وتوبة:

عن سعدان قال: «أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه وجعلوا لها إن فعلت ذلك لها ألف درهم فلبست أحسن الثياب وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ثم تعرضت له حين خرج من مسجده فنظر إليها فراعه أمرها فأقبلت عليه وهى سافرة فقال لها الربيع: كيف بك لو نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو قد نزل بك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشيًا عليها فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها

أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق

فقال الفاسدون: أرسلناها لتفسده، فأفسدها هو علينا.

• آن أوان التوبة:

نظر الإمام الأعظم أبو حنيفة لإمام المسلمين عبد الله بن مبارك وسأله أن يحدثه عن بدء أموره (التزامه بالدين)؟ فقال: كنت جالسًا مع إخوانى فى البستان فأكلنا وشربنا إلى الليل وكنت مولعًا بضرب العود والطنبور ونمت سحرًا (قبل الفجر) فرأيت فى منامى طائرًا فوق رأسى على شجرة يقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، قلت: بلى.

فانتهيت وكسرت عودى وحرقت ما كان عندى فكان هذا أول زهدى.

• توبة أمير:

كان جعفر حرب يتقلد كبار الأعمال للسلطان وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة فاجتاز يومًا وحوله الحشم والعبيد فسمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ فصاح: اللهم بلى يكررها دفعات ثم نزل واختفى فلم يخرج من الماء حتى فرق أمواله ورد المظالم وتصدق بالمال فوهب له رجل قميصًا ومئزرًا فاستتر بها وخرج وانقطع إلى العبادة حتى مات.

• توبة ملك:

بعث عائلة أحدهم إلى ملك يقال له ذى الكلاع بهدية. فأقام الرجل ببابه سنة لا يصل إليه ثم طلع ذو الكلاع إطلاعة من قصره فلم يبق حول القصر أحد إلا خر ساجدًا ثم أمر بهديتى فقبلت. ثم رأيته فى الإسلام قد اشترى لحمًا بدرهم وهو على فرس يقول:

أُف للدنيا غدًا كانت كذا — كل يوم أنا منه فى أذى

ولقد كنت ما قيل مرة — أنعم الناس معاشًا قيل ذا

• **قصة ملك تائب:**

عن ابن يسار صحبت إبراهيم بن أدهم فأتينا على قبر فترحم وبكى فقلت: قبر من هذا؟

قال: هذا قبر حميد بن جابر صاحب هذه المدن كلها وأمير هذه المدن كان غارقًا فى بحار الدنيا فأخرجه الله تعالى منها واستنقذه، ولقد بلغنى أنه سر يومًا بشىء من ملاهى ملكه ودنياه ثم نام فى محل له مع من يخصه من أهله فرأى رجلاً واقفًا على رأسه بيده كتاب فناوله ففتحه فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب لا تؤثرن فانيًا على باق ولا تغتر بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك وشهواتك فإن الذى أنت فيه عظيم لولا أنه عديم وملك لولا أنه هلك وفرح وسرور لولا أنه لهو وغرور إلى أمر الله فإن الله تعالى قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فانتبه الملك فزعًا وقال: هذا تنبيه من الله عَزَّ وَجَلَّ وموعظة فخرج من ملكه لا يعلم به وقصد هذا الجبل متعبداً فيه فلما بلغنى أمره وحدثت به ابنته فسألته ببداية أمره.

٤ ـ بر الوالدين

بر الوالدين من صفات الأنبياء والمرسلين.

هذا هو إسماعيل البار بوالديه.

حكى أن إبراهيم عليه السلام لما رأى فى المنام أنه يذبح ابنه وتحقق أن ذلك أمر ربه قال لابنه: يا بنى خذ الحبل والمُدية[1] وانطلق بنا إلى هذه الهضبة، وفعل الغلام وتبع والده.

فتمثل الشيطان رجلاً، فجاء أم الغلام ـ هاجر ـ فقال لها: أتدرين أين يذهب

(١) المدية: السكين.

إبراهيم بابنك قالت: أين؟ قال الشيطان ـ إبليس ـ: والله ما ذهب إلا ليذبحه قالت الأم: كلا؟ هو أشفق به وأشد حبًا له. قال الشيطان: إنه يزعم أنَّ الله أمره بذلك. فأجابت الأم: إن كان الله أمره بذلك فليطع أمر ربه. فانصرف الشيطان خاسئًا، ثم لحق بالابن وهو يتبع أباه، وألقى إبليس عليه ما ألقى على أمه. قال يا إسماعيل: أتدرى أين يذهب بك أبوك؟ قال: أين؟ قال: إنه يذهب بك ليذبحك. قال: ولِمَ؟ قال: إنه يزعم أن الله أمره بذلك، قال: إن كان الله أمره بذلك فليطع ربه. فأقبل الشيطان على إبراهيم. فقال إبليس: يا إبراهيم إنَّ الذى رأيته حلم من الشيطان سيجعلك تندم ولات ساعة مندم. فقال إبراهيم: اخسأ يا لعين.

ثمَّ إنَّ إبراهيم أفضى إلى ابنه برؤياه وسأله رأيه فقال: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] ثمَّ قال: يا أبتاه.. إذا أردت ذبحى فاشدد وثاقى لئلا يصيبك شىء من دمى فينقص أجرى، وإنَّ الموت شديد، ولا آمن أن اضطرب عنده إذا وجدت مسه. فاشحذ شفرتك[1] حتى تجهز علىَّ، فإذا أنت أضجعتنى لتذبحنى فاكببنى على وجهى ولا تضجعنى لجنبى، فإنى أخشى إن أنت نظرت إلى وجهى أن تدركك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك فىَّ، وإن رأيت أن ترد قميصى إلى أمى، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنى فافعل، قال إبراهيم: نعم العون يا بنى أنت على أمر الله.

ثمَّ إنه هم بالتنفيذ، فشد كتاف الغلام وتله للجبين ليذبحه، فنودى: ﴿أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥]، وافتدى بكبش عظيم وجده إبراهيم على مقربة منه فذبحه. وإلى هذا يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾

(١) الشفرة: السكين.

وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٧].

هذا هو إسماعيل نبى الله. وهذا هو يحيى البار بوالديه يقول تعالى عنه: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٥].

وهذا هو رسول الله وروح الله عيسى عليه السلام يخبر الله عنه قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٣].

• لا ينام من أجل والديه:

بر الوالدين من أهم أسباب النجاة فى الدنيا والآخرة. ففى الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرة من فوق الجبل فَسَدَّت عليهم الغار فقالوا: إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

فقال رجل منهم: اللهمّ كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق[١] قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بى طلب الشجر يومًا، فلم أرح عليهما[٢] حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون[٣] عند قدمى، فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهمَّ إن كنت فعلت

(١) الغبوق: الشرب آخر النهار.

(٢) فلم أرح عليهما: لم أرجع إليهما آخر النهار.

(٣) يتضاغون: يصيحون من الجوع.

ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصَّخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه.

وقال الثاني: اللهمَّ إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلىَّ - وفى رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سَنَة من السنين[1] فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها. ففعلت حتى إذا قدرت عليها - وفى رواية فلمّا قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىَّ وتركت الذهب الذى أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج.

وقال الثالث: اللهمَّ إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب، فثمَّرت له أجره حتى كثُّرت منه الأموال فجاءنى بعد حين، فقال: يا عبد الله.. أدِّ إلىَّ أجرى، فقلت: كل ما ترى من أَجْرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق[2]، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بى، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون[3].

• الشاب البار:

جاء فى تفسير ابن كثير والبغوى وابن جرير الطبرى وغيرهم قصة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا

(١) سَنَة: شدة وحاجة.

(٢) الرقيق: العبيد والإماء.

(٣) أخرجه البخارى رقم ٢٢٧٢، ومسلم ٢٧٤٣.

لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٦٧ ـ ٧٣].

هذه القصة تدور على النحو التالى:

كان فى بنى إسرائيل رجل غنى، وله ابن عم فقير ولا وارث له سواه، فلمّا طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى فألقاه بفنائها ثمَّ أصبح يطلب ثأره، وجاء بناس إلى موسى عليه السلام.

قال الكلبى: وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل، فأمرهم بذبح بقرة قائلاً لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أى: أتستهزئ بنا ونحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة ، فقال موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أى من المستهزئين بالمؤمنين، وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال ـ فلمّا علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه. وسألوه عنها كما فى الآيات، وأعادوا السؤال مرات وشددوا فشدد الله عليهم. وكان تحته حكمة عظيمة وذلك لأنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح له ابن طفل، وله بقرة أتى بها إلى غيضة[1]، وقال: اللهمّ إنى أستودعك هذه البقرة لابنى حتى يكبر ومات الرجل، فصارت البقرة فى الغيضة أعوامًا وكانت تهرب من كل من رآها، فلمّا كبر الابن كان باراً بوالديه، كان يقسّم الليل ثلاثة أثلاث: يصلى ثلثًا، وينام ثلثًا ويجلس عند رأس أمه ثلثًا، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى السوق فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه، ويأكل بثلثه ويعطى والدته ثلثه.

---

(١)غيضة: غابة بها شجر كثير مُلتف.

فقالت له أمه يومًا: إنَّ أباك ورَّثك بقرة استودعها الله فى غيضة كذا، فانطلق فادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها تخيل لك أنَّ شعاع الشمس يخرج من جلدها ـ وكانت تسمَّى المذهَّبة لحسنها وصفرتها، فأتى الغيضة فرآها ترعى، فصاح بها، وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها، فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى، وقالت: أيها الفتى البار بوالديه اركبنى فإنَّ ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إنَّ أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت: خذ بعنقها. فقالت البقرة بإله بنى إسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر علىَّ أبدًا، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل، لبِرِّك بأمِّك، فسار الفتى بها إلى أمه.

فقالت له أمه: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة، قال: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتى، فانطلق بها إلى السوق فبعث الله ملكًا ليرى خُلقه وقدرته وليختبر الفتى وكيف بِرُّه بأمه وكان الله به خبيرًا، فقال المَلَك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى، فقال المَلَك: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك، فقال الفتى: لو أعطيتنى وزنها ذهبًا لم آخذه إلا برضا أمى، فردَّها إلى أمه وأخبرها بالثمن فقالت له: ارجع فبعها بستة دنانير على رضا منِّى، فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك، فقال: استأمرت أمك؟ فقال الفتى: إنها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها، فقال الملك: فإنى أعطيك اثنى عشر دينارًا، فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك فقالت: إنّ الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل، فقال الملك: اذهب إلى أمك وقل لها: أمسكى هذه البقرة، فإن موسى بن عمران سيشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى إسرائيل، فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير. فأمسكوها، وقدّر الله على بنى إسرائيل ذبح

تلك البقرة بعينها، فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بِرِّه بوالدته فضلاً ورحمة.

فاشتروها بملء مسكها ذهبًا فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى، فقام القتيل بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دمًا، وقال: قتلنى فلان ثمَّ سقط ومات مكانه، فحُرِم قاتله الميراثُ.

يا أخى وحبيبى:

● بر الوالدة:

فلا تطع زوجة فى قطع والدة
عليك يا ابن أخى قد أفنت العمر

فكيف تنكر أمًا ثقلك احتملت
وقد تمرَّغتَ فى أحشائها شهرا

وعالجت بك أوجاع النفاس وكم
سُرت لما ولدت مولودها ذكرا

وأرضعتك إلى حولين مكملة
فى حجرها تستقى من ثديها الدّررا

ومنك ينجسها ما أنت راضعه
منها لا تشتكى نتنًا ولا قذراً

وقل هو الله تقرؤها بآلاف
خوفًا عليك وترخى دونك السترا

وعاملتك بإحسان وتربية
حتى استويت وحتى صرت كيف ترى

فلا تفضل عليها زوجة أبدًا
لا تدعْ قلبها بالقهر مُنكسرا
والولد الأصل لا تنكر لتربية
واحفظه لا سيما إن أدراك الكبرا
فما تؤدى له حقًا عليك ولو
على عيونك حَجَّ البيت واعتمرا

وأبوك يناديك:

● بر الأب:

غذوتكَ مولودًا وعلتك يافعًا ... تعلُّ بما أجنى إليك وتنهلُ
إذا ليلة نابتك بالسُّقَم لم أبت ... لسقمك إلا ذاكرا[1] أتملْملُ
كأنى أنا المطروق دونكَ بالذى ... طرقت به دونى وعينى تهملُ
تخاف الردى نفسى عليكَ وإنَّها ... لتعلَم أنَّ الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السنَّ والغاية التى ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمِّلُ
جعلت جزائى منكَ غِلظةً وفظاظة ... كأنكَ أنتَ المُنْعِم المتفضِّلُ
وسمَّيتنى باسم المفنَّد[2] رأيهُ ... وفى رأيكَ التفنيد لو كنتَ تعقلُ
تراهُ معدًا للخلاف كأنَّهُ ... بردٌ على أهل الصواب موكَّلُ
فليتكَ إن لم ترعَ حقَّ أبوَّتى ... فعلت كما الجار المجاور يفعلُ
فأوليتنى حقَّ الجوار ولم تكن ... بمال دون مالك تبخلُ

(١) ساهراً.
(٢) المضلل والمكذب.

• الأم أحق من الأب:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: «من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»(١).

ثم يقول: فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغى أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب لذكر النبى ﷺ الأم ثلاث مرات، وذكر الأب فى الرابعة فقط.

وذلك أن صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم دون الأب.

وروى عن مالك: أن رجلاً قال له: إن أبى فى بلد السودان وقد كتب إلى أن أقدم عليه، وأمى تمنعنى من ذلك فقال له: «أطع أباك ولا تعص أمك».

فدل قول مالك هذا: أن برهما متساوٍ عنده.

وقال الشاعر الحكيم:

لأمك حق لو علمت كبير	كثيرك يا هـذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى	لها من جواها أنة وزفير
وفى الوضع لو تدرى عليها مشقة	فمن غصص منها الفؤاد يطير
فكم غسلت عنك الأذى بيمينها	وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها	ومن ثديها لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها	حنواً وإشفاقًا وأنت صغير
فآه لذى عقل ويتبع الهوى	وآه لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب فى عميم دعائها	فأنت لما تدعو إليه فقير

(١) رواه البخارى ومسلم.

كما يقول أيضًا مشيرًا إلى حنان الأم وخدماتها لأبنائها كما يشير بعد ذلك إلى اهتمام الوالد بأبنائه.

تزيل أذاك وهى بطيب نفس	وإن تبكى تسارع بالعطاء
وإن تدنو لك الأمراض يومًا	سمعت أنينها من ذا العناء
وتمنع أحسن المأكول عنها	لتأكله وترجو لك الشفاء
وفيك أبوك يصبح فى اهتمام	ويمسى فى هموم مع شفاء
ويطلب أن تصح له دوامًا	ويرجو أن تخلد بالبقاء

• الأم الحاضنة:

ولهذا فقد تخاصم أبو الأسود الدؤلى واضع النحو مع امرأته إلى القاضى على غلامهما منه، أيهما أحق بحضانته؟ فقالت المرأة: أنا أحق به وبحضانته لأننى حملته تسعة أشهر ثم وضعته ثم أرضعته إلى أن ترعرع بين أحضانى كما تراه مراهقًا.

فقال أبو الأسود: أيها القاضى.. حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، فإن كان لها بعض الحق فيه، فلى الحق كله أو جله.

فقال القاضى: أجيبى أيتها المرأة على دفاع زوجك.

فقالت: لئن حمله خِفًا، فقد حملته ثقلاً، ولئن وضعه شهوة فقد وضعته كرهًا.

فنظر القاضى إلى أبى الأسود، وقال له: ادفع إلى المرأة غلامها ودعنى من سجعك.

وهذا دليل على أن الأم أولى بالولد من الأب ما لم يحصل مانع من ذلك بالنكاح لتقييده ﷺ للأحقية ما لم تنكح. فإن حصل منها النكاح بطلت حضانتها.

وقيل: الأم أحق بحضانة ولدها إلى سبع سنين، إن كان ذكراً وإلى تسع: إذا كانت أنثى إلا أن يرى القاضى استمرار حضانة الأم.

● **قلب الأم:**

أغرى امرؤ غُلامًا جاهلاً ... بنقوده كيما ينال به الوطرُ
قال ائتنى بفؤاد أمك يا فتى ... ولك الجواهر والدراهم والدُّررُ
وأغرز خنجراً فى صدرها ... والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى ... فتدحرج القلب المقطَّع إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو مُعَفَّرُ ... ولدى حبيبى هل أصابك من ضرر
فكأن هذا الصوت فى حُنُوِّه ... غضب السماء على الغلام قد انهمر
فدرى فظيع جناية لم يجنها ... ولد سواه منذ تاريخ البشر
فارتدَّ نحو القلبِ يغسله بما ... فاضت به عينان من سيلِ العبر
ويقول: يا قلب انتقم منى ولا ... تغفر فى جريمة لا تغتفر
واستل خنجره ليطعن قلبه ... طعنًا فيبقى عبرة لمن اعتبر
ناداه قلب الأم كف يداً ولا ... تطعن فؤادى مرتين على الأثر

٥ - الخشوع فى الصلاة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥].

● **هكذا فليكن الخشوع فى الصلاة:**

ورد أن عروة بن الزبير رحمه الله لما خرج من المدينة متوجهًا إلى دمشق ليجتمع بالوليد بن عبد الملك، وقعت الأكلة فى رجله فى واد قرب المدينة، وكان مبدؤها هناك، فظن أنها لا يكون منها ما كان، فذهب فى وجهه ذلك،

فلمًّا وصل إلى دمشق إلا وهى قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له أطباء العارفين بذلك، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه، وربما مَرقت إلى الجسد فأكلته. فطابت نفسه بنشرها، وقالوا له: ألا نسقيك خمراً حتى يذهب عقلك منك فلا تحس بألم النشر؟ فقال: لا والله ما كنت أظن أن أحدًا يشرب شرابًا أو يأكل شيئًا يذهب عقله ولكن إن كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا فى الصلاة، فإننى لا أحس بذلك ولا أشعر به، قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة، من المكان الحى، احتياطًا أنه لا يبقى منها شىء، وهو قائم يصلى، فما تصوَّر ولا اختلج وما تغير لونه وما تحرك جسده وما ترك الصلاة ولا انشغل عنها لحظة واحدة!!!

فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد فى رجله، فقال عروة: اللهم لك الحمد، كان لى أطراف أربعة، فأخذت واحدًا فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت، وإن كنت قد أبليت فلطالما عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت، يا الله قمة الصبر نعم إنه جبل من جبال الصبر وكان معه بعض أولاده منهم ولده محمد، وكان أحبهم إليه، فدخل دار الدواب حجرة الحيوانات، فرفسته فرس فمات، فأتوه فعزوه فيه، فقال: الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحدًا وأبقيت ستة. فلئن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت، ولئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت، فلما قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة، قال فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ولا شكا ذلك إلى أحد حتى دخل وادى القرى، فلمًّا كان فى المكان الذى أصابته فيه قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] فلما دخل المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ويعزونه فى رجله وولده، فبلغه أن بعض الناس قال: إنما أصابه هذا بذنب عظيم أحدثه فأنشد عروة فى ذلك والأبيات لمعن بن أوس:

لعمرك مـا أهويت كفى لريبـة ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى

ولا قادنى سمعى ولا بصـرى لهـا ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى

ولست بماشٍ ما حييت لمنكر — من الأمر من لا يمشى إلى مثله مثلى
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة — وأؤثر ضيفى ما أقام على أهلى
وأعلم أننى لم تصبنى مصيبة — من الدهر إلا قد أصابت فتى مثلى

وفى رواية: اللهم إنه كان لى بنون أربعة فأخذت واحدًا وأبقيت ثلاثة.

وقال مسلمة بن محارب: وقعت فى رجل عروة[1] الأكلة فقطعت ولم يمسكه أحد، ولم يَدَعْ فى تلك الليلة ورْدَه.

وقال الأوزاعى: لما نشرت رجل عروة قال: اللهم إنك تعلم أنى لم أمش بها إلى سوء قط[2].

• العسكرى المصلى الخاشع:

ولا يفوتنا هذا الموقف الإيمانى المدهش لعباد بن بشر رضى الله عنه، ففى جمادى الأولى من السنة الرابعة للهجرة غزا رسول الله ﷺ غزوة ذات الرقاع، وفى مرجع الصحابة من هذه الغزوة، سبوا امرأة من المشركين، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يُهريق ما فى أصحاب محمد ﷺ فجاء ليلاً، وقد أرصد رسول الله ﷺ رجلين ربيئة للمسلمين من العدو، وهما عباد بن بشر، وعمار بن ياسر، فضرب عبادًا وهو قائم يصلى بهم فنزعه، ولم يبطل صلاته حتى رشقه بثلاثة أسهم فلم ينصرف منها حتى سلم، فأيقظ صاحبه، فقال: سبحان الله، هل أنبهتنى؟ فقال: إنى كنت فى سورة، فكرهت أن أقطعها[3].

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أبو عبد الله المدنى تابعى ولد سنة ٢٣ هـ، وتوفى سنة ٩٤هـ، وقيل ٩٠هـ وقيل ١٠٠ هـ، وقيل ١٠١ وقيل غير ذلك.

(٢) البداية والنهاية حوادث سنة ٩٤هـ.

(٣) أخرجه ابن هشام ٢/٢٠٨، ٢٠٩، وأحمد ٣/٣٤٤، ٣٥٩، وأبو داود فى الطهارة باب الوضوء من الدم، والبيهقى فى الدلائل من حديث جابر بن عبد الله، وفى سنده عقيل بن جابر بن عبد الله وثقه ابن حبان، وباقى رجاله ثقات، وصححه ابن خزيمة ٣٦، وابن حبان.

• الخشوع فى الصلاة سر القبول:

دخل ثلاثة أسود على إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يصلى فتقدم إليه أحدهم فشمَّ ثيابه ثم ذهب فربض[1] قريبًا منه وجاء الثانى ففعل مثل ذلك وجاء الثالث ففعل مثل ذلك واستمر إبراهيم فى صلاته، فلما كان وقت السحر قال لهم: إن كنتم أمرتم بشىء فهلموا، وإلا فانصرفوا فانصرفوا[2].

وهذه القصة تدل على كرامة عظيمة لإبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ وأهل السنة والجماعة يثبتون الكرامات للصالحين.

• الخاشع يحترق بيته ولا يدرى:

عن حميد أن مسلم بن يسار كان قائمًا يصلى فى بيته فوقع إلى جنبه حريق فما شعر به حتى طفيت النار[3].

وعن ابن عوف قال: رأيت مسلم بن يسار يصلى كأنه وتد لا يتروح على رجل مرة وعلى رجل مرة ولا يحرك له ثوبًا[4].

وذكر له قلة التفاته فى الصلاة، فقال: وما يدريك أين قلبى؟[5].

• هذه هى الصلاة:

يروى عن حاتم الأصم ـ رضى الله عنه ـ أنه سُئل عن صلاته فقال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجمع جوارحى، ثم أقوم إلى صلاتى، وأجعل الكعبة بين حاجبى، والصراط تحت قدمى، والجنة عن يمينى، والنار عن يسارى (شمالى) وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتى، ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيراً بتحقيقه، وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعًا بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشُّع،

(١) ربض أى قعد.

(٢) البداية والنهاية ص١٤٣ جزء ١٠.

(٣)، (٤)، (٥) طبقات ابن سعد ٧/ ١٣٥.

وأقعد على الورك الأيسر، وأفرش ظهرى قدمها وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص[1].

• الخشوع الذى لا مثيل له:

عن حماد بن جعفر بن زيد أن أباه أخبره قال: خرجنا فى غزو إلى كابل، وفى الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة (صلاة العشاء) وصلوا فصلى ثم اضطجع فقلت لأرمقن عمله فالتمس (طلب) غفل الناس حتى إذا قلت هدأت العيون وثب (قام) فدخل غيضة (غاب) قريبًا منه ودخلت على إثره (بعده) فتوضأ ثم قام يصلى وجاء أسد حتى ناداه (اقترب) منه قال قصدت شجرة قال فتراه لم يلتفت أوعد به جزواً حتى سجد فقلت: الآن يفترسه فلا شىء فجلس ثم سلم ثم قال: أيها السبع اطلب الرزق فى مكان آخر فولى وإن له لزئيرًا تصدع الجبال منه، قال: فما زال كذلك يصلى حتى لما كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ثم قال: اللهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار أومثلى يجترئ أن يسألك الجنة، قال: ثم رجع، فأصبح كأنه بات على الحشايا: وأصبحت وبى من الفترة شىء الله به عليم.

٦ـ الحث على الصدقة

دخل أعرابى على هشام بن عبد الملك فى غمار الناس فشق على هشام حين دخل من غير إذن، فقام الأعرابى فقال: أصابتنا ثلاثة أعوام: فعام أكل الشحم، وعام أكل اللحم، وعام انتقى العظم، وعندكم فضول من أموال فإن كانت لله فقسموها بين عباد الله وإن كانت لعباد الله فبم تحبسها عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا، إن الله يجزى المتصدقين، فقال له هشام:

ما حاجتك؟ قال: ليس لى حاجة.

---

(١) الإحياء ١/ ١٧٩.

فكتب هشام إلى عامله بالمدينة: أنفق على مقحمى المدينة [فقراء المدينة] فدفع مائة ألف دينار.

• جزاء الصدقة:

روى ابن الجوزى بسنده قال حدثنا ثابت: أن امرأة كانت تأكل الطعام فأتاها سائل يسأل ولم يبق من طعامها إلا لقمة فلما رفعتها إلى فمها رأت السائل فأخرجت اللقمة من فيها فأطعمتها السائل، فأتاها الأسد فأخذ صبيًا لها فذهب به، فإذا هى برجل قد أقبل إلى الأسد فأخذ بلحييه (فكيه) فعلقهما حتى استخرج الصبى من فيه (فمه) فسلمه إلى أمه فقال لها: لقمة بلقمة.

• المال يزيد بالإنفاق:

عن أبى العلاء بن عبد الله بن الشخير أن عامراً كان يأخذ عطاءه فيجعله فى طرف رواقه (أى حقيبة) فلا يلقى أحدًا من المساكين إلا أعطاه، فإذا دخل على أهله رمى به فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطيها.

٧ـ الصوم فى الصيف

الصيام أحد أسباب دخول الجنة، لكن الصيام مع شدة العطش فى الحر الشديد أرفع درجة فى الجنة.

فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية فى البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة! قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه فقال أبو موسى:

أخبرنا إن كنت مخبراً قال: إنَّ الله تبارك وتعالى ـ قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له فى يوم صائف سقاه الله يوم العطش[١].

(١) رواه البزار بإسناد حسن إن شاء الله. الترغيب ٢/ ٦١، وصححه الألبانى.

وفى رواية: (إنَّ الله قضى على نفسه أنَّ مَن عطَّش نفسه لله فى يوم حار كان حقًا على الله أن يرويه يوم القيامة)[١].

قال: فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذى يكاد الإنسان ينسلخ فيه حراً فيصومه.

وقال رسول الله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى ربِّ منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفِّعنى فيه، قال: فيشفعان»[٢].

• فضل الصيام:

قل لأهل الذنـــوب والآثام ... قابلوا بالمثاب شهر الصيـام

إنه فى الشهـور شهر جليل ... واجب حقــه وكيد الزمام

وأقلوا الكـلام فيـــه نهاراً ... واقطعـوا ليله بطـول القيام

واطلبوا العفـو من الله العظيم ... ليس يخفى عليـــه فعل الأنام

كم له فيـه إزاحــــة ذنب ... وخطـايا من الذنوب عظـام

كم له فيـه من أياد حسان ... عند عبـد يراه تحت الظلام

كم له فيه من عتيق شهيد ... آمن فى القيام خزى المقـام

إن دعــاه مذلل بخضـــوع ... وخشـــوع ودمعه ذو سجام

أين من يحذر العذاب ويخشى ... أن يصلى الجحيـم مأوى اللئام

أين من يشتهى التذاذًا بحـورٍ ... فى جنات الحـــور بين الخيـام

التمس فيـــه ليلة القـــدر ... التماسًا لهـا لذيذ المنـــام

(١) رواه ابن أبى الدنيا. انظر: الترغيب ٢/ ٦١.

(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله محتج بهم فى الصحيح، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وأجتهـــد فى عبـادة الله أسأل ... فضله عنـــد غفلة النــــوام
يا لها خيبة لمن خـاب فيه ... ساترًا شـره بثـوب الظـلام
يا إله الجميـع أنت بحـالى ... عالم فاهـدنى سبيل القـوام
وأمتنى على اعتقـادٍ جميـلٍ ... واتبـــاع لملـة الإســـلام

٨ـ المجاهدة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال بعضهم: دخلت على فتح الموصلى فرأيته مد كفيه يبكى حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدنوت منه فإذا دموعه قد خالطها صفرة! فقلت: ولم بالله يا فتح بكيت الدم؟

فقال: لولا أنك أحلفتنى بالله ما أخبرتك، نعم بكيت دمًا فقلت له: على ماذا بكيت الدموع؟ فقال: على تخلفى عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صحت لى الدموع.

فرأيته بعد نومه فى المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لى. فقلت له: فماذا صنع فى دموعك؟ فقال: قربنى ربى عَزَّ وَجَلَّ وقال لى: يا فتح الدمع على ماذا؟ قلت: يا رب على تخلفى عن واجب حقك، فقال: والدم على ماذا؟ فقلت: على دموعى أن لا تصح لى، فقال لى: يا فتح ما أردت بهذا كله إلا أنا وعزتى وجلالى لقد صعد حافظك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة.

• المجاهدة فى الطاعة:

قال بعض الصالحين:

بينما أنا أسير فى بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا، وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عالم، فاتبعت الصوت فإذا أنا

بروضة عليها شجر ملتف، وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠].

قال: فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خرَّ مغشيًا عليه، فقلت: وا أسفاه هذا لشقائى ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول: أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض الغافلين، ثم قال: لك خشعت قلوب الخائفين وإليك نزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده فقال: ما لى وللدنيا وما للدنيا وما لى؟ عليك يا دنيا بأبناء جنسك وأُلاف نعيمك إلى محبيك فاذهبى! وإياهم فاخدعى!

ثم قال: أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة فى التراب يبلون وعلى الزمان يفنون، فناديته: يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك! فقال: وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه؟ وبقيت آثامه؟

ثم قال: أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها، ثم لهى عنى ساعة وقرأ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخرَّ مغشيًا عليه! فقلت: قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب، ثم أفاق وهو يقول: من أنا؟ ما خطرى؟ هب لى إساءتى من فضلك! وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك، إذا وقفت بين يديك! فقلت له بالذى ترجوه لنفسك وتثق به إلا كلمتنى فقال: عليك بكلام من ينفعك كلامه، ودع كلام من أوبقته ذنوبه، إنى لفى هذا الموضع منذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدنى فلم يجد عونًا علىَّ ليخرجنى مما أنا فيه غيرك؟ فإليك عنى يا مخدوع فقد عطلت علىَّ لسانى وميلت إلى حديثك شعبة من قلبك وأنا أعوذ بالله من شرك، ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل علىَّ برحمته، قال: فقلت هذا ولى الله أخاف أن أشغله فأعاقب فى موضعى هذا! فانصرفت وتركته.

٩- التهجد

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ [١] هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٥- ١٨].

قال أبو سليمان الدارانى: بينما أنا ساجد إذ ذهب بى النوم فإذا أنا بها (يعنى الحوراء) قد ركضتنى برجلها فقالت: حبيبى أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم؟

بؤسًا لعين آثرت لذة النوم على لذة مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ ولقى المحبون بعضهم بعضًا فما هذا الرقاد؟

حبيبى وقرة عينى، أترقد عيناك وأنا أربى لك فى الخدور منذ كذا وكذا، فوثبت (قمت) فزعًا وقد عرقت استحياء من توبيخها إياى، وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وقلبى.

حلاوة منطقها: حلاوة نطقها.

• طول التهجد يورث لذة العبادة:

ولذة العبادة تثمر إدمان قيام الليل، ولذة العبادة أفضل من كل لذة.

يقول هشام بن حسان: كنت أصلى أنا ومنصور بن زاذان، وكان يختم القرآن ما بين الظهر والعصر ويختم ما بين المغرب والعشاء وكان يقوم إلى عمود فيصلى فيختم القرآن وكان يبكى ويمسح بعمامته عينه فلا يزال يبلها كلها بدموعه ثم يلفها ويضعها بين يديه[٢].

---

(١) السحر: السدس الأخير من الليل.

(٢) حلية الأولياء ج٣/٥٧، وصفة الصفوة ٢/٥٠١، ٥٠٢.

١٠ـ صلاة الجماعة

عن عبيد الله بن عمر القواريرى رضى الله عنه قال: لم تكن تفوتنى صلاة العشاء فى الجماعة قط فنزل بى ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتنى صلاة العشاء فى الجماعة فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد فرجعت إلى بيتى وقلت: قد ورد فى الحديث: إن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة فصليت العشاء سبعًا وعشرين مرة ثم نمت فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل وأنا أيضًا على فرسى ونحن نستبق وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم فالتفت إلى أحدهم فقال لى: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا قلت ولم؟ قال: لأنا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك. قال: فانتبهت وأنا مهموم حزين.

• عقاب تأخير الصلاة والنميمة:

قال عمرو بن دينار: كان رجل من أهل المدينة له أخت فى باحة المدينة، فهلكت وأتى السوق يجهزها ولقيته رجل، معه كيس فيه دنانير فجعلته فى حجرته فلما دفنها ورجع إلى منزله ذكر الكيس فى القبر فاستعان برجل من أصحابه، فنبش فوجد الكيس ، فقال الرجل لصاحبه، تنح حتى أرفع ما على اللحد وإذا القبر يشتعل نارًا فرده ودعا الرجل فسوى معه القبر، ثم رجع إلى أمه فقال: أخبرينى ما حال أختى؟ قالت: وما تسأل عنها؟!

الشر قد مات قال: أخيبتنى قالت: كانت أختك تؤخر الصلاة عن وقتها وتأتى أبواب الجيران إذا ناموا فتلقم أذنها أبوابهم فتخرج حديثهم.

• امرأة تؤخر الصلاة عن وقتها:

عن بعض السلف: أنه أتى أختًا له ماتت فسقط منه كيس فيه مال فى قبرها فلم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما

انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارًا فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكيًا حزينًا فقال: يا أماه أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل؟

قالت: وما سؤالك عنها؟

قال: يا أمى رأيت قبرها يشتعل عليها نارًا.

قال: فبكيت وقالت: يا ولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فما بالكم بمن لا يصلى؟

١١ـ شاب نشأ فى عبادة ربه

قال أبو الجوال المغربى:

كنت ببيت المقدس جالسًا مع رجل صالح، وإذا قد طلع علينا شاب والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة، ويقولون مجنون. فدخل الشاب المسجد وهو ينادى: اللهم أرحنى من هذه الدار فقلت له: هذا كلام حكيم فمن أين لك هذا؟ فقال: من أخلص له فى الخدمة أورثه طرائف الحكمة، وأيَّده بأسباب العصمة، وليس بى جنون وَوَلَق بل قلق وفَرق[1] ثمَّ جعل يقول:

هجرت الورى فى حب من جاد بالنعم
وعففت الكرى شوقًا إليه فلم أنم
وموهت دهرى بالجنون عن الورى
لأكتم ما بى من هواه فما انكتم
فلمـا رأيت الشوق والحب بائحًا
كشفت قناعى ثمَّ قلت: نعم نعم

---

(١) فرق: خوف.

فإن قيل: مجنون فقد جننى الهوى

وإن قيل مسقام فما بى من سَقم

وحق الهوى والحب والعهد بيننا

وحرمة روح الأنس فى حندس الظلم

لقد لامنى الواشون فيك جهالة

فقلت لطرفى: أفَصِح العذر فاحتشم

فعاتبهم طرفى بغير تكلم

وأخبرهم أنَّ الهوى يورث السقم

فبالحلم يا ذا المن لا تبعدنى

وقرِّب مزارى منك يا بارئ النسم

فقلت له: أحسنت لقد غلط مَن سماك مجنونًا، فنظر إلىَّ وبكى وقال: أوَلا تسألنى عن القوم كيف وصلوا فاتصلوا؟

فقلت: بلى أخبرنى، فقال: طهَّروا له الأخلاق ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا من محبته فى الآفاق، وائتزروا بالصدق، وارتَدوا بالإشفاق، وباعوا العاجل الفانى بالآجل الباقى، وركضوا فى ميدان السِّباق، وشمَّروا تشمير الجهابذة الحُذَّاق، حتى اتصلوا بالواحد الرزَّاق، فشردَّهم فى الشواهق، وغيَّبهم عن الخلائق، لا تؤويهم دار ولا يقرهم قرار، فالنظر إليهم اعتبار، ومحبتهم افتخار، وهم صفوة أبرار، ورُهبان أخيار، مدحهم الجبار، ووصفهم النبى المختار، إن حضروا لم يُعرفوا، وإن غابوا لم يُفتقدوا، وإن ماتوا لم يُشهدوا ثم أنشأ يقول:

كن من جميع الخلق مستوحشًا ... من الورى تسرى إلى الحق

واصبر فبالصبر تنال المُنى ... وارض بما يجرى من الرزق

واحـــذر من النطق وآفاته فآفـــة المـؤمـن فى النطق
وجُـــد فى السير ممرًا كما شمَّر أهـل السبق للسبـق
أولئك الصفـــوة ممَّن سما وخيـــرة الله مـن الخلـــق

قال: فأنسيت الدنيا عن حديثه، ثمَّ ولَّى هاربًا فأنا متأسف عليه[1].

● **الشاب العابد المجاهد:**

معنا الآن بطل من طراز فريد قلَّ أن يجود الدهر بمثلهم.

قال ميسرة الخادم:

غزونا فى بعض الغزوات فصادفنا العدو، فإذا بفتًى إلى جانبى مُقنَّع فى الحديد، فحمل على الميمنة حتى ثناها، وحمل على الميسرة حتى ثناها، وحمل على القلب حتى ثناه ما ترك شاردة ولا واردة إلا أخذها.

ثمَّ أنشأ يقول:

أحسن بمولاك سعيد ظنًا هـذا الذى كنت له تمنى
تنحى يا حور الجنان عنا مـا لك قاتلنـا ولا قَتلنا
لكن إلى سيـــدنا اشتقنا قد علم السر ومـا أعلنا

قال: فحمل فقاتل فقتل منهم عددًا، ثمَّ رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو، فإذا به قد حمل على الناس وأنشأ يقول:

قد كنت أرجو ورجـائى لم يخب أن لا يضيـع اليوم الكرى والتعب
يا مَن ملأ تلك القصـــور باللعب لولاك ما طابت ولا طاب الطرب

فحمل فقتل منهم عددًا، ثمَّ رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة، وأنشأ يقول:

يـا لعبـة الخلد قفى ثمَّ اسمعى مـــا لك قاتلنـــا فكفى وأربعى

---

(١) صفة الصفوة / ٨٤٢، ٨٤٣ رقم ٧٨١.

ثم ارجعي إلى الجنان فأسرعي لا تطمعي، لا تطمعي، لا تطمعي

قال: فحمل على القوم فقاتل حتى قتل[١].

ما أعظمها من شهادة، وما أفضله وأحلاه من شهيد، ومما ينبغي التعليق عليه هنا: أن قوله تنحي يا حور الجنان عنا، أنه لا يريد الحور العين ولا يسأل الله الجنة، وإنما غلب على قلبه الشوق إلى ربه ـ تعالى ـ فنسي كل شيء دونه، وإلا فإن طلب الجنة من مقامات النبيين ومنازل المرسلين قال إبراهيم ﷺ: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥].

• هكذا فليكن الشباب:

رأى بعض السلف في بعض الجبال شابًا أصفر اللون غائر العينين، مرتعش الأعضاء لا يستقر على الأرض كأن به وخز الأسنة ودموعه تنحدر فقلت له: من أنت؟ قال: آبق[٢] من مولاه قلت: فتعود وتعتذر فقال: أغدر يحتاج إلى إقامة حجة فكيف يعتذر المقصر؟ فقلت: تتعلق بمن يشفع فيك. فقال: كل الشفعاء يخافون منه.

فقلت : فمن هو؟

قال: مولاي رباني صغيراً فعصيته كبيراً، شرط لي فوفاني، وضمن لي فأعطاني، وعصيته وهو يراني، ويا حيائي من حسن صنعه وقبيح فعلي. فقلت: أين هو؟ فقال: أينما توجهت لقيت أعوانه، وأينما استقرت قدمك ففي داره، فقلت: ارفق بنفسك فربما أحرقك هذا الخوف فقال: الحريق بنار خوفه ـ لعله يرضى ـ أحق وأولى ثم أنشأ يقول:

لم يبق خوفك لي دمعًا ولا جَلَدًا
لا شك أني بهذا ميت كمدا

---

(١) صفة الصفوة ٢/٩٣٨، ٩٣٩.

(٢) عاص.

عبـــد كئيب أتى بالعجز معترفًا
وناره تحـــرق الأحشـاء والكبـــد
ضاقت مساكنه فى الأرض من وجل
فهب له منك لطفًا إن لقيك غدا

فقلت يا غلام الأمر أسهل مما تظن فقال: هذا من (فتنة) المضلين البطالين هبه تجاوز وعفا أين آثار الإخلاص والصفاء؟ ثم صاح صيحة فخرجت عجوز من كهف الجبل عليها ثياب رثة فقالت: من أعان على البئس الجيران؟

فقلت: يا أمة الإسلام دعوته إلى الرجاء؟

فقالت: قد دعوته إلى ذلك.

فقال: الرجاء بلا صفاء شرك.

قلت: من أنت منه؟ قالت: والدته.

قلت: أُقيم عندك أُعينك عليه؟ فقالت: خلِّه ذليلاً بين يدى قاتله عساه أن يراه بعين معين فيرحمه، فلم أدر بماذا أعجب؟ من صدق الغلام من خوفه أو من صدق العجوز[1].

● محنة الشباب:

عبـدٌ سرى فى ليلة ظلمـــاء ... هربًا بتقـــواه من الفحشـــاءِ
هربًا من الفتنِ التى أحاطت به ... من فتنـــةِ السَّرَّاء والضـراءِ
عبـــد فتى فى مُسْتَهل شبابهِ ... عرف الهـدى وطريقـه بصفـاءِ
قـــرأ القـــرآن تفهمًا وتدبُّرًا ... كـذا اهتـدى إلى السنة الغـراءِ
ورأى حيـاة الصـالحين سعيـدة ... بالخير فى الإصبـــاح والإمساءِ
فتشوقت نحـو السعـادة نفسه ... وغـدا يُهدهـد شوقـه بخفـاءِ

(١) صفة الصفوة ٤/٣٦٧، ٣٦٨.

حتى إذا التزم الهدى بعزيمة ... لله خالصة من الأهواء
نادت به فتنُ الضلالةِ جهرةً ... ودعته بالتزيين والإغراء
وتزينتْ دنياهُ فى أثوابها ... بمباسم ونواظر كَحلاء
وغدت تغرُّ الناسَ فى إغوائها ... حتى أضلَّت أكثرَ الدَّهماء
ونشأ بمجتمع به اختلط الهدى ... بقوى الردى والنور بالظلماء
والناس تأخذ منه ما يُرضى الهوى ... فإذا تعارض فهو فى إقصاء
إن جئت بالحق الصريح تقيمهُ ... وصدعتَ فيه بسُنَّة بيضاء
لم يعرفوها قبل زمان جهلهم ... أو لم ترد بوصيةِ الآباء
قامت قيامتهم وروُّع جمعهم ... ورأوك مُبتدعًا وذا إغواء
أتريدُ تبديلاً لدين شيوخنا ... وطريقة العظماء والوجهاء؟
ومتى عرفت هدى النبى ودينه؟ ... بالأمس كنت فتًى مع الجُهلاءِ!
فإذا أقمت عليهم حُجج الهُدى ... ودمغت باطلهم بدونِ خفاء
قالوا هذاك منفِّر ومُشدّد ... وإذا به استمسكت أنت مرائى!
لما أتاهم بالهُدى هذا الفتى ... نفروا نفور الحمق والحمقاء
واستهزءوا بسلوكه وبدينه ... وعن الهدى فتنوهُ بالإيذاء
وإن رأوه يلبِّى أو طمعوا بأن ... يصغى لهم فتنوه بالأغواء
فتنٌ على درب الهُدى تُغرى الفتى ... وآخرهنَّ لفتنة السَّراء
فتضايقت أخلاقه من حاله ... كتضايق الإيمان فى الأهواء
ووجد الدراسة حيثُ كان قوامها ... أخلاط سوء شاع فى الجلساء
بذل النصيحة جهرة وخفية ... لذويه والأصحاب والزملاء
لا سيما فى أهله وقرابة ... جهلاً فناداهم بلطف نداء

لكنهم لم يسمعوا قول الهُدى ... لما أتى من أصغر الأبناء
بل حاربوهُ بكلِّ أمر مُنْكَر ... ورموه بالتعقيد والإعياء
لم ينقموا منه سوى أنَّه قالها ... الله ربى جهرتى وخفائى
وأتاه ضيق بعد ضيقٍ فالتجا ... يشكو إلى المولى عظيم بلاء
ويقول يا رباهُ عبدك مؤمنٌ ... إنى لأخشى فتنة الدهماء
إنى أخاف من الضلال وإننى ... أدعوك فاقبلنى وضعف دعائى
أنقذ غريقًا فى الدُّجى قد راعه ... موج يهيج ووحشةُ الظلماء
الموج عاصفة الضلال ظلامه ... إنَّ الهدى متلبِّس بخفاء
كيف المقام وكيف لى أن أكتم الـ ... ـحق الصريح لرهبة ورجاء
وبيانه لا بد فيه من سلاح ... العلم أفلق حجة الجهلاء
أعنى بذاك أولى الحديث وحزبه ... العاملين بهديهِ الوضَّاء
هذى حكاية حال أصحاب الهدى ... فى غمرة الإغراء والإغواء
يا رب فاحفظهم وثبِّتهم على ... نصر الهدى والسنة البيضاء
وارزقهم حياءً ببصيرة ... وارزقهم صبرًا على الأحياء
واجعل لنا فيها نصيبًا وافرًا ... يا رب وانصرنا على الأعداء
أعداء سنة أحمد من بدّلوا ... كدرًا هُدى المختار بعد صفاء
يا رب واجعلنا من الناجين ... إن عاقبتهم بزعازع النكباء
يا رب إحدى الحسنيين وعدتنا ... يا رب واحشرنى مع السعداء

* * *

١٢ـ الصدق مع الله

من أسباب دخول الجنة صدق النية.

خرجت جماعة من اللصوص ذات ليلة تقطع الطريق على قافلة أتاهم خبرها فلما جدُّوا فى السعى للقائها وتوغل الليل ولم يعد لهم من جهد أو وسيلة لتبينها فهى لا شك قد حطت رحالها حتى الصباح حيث لم يستطع اللصوص تبيُّن مكانها ووجدوا عن بعد منزلاً مهدمًا به أثرة من نار فذهبوا إليه وطرقوا الباب وقالوا: نحن جماعة من الغزاة المجاهدين فى سبيل الله أظلم علينا الليل ونريد أن نبيت فى ضيافتكم وأحسن الرجل استقبالهم وأفرد لهم غرفته وقام على خدمتهم وقدم لهم أكل أهل بيته وكان للرجل ولد مقعد قد شَلَّه المرض عن الحركة.

وفى الصباح خرج اللصوص وقام الرجل وأخذ الوعاء الذى كان فيه فضل مياههم وباقى اغتسالهم وقال لزوجته: امسحى لولدنا بهذا الماء أعضاءه فلعله يشفى كرامة لهؤلاء الغزاة المجاهدين فى سبيل الله فهذا الماء باقى وضوئهم واغتسالهم، وفعلت الأم ذلك.

وفى المساء رجع اللصوص إلى دار الرجل وقد غنموا وسرقوا وانتهبوا ليقضوا ليلتهم فى خفية عن أعين قد تكون تترصدهم ووجدوا الولد المقعد يمشى سويًا! فقالوا لصاحب الدار وقد تعجبوا واندهشوا: أهذا الولد الذى رأيناه بالأمس وفى الصباح مقعدًا؟! قال الرجل: نعم، فلقد أخذت فضل مائكم وبقية وضوئكم ومسحته به فشفاه الله كرامة لكم.. ألستم غزاة مجاهدين من أهل طاعة الله؟!!

فأخذوا فى البكاء والنشيج وقالوا له: أيها الرجل اعلم أننا لسنا غزاة وإنما نحن لصوص قطاع طريق، غير أن الله قد عافى ولدك بحسن نيتك ولقد تبنا إلى الله توبة نصوحًا.

وخرجوا يوزعون المال على الفقراء والمحتاجين وتحللوا من الذنب وتحرروا من الكذب وتقدموا إلى جيش المسلمين يلتحقون به ليكونوا فعلاً - كما كذبوا أولاً - غزاة مجاهدين فى سبيل الله.

١٣ـ الصبر على البلاء

عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليودن أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قُرِضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء»[(١)].

• جبل الصبر:

قال المدائنى: رأيت بالبادية امرأة لم أر جلدًا أنضر منها، ولا أحسن وجهًا منها.

فقلت: تالله.. إن هذا الجمال يؤدى إلى الاعتدال والسرور.

فقالت: كلا والله، إن بى أحزان وخلفى هموم وسأخبرك.

كان لى زوج، وكان لى منه ابنان فذبح أبوهما شاة فى يوم العيد الأكبر والصبيَّان يلعبان.

فقال الأكبر للأصغر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة فقال: نعم فذبحه، فلما نظر إلى الدم لم يصدق فجزع وجرى نحو الجبل، فأكله الذئب، فخرج أبوه فى طلبه، فتاه أبوه، فمات عطشًا فأصبحت وحيدة لا أحد معى. فقلت: وكيف أنت والصبر؟

فقالت: لو دام لى لدمت له، ولكنه كان جرحًا فاندمل[(٢)]. [(٣)]

---

(١) حسن: أخرجه الترمذى ٤/ ٢٤٠٢ وقال: غريب، وحسنه السيوطى، والألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٥٤٨٤، والصحيحة ٢٢٠٦.

(٢) أى من قمة صبرها نسيت ما كان ولم تجزع أبدًا.

(٣) الكبائر للذهبى ص٢١٠.

١٤ـ عدم الغضب إلا لله ـ في الحق ـ

عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ أوصاه فقال: «لا تغضب ولك الجنة»[١].

لأن الحلم سيد الأخلاق، والسلامة من سرعة الغضب سلامة من النار، وإمضاء الغضب كفيل بإمضاء غضب الله تعالى على عبده.

١٥ـ الهين السهل اللين فى أموره كلها

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «حُرِّم على النار كل هيِّن ليِّن، سهل، قريب من الناس»[٢].

١٦ـ رقة القلب

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير»[٣].

١٧ـ الشوق إلى الله

كانت شعوانة رحمها الله تدعو فتقول:

إلهى ما أشوقنى إلى لقائك، وأعظم جزائى لجزائك، وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين.

---

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى فى الكبير كما فى المجمع ١/ ٧٠، وابن أبى الدنيا ٣/ ٧٧١٠ كما فى الكنز، والطبرانى فى الأوسط رقم ٢٣٧٤ وأبو يعلى فى مسنده ٣/ ١٥٩٣، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٧٣٧٤.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد، والطبرانى فى الأوسط، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٣١٣٥، والصحيحة رقم ٩٣٨.

(٣) أخرجه مسلم ٤/ ٢٨٤٠، وأحمد ٢/ ٣٣١.

إلهى، إن كان دنا أجلى ولم يُقرِّبنى منك عملى، وقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى، فإن عفوت فمَن أولى منك بذلك؟! وإن عدلت فمن أعدل منك هنالك؟!

إلهى، قد جرت على نفسى بالنظر لها، وبقى لها حسن نظرك.

• قلوب المشتاقين:

يقول أحد الصالحين:

بينما أنا سائر فى جبل اللكام مررت على وادٍ كثير الأشجار والنبات، فبينما أنا واقف أتعجب من حسن زهرته ومن خضرة العشب فى جنباته إذ سمعت صوتًا أهطل مدامعى وهيج بلابل حزنى فاتبعت الصوت حتى وقفنى بباب مغارة فى سفح ذلك الوادى، فإذا الكلام يخرج من جوف المغارة فاطلعت فيه فإذا أنا برجل من أهل التعبد والاجتهاد فسمعته يقول:

سبحان من أخرج قلوب المشتاقين فى رياض الطاعة بين يديه، سبحان مَن أوصل الفهم إلى عقول ذوى البصائر فهى لا تعتمد إلا عليه، سبحان مَن أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة فهى لا تحن إلا إليه، ثمَّ أمسك.

فقلت: السلام عليك يا حليف الأحزان وقَرين الأشجان.

فقال: وعليك السلام، ما الذى أوصلك إلى مَن قد أفرده خوف المسألة عن الأنام، واشتغل بمحاسبة نفسه من التنطع فى الكلام؟

قلت: أوصلنى إليك الرغبة فى التصفح والاعتبار.

قال: يا فتى، إن لله عَزَّ وَجَلَّ عبادًا قدح فى قلوبهم زند الشغف نار الومق فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح فى الملكوت، وتنظر ما ذُخر لهم فى حُجُب الجبروت.

قلت: صفهم لى.

قال: أولئك قوم آواهم إلى كنف رحمته.

ثمَّ قال: يا سيدى بهم فألحقنى، ولأعمالهم فوفقنى.

قلت: ألا توصينى بوصية؟

قال: أحب الله عَزَّ وَجَلَّ شوقًا إلى لقائه فإنَّ له يومًا يتجلى فيه لأوليائه، وأنشأ يقول:

قد كان لى دمع فأفنيته وكـان لى جفن فأدميته
وكـان لى جسم فأبليته وكـان لى قلب فأضنيته
وكـان لى سيدى ناظر أرى به الجـو فأعميته
عبدك أضحى سيدى موثقًا لو شئت قبل اليوم داويته[1]

١٨ ـ مجلس الذكر

عن سهل بن الحنظلية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يُقال لهم قد غفر الله لكم ذنوبكم وبُدِّلت سيئاتكم حسنات»[2].

• فضل مجالس الذكر (العلم والقرآن):

قال عمّار الراهب: رأيت مسكينة الطفاوية فى منامى، وكانت من المواظبات على حلق الذِّكْر، فقلت: مرحبًا يا مسكينة مرحبًا.. فقالت: هيهات يا عمار ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر.

قلت: هيه. قالت: ما تسأل عمّن أبيح الجنة بحذافيرها يُظل منها حيث يشاء.

قلت: وبم ذلك يرحمكِ الله؟ قالت: بمجالس الذكر والصبر على الحق.

(١) صفة الصفوة ٢/٨٩٣، ٨٩٤.

(٢) صحيح: أخرجه الطبرانى فى الكبير ٦/٦٠٣٩، والبيهقى فى شعب الإيمان ٦٩٥، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٥٦١٠، والصحيحة ٢٢١٠.

قال: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأُبُلَّة تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة.

قال عمار: قلت: يا مسكينة ما فعل عيسى؟ فضجَّت ثم قالت: كُسِى حلَّة البهاء، وطافت بأباريق حوله الخُدَّام ثمَّ حُلِّى، وقيل: يا قارئ ارق فلعمرى لقد بَرأكَ الصيام[1].

• الشيخ الصغير يضحك الجميع:

كان سفيان بن عيينة رحمه الله يلقى درسًا فى الحديث فدخل طفل صغير ـ أثناء إلقاء الشيخ الدرس ـ ومعه ورق ومحبرة فلما رأى الحاضر من التلاميذ الطفل الصغير ضحكوا، وأخذوا جميعًا فى الضحك حتى ضج المجلس بالضحك فقال سفيان لهم:

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤] ثم التفت إلى أحمد بن النضر ـ راوى الحكاية عن أبيه ـ وقال:

يا نضر لو رأيتنى:

وطولى خمسة أشبار وجهى كالدينار

وأنا كشعلة نار

أكمامى قصار وذيلى بمقدار

ونعلى كآذان الفار

أختلف إلى علماء الأمصار كالزهرى وعمرو بن دينار

أجلس بينهم كالمسمار

محبرتى كالجوزة ومقلمتى كالموزة

وقلمى كاللوزة

(١) صفة الصفوة ٤/٤٢، ٤٣.

فإذا دخلت قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير فأخذ الشيخ فى الضحك، وأخذ أحمد بن النضر فى الضحك، وأخذ التلاميذ فى الضحك، وضحك كلٌ رواة الحكاية حتى ضحك راويها الحافظ أبو طاهر السِّلفى .

وهذا الحديث أو الخبر يسمى المسلسل بالضحك، ومعناه أن كل الرواة يفعلون فعلاً يكرره جميع الرواة.

١٩ ـ قراءة القرآن والعمل به

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بمائة آية فى ليلة كُتب له قنوت ليلة»[١].

• قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[٢].

• أعجب قصة لأهل القرآن:

حبيبى فى الله:

أعرض الآن عليك قصة بطل من أبطال القرآن الكريم، قصة أحد القراء العشرة أصحاب القراءات القرآنية العشرة. .

يقول سليم بن عيسى:

دخلت على حمزة بن حبيب الزيات فوجدته يمرغ خديه فى الأرض ويبكى فقلت: أعيذك بالله، فقال: لماذا استعذت؟

رأيت البارحة فى منامى كأنَّ القيامة قد قامت، وقد دُعى بقُرَّاء القُرآن فكنت

---

(١) صحيح: أخرجه النسائى فى سننه (٦/ ١٠٥٥٣ ـ الكبرى)، وأحمد فى المسند ٤/ ١٠٣، والدارمى فى سننه ٢/ ٣٤٥٠، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٦٤٦٨، والصحيحة ٦٤٤.

(٢) صحيح: أخرجه النسائى فى الكبرى ٦/ ٩٩٢٨، والطبرانى فى الكبير ٨/ ٧٥٣٢، وصححه الألباني فى صحيح الجامع ٢/ ٤٦٤، والصحيحة ٩٧٢.

فيمن حضر فسمعت قائلاً يقول بكلام عَذْب: لا يدخل علىَّ إلا من عمل بالقُرآن، فرجعت القهقرى فهتف باسمى أين حمزة بن حبيب الزيات؟

فقلت: لبيك داعى الله.

فبدرنى مَلَك فقال: قل: لبيك اللهمَّ.

فقلت: لبيك كما قال لى فأدخلنى داراً فسمعت فيها ضجيج القرآن فوقفت أرعدُ فسمعت قائلاً يقول: لا بأس عليك ارقَ واقرأ فأدرت وجهى فإذا أنا بمنبر من دُر أبيض، دفتاه من ياقوت أصفر، مراقيه من زبرجد أخضر فقال لى: ارق واقرأ فرقيت.

فقال لى: اقرأ سورة الأنعام، فقرأت وأنا لا أدرى على مَن أقرأ، حتى بلغت الستين، فلما بلغت ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨].

قال لى: يا حمزة ألست القاهر فوق عبادى؟

فقلت: بلى.

قال: صدقت، اقرأ، فقرأت حتى ختمتها ثمَّ قال لى: اقرأ فقرأت الأعراف حتى بلغت آخرها، فأومأت إلى الأرض بالسجود.

فقال لى: حسبك ما مضى لا تسجد يا حمزة. مَن أقرأك هذه القراءة؟

فقلت: سليمان.

قال: صدقت من أقرأ سليمان؟

قلت: يحيى.

قال: صدق يحيى. على من قرأ يحيى؟

فقلت: على أبى عبد الرحمن السلمى.

قال: صدق أبو عبد الرحمن السلمى، من أقرأ أبا عبد الرحمن؟

فقلت: ابن عم نبيك على.

فقال: صدق عليّ، فمن أقرأ عليًا؟

قلت: نبيك محمد ﷺ قال: ومَن أقرأ نبيى؟

قال: قلت: جبريل ـ عليه السلام ـ.

قال: ومن أقرأ جبريل؟

قال: فسكت، فقال لى: يا حمزة قل: أنت قال: فقلت: ما أجسر أن أقول، فقال: فقلت: أنت.

قال: صدقت يا حمزة وحق القرآن لأكرمن أهل القرآن لا سيما إذا عملوا بالقرآن.

يا حمزة القرآن كلامى، وما أحب أحداً كحُبى أهل القرآن، ادن يا حمزة فدنوت فضمخنى بالغالية[1] وقال: ليس أفعل بك وحدك، قد فعلت ذاك بنظرائك ممَّن فوقك وممَّن دونك ممن أقرأ القرآن كما أقرأته لم يرد بذلك غيرى..

وما خبأت لك يا حمزة عندى أكثر، فأعلم أصحابك بمكانى من حبى لأهل القرآن، وفعلى بهم فهم المصطفون الأخيار، يا حمزة وعزتى وجلالى لا أعذب لسانًا تلا القرآن بالنار، ولا قلبًا وعاه، ولا أذنًا سمعته، ولا عينًا نظرته.

فقلت: سبحانك سبحانك.

فقال: يا حمزة أين نُظَّار المصاحف؟

فقلت: يا ربى أفحفَّاظ هم؟

قال: لا، ولكنى أحفظه لهم حتى يوم القيامة، فإذا لقونى رفعت لهم بكل آية درجة.

إلى هنا تنتهى القصة

ثمَّ قال حمزة لسليم: أفتلومنى أن أبكى وأتمرغ فى التراب[2].

---

(١) أى وضع عليه الطيب، والغالية: موضع الطيب.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٥٧٤، ٥٧٥ رقم ٤٤٧.

• يجلس بين الرسول وصاحبيه:

وهذا رجل من أهل القرآن الواعين العاملين.

قال: رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النوم، ومعه أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ فجئت إليهم فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أوسعوا له فإنه حافظ لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ[١].

٢٠ ـ البكاء من خشية الله

وتأمل هذا العبد البكَّاء منصور بن زاذان، يقول عنه أحد جيرانه: رأيت منصوراً توضأ يومًا فلما فرغ دمعت عيناه، ثمَّ جعل يبكى حتى ارتفع صوته، فقلت: رحمك الله ما شأنك؟ فقال: وأى شىء أعظم من شأنى؟ إنى أريد أن أقوم بين يدى من لا تأخذه سنة ولا نوم، فلعله أن يُعرِض عنى.

قال: فأبكانى والله بقوله[٢].

• العابد القاتل:

وهذا بطل من أبطال البكاء من خشية الله تنادى عليه أمه فتقول:

يا بنى يا ربيع، ألا تنام، فيقول: يا أماه مَن جَنَّ عليه الليل، وهو يخاف البيات حق له أن لا ينام، قال: فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسَّهر نادته فقالت: يا بنى لعلَّك قتلت قتيلاً؟ فقال: نعم يا والدتى قتلت قتيلاً، فقالت: من هذا القتيل يا بُنى نتحمل على أهله فيعفوك والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك، يقول: يا والدتى هى نفسى[٣].

(١) صفة الصفوة (ترجمة شعيب بن حرب ٢/ ٥٠٠)، وانظر التاريخ الكبير ٤/ ٢٢٢، والجرح والتعديل ٤/ ٣٤٢، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥١١، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٧٥، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٣٩.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٥٠٢.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٠٥، وصفة الصفوة ٢/ ٥٢٨.

• صراخ الناس:

الخوف من الله تعالى قطَّع قلوب العارفين فلا تراهم إلا والهين باكين

وهذا أحد أبطال العبادة والبكاء يحكى لنا سعيد بن ثعلبة الورّاق قصته فيقول:

بينا أنا ذات ليلة مع رجل من العابدين على الساحل بسيراف، فأخذ فى البكاء، فلم يزل حتى خفنا طلوع الفجر، ولم يتكلم بشىء، ثمَّ قال: جرمى عظيم، وعفوك كثير، فاجمع بين جرمى وعفوك يا كريم.

قال: فتصارخ الناس من كل ناحية[١].

• يوم القيامة ورثنى دموعًا غزارًا:

وعن سفيان بن عيينة قال: كان أمية رجلاً من أهل الشام يقوم فيصلى هناك مما يلى باب بنى سهم، فينتحب ويبكى حتى يعلو صوته، وحتى تسيل دموعه على الحصى.

قال: فأرسل إليه الأمير، إنك تُفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك، فلو أمسكت قليلاً، فبكى ثمَّ قال: إنَّ حزن يوم القيامة ورَّثنى دموعًا غزارًا، فأنا أستريح إلى ذريها أحيانًا، وكان أمية يقول: ألا إن المطيع لله مَلِكٌ فى الدنيا والآخرة، وكان يدخل فى الطواف فيأخذ فى البكاء والنحيب وربما سقط مغشيًا عليه[٢].

ورد أن الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبى محمد الواسطى ـ وكان من الصالحين الكبار ـ وكان هذا الرجل ليس له شىء ولا يقبل من أحد شيئًا، إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه وكان يجلس فى مجلس وعظه الألوف من الناس ـ أنشد نور الدين محمود زنكى أبياتًا فيها تخويف وتحذير

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٩١٠.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٨٢٨ رقم ٧٥٦.

شديد له:

مثل لنفسك أيهـــا المغـــرور يوم القيامـــة والسمـــاء تمـــور
إن قيـل نور الدين رُحـت مُسَلَمًا فاحـذر بأن تبقى ومَا لك نورُ
أنهيتَ عن شرب الخمور وأنت فى كأس المظـالم طـائش مخمـورُ
عطّلـت كـاسات المـدام تعففًا وعليـك كاسـات الحرام تدورُ
مـاذا تقـول إذا نقلـت إلى البلى فردًا وجـــاءك منكـر ونكيرُ؟
ماذا تقـول إذا وقفـت بموقف فردًا ذليلاً والحســاب عسيرُ؟
وتعلَّقت فيك الخصـوم وأنت فى يوم الحســاب مسلسلٌ مجرورُ
وتفرقـت عنـك الجنـود وأنت فى ضيـق القبـور موسَّد مقبـورُ
ووددت أنك مـــا وُليتَ ولاية يومًا ولا قـــال الأنام أميرُ
وبقيـت بعـــد العز رهن حفيرةٍ فى عـالم الموتى وأنـت حقيرُ
وحُشِـرت عـريانًا حـزينًا باكيًا قلقًا ومــا لك فى الأنام مجيرُ
أرضيتَ أن تحيـا وقلبك دارس عافى الخراب وجسمك المعمـورُ
أرضيـت أن يحظى سـواك بقـربهِ أبدًا وأنت معـذَّب مهجـــورُ
مهِّـد لنفسك حجـة تنج بها يوم المعـاد ويوم تبدو العـورُ

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاءً شديدًا وأمر بوضع المكوس والضرائب فى سائر البلاد[1].

* * *

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٣٠١، ٣٠٢.

٢١ ـ الموت على عمل صالح

كل من مات على عمل صالح يُرجى له دخول الجنة، فمن مات على شيء بُعث عليه.

عن حذيفة رضى الله عنه قال: أسندت النبى ﷺ إلى صدرى فقال: «من قال: لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة».

رواه أحمد بإسناد لا بأس به، والأصبهانى ولفظه: «يا حذيفة من خُتم له بصيام يوم يريد به وجه الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أدخله الله الجنة».

٢٢ ـ العلم بلا إله إلا الله

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار».

المقصود بهذا الحديث أن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله عاملاً بشروطها ومقتضياتها من العلم واليقين والانقياد والقبول والإخلاص والحب والصدق[1].

٢٣ ـ اتباع الكتاب والسنة

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٢٩.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته» رواه ابن ماجه وإسناده حسن.

ورواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة من حديث ابن عباس ولفظهما قال رسول الله ﷺ: «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته».

ورواه ابن ماجه أيضًا من حديث حذيفة ولفظه قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله لصاحب بدعة صومًا ولا صلاة ولا حجًا ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفًا ولا عدلاً حتى يخرج الشعر من العجين».

وعن العرباض بن سارية ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لقد تركتكم على مثل البيضاء[1] ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» رواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة بإسناد حسن.

٢٤ ـ طلب العلم

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «من نفَّس[2] عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس[3] فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من

(١) أى الحجة الواضحة التى لا تقبل الشبه أصلاً وصار حال إيراد الشبه كحال كشف الشبه عنها.
(٢) أى فرَّج.
(٣) يلتمس: يطلب.

بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة[١] ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة[٢] وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[٣].

وعن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[٤].

ورحم الله من قال:

(تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس فى الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء والزين عند الإخلاء يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم فى الخير قادة قائمة تقتص آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى إلى رأيهم ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام

---

(١) حفتهم الملائكة: أحدقت بهم وأحاطت.

(٢) غشيتهم الرحمة : غطتهم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى فى الشعب وحسنه فى صحيح الترغيب.

ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء).

٢٥ـ إحسان الوضوء

قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» وفى رواية أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ توضأ ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئى هذا، ثم قال: من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة»[١].

وإحسان الوضوء يكون بتأدية أركانه وسننه.

٢٦ـ إسباغ الوضوء على المكاره[٢]

٢٧ـ كثرة الخطا إلى المساجد

كثرة الذهاب إلى المساجد للطاعة، وإتيان المسجد الأبعد.

٢٨ـ انتظار الصلاة بعد الصلاة

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط فذلكم الرباط»[٣].

* * *

---

(١) صحيح رواه مسلم والنسائى مختصراً عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ.

(٢) فى شدة البرد.

(٣) صحيح رواه مسلم، والترمذى والنسائى وابن ماجه.

٢٩ـ الدعاء بعد الوضوء

قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[١].

٣٠ـ ركعتا الوضوء

قال رسول ﷺ ـ لبلال رضى الله عنه ـ يا بلال حدثنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام فإنى سمعت دُفَّ نعليك بين يدى فى الجنة، قال: ما عملت عملاً أرجى عندى من أنى لم أتطهر طهوراً فى ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لى أن أصلى»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين يقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة»[٣].

٣١ـ الأذان مع تصديق الجنان (القلب)

قال رسول الله ﷺ: «المؤذن يغفر له مدى صوته ويصدقه كل رطب ويابس»[٤].

وقال أبو القاسم ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة»[٥].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ـ فقام بلال ينادى

---

(١) صحيح رواه مسلم، وأبو داود وابن ماجه.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) صحيح رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن خزيمه فى صحيحه.

(٤) صحيح رواه أحمد وأبو داود.

(٥) صحيح رواه مسلم.

فلما سكت قال رسول الله ﷺ: «من قال مثل هذا يقينًا دخل الجنة»[١].

وعنه ﷺ قال: من أذن اثنتى عشرة سنة وجبت له الجنة وكتبت له بتأذينه فى كل يوم ستون حسنة وبكل إقامة ثلاثون حسنة»[٢].

٣٢ـ إجابة المؤذن باللسان والقلب

قال ﷺ: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال: أشهد أن محمدًا رسول الله قال: أشهد أن محمدًا رسول الله ثم قال: حى على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: حى على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال الله أكبر الله أكبر قال: الله أكبر، الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة»[٣].

٣٣ـ الصلاة على النبى ـ عليه السلام ـ بعد إجابة المؤذن

فعنه ـ عليه أكمل صلاة وسلام ـ قال: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة»[٤].

* * *

(١) صحيح رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه وصححه صاحب صحيح الترغيب.
(٢) صحيح رواه ابن ماجه والدارقطنى والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى.
(٣) صحيح رواه مسلم وأبو داود والنسائى عن عمر.
(٤) صحيح رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن عمرو بن العاص.

٣٤ـ الدعاء بعد الأذان بهذا الدعاء

وفي الحديث الصحيح: من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ ﷺ رسولاً غفر الله له ذنوبه (١).

٣٥ـ بناء المساجد لله تعالى

فعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتًا في الجنة» (٢).

٣٦ـ الغدو والرواح إلى المسجد

قال المصطفى ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح» (٣) والغدو: الذهاب صباحًا والرواح: الذهاب مساءً، ونزلاً أي قصوراً.

٣٧ـ الذهاب إلى المساجد في ظلمة الليل

قال المكتفي ﷺ: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» (٤) أي أنه يمشي بنور الله ويكون على منابر من نور.

* * *

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي عن جابر.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم والترمذي واللفظ له وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة.

٣٨ ـ المحافظة على الصلوات الخمس بخشوعهن ووقتهن

قال نبى الرحمة ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء، قالوا لا يبقى من درنه شىء قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[١]. والدرن أى الوسخ.

٣٩ ـ الصلاة فى أول وقتها

فعن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أى العمل أحب إلى الله تعالى قال: «الصلاة على وقتها، قلت: ثم أى، قال بر الوالدين، قلت: ثم أى، قال: الجهاد فى سبيل الله»[٢].

٤٠ ـ إحسان الوضوء والصلاة

عن عبادة بن الصامت قال: أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس صلوات افترضهن الله ـ عز وجل ـ من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهداً إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»[٣].

٤١ ـ المحافظة على صلاة الجماعة

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة

(١) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه قال المنذرى رجال إسناده ثقات.

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه والترمذى والنسائى.

(٣) حديث صحيح رواه مالك وأبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه.

لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث، اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة»[١].

٤٢ـ المحافظة على صلاة البردين «الصبح والعصر».

قال ﷺ: «من صلى البردين دخل الجنة»[٢]. والبردان هما الصبح والعصر وسميا بذلك لأنهما يصليان فى بردى النهار وهما طرفاه حين يذهب الحر.

٤٣ـ السباق إلى أبواب الخير (الدعوة إلى الله)

عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من غرس غرسًا لم يأكل منه آدمى ولا خلق من خلق الله إلا كان له صدقة»[٣].

عن معاذ بن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من علم علمًا فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل»[٤].

٤٤ـ الحب فى الله

عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحب عبد عبدًا لله إلا أكرمه ربه»[٥].

* * *

(١) صحيح رواه البخارى واللفظ له، ومسلم وأبو داود وابن ماجه.

(٢) صحيح رواه الشيخان.

(٣) صحيح أخرجه أحمد ٦/ ٤٤٤، والطبرانى فى الكبير كما فى المجمع ٤/٦٨، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٦٤٠٠.

(٤) صحيح أخرجه ابن ماجه ١/ ٤٠، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٦٣٩٦.

(٥) حسن أخرجه أحمد ٥/٢٥٩، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/٥٥١٦، والمشكاة ٥٠٢٢، والصحيحة ١٢٥٦.

٤٥ ـ كثرة ثناء الناس على العبد بإخلاص وصدق

عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أهل الجنة من ملأ الله ـ تعالى ـ أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله ـ تعالى ـ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع»[١].

٤٦ ـ المصافحة عند اللقاء

عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا»[٢].

٤٧ ـ إبعاد الأذى عن طريق المسلمين

عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من أخرج من طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم كتب الله له به حسنة، ومن كتب له عنده حسنة أدخله بها الجنة»[٣].

٤٨ ـ طول العمر فى الطاعة

عن ابن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يشيب شيبة فى الإسلام إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة»[٤].

---

(١) صحيح أخرجه ابن ماجه والحاكم والبزار، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٢٥٢٧، والسلسلة الصحيحة رقم ١٧٤٠.

(٢) حسن أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٩، وأبو داود ٤/ ٥٢١٢، والترمذى ٥/ ٢٧٢٧، وابن ماجه ٢/ ٣٧٠٣، وقال الترمذى: حسن غريب، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٥٧٧٧، والصحيحة ٥٢٥.

(٣) حسن أخرجه الطبرانى فى الأوسط رقم ٣٢، وحسنه السيوطى فى الجامع وكذا الألبانى ج٢ رقم ٩٥٨٥ والصحيحة رقم ٢٣٠٦.

(٤) صحيح أخرجه أبو داود ٤/ ٤٢٠٢، وأحمد ٢/ ١٧٩، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٥٧٦٠.

٤٩ـ عزاء المسلم فى مصيبته

عن عمرو بن حزم ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة»(١).

والعزاء فى الإسلام لفظ فقط ولا يدخل فيه الجلوس فالاجتماع والجلوس للعزاء حرام عند الجمهور ومكروه عند الأحناف هذا إن لم يكن فيه منكر كشرب السجائر وعدم تقدير القرآن الكريم والهرج والمرج واللعب والعبث.

فعلى المسلم إذا علم بوفاة أحد الإخوان والأقارب أو المسلمين عامة أن يذهب إلى أقارب الميت ويعزيهم بهذه الكيفية الواردة:

«إن لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب»(٢).

فإن ثقلت هذه العبارة على لسانه فليقل: البقاء لله.

أما قول بعضهم (البقية فى حياتك) فهى قولة منكرة وبدعة وضلالة وسوء أدب مع الله سبحانه.

ومن اعتقد معناها خرج من الإسلام(٣) فالله جلت صفاته لا يظلم أحدًا، ولكل عبد من عبيده أجل معلوم، ولا يقطع من أجل إنسان ليعطيه إنسانًا آخر، إذ إنه هو الحكم العدل فاحذر هذا يا طالب الجنة.

* * *

(١) حسن أخرجه ابن ماجه ١٦٠١/١، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ابن ماجه ١٦٠١/١.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

(٣) والظن بالمسلم أنه لا يعتقد معناها ولكنه الجهل المنكر.

٥٠ـ تغسيل الموتى وسترهم

(من غسل ميتًا فستره ستره الله من الذنوب ومن كفنه كساه الله من حلل الجنة).

قال رسول الله ﷺ: (من غسل ميتًا فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة، ومن كفن ميتًا كساه الله من سندس وإستبرق الجنة، ومن حفر لميت قبرًا فأجنه فيه أجرى له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة)[١].

٥١ـ التواضع فى اللباس مع القدرة عليه

عن معاذ بن أنس ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها»[٢].

ولا يفهم قليل الفهم من الحديث أنه يدعو إلى وساخة الثياب وعدم المبالاة بتنظيفه وتجميله وتحسينه كما يفعل بعض المتصوفة.

فهناك فرق بين نقاء الثوب ونظافته وإكرامه وبين جودة قماشه وغلاء سعره.

وهذا التواضع من الأغنياء مندوب، قال عمر ـ رضى الله عنه ـ: إنى أحب من الرجل إذا كان أميرًا للقوم أن يكون كبعضهم وإن لم يكن أميرهم فهو أميرهم يعنى فى العزة بالإسلام، فالتواضع من الغنى عز.

* * *

(١) صحيح أخرجه الحاكم (١/ ٣٥٤، ٣٦٢)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٣٩٥)، قال الحافظ فى تخريج الدراية ص٢٣٠ إسناده قوى، وقال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبى على شرط مسلم.

(٢) حسن. أخرجه الترمذى ٤/ ٢٤٨١، والحاكم ٤/ ١٨٤، وحسنه الترمذى وصححه الحاكم والذهبى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٦١٤٥.

٥٢ـ المحافظة على صلاة الضحى أربعًا وصلاة سنة الظهر القبلية أربعًا

عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى الضحى أربعًا وقبل الأولى[١] أربعًا بنى له بيت فى الجنة»[٢].

٥٣ـ سؤال الله الجنة

قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»[٣].

٥٤ـ الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات

عن عبادة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»[٤].

ومن ثم يندب للمرء المؤمن إذا دعا أن يدعو لنفسه ثم يدعو لسائر المؤمنين والمؤمنات وهذه طريقة دعاء الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

٥٥ـ الدعاء عقب صلاة الفجر بهذا الدعاء

قال رسول الله ﷺ: «من قال فى دبر صلاة الفجر وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت،

(١) الأولى أى صلاة الظهر والمراد بها سنة الظهر القبلية.

(٢) حسن أخرجه الطبرانى فى الأوسط رقم ٤٧٥٠، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٦٣٤٠.

(٣) صحيح أخرجه الترمذى ٤/ ٢٥٧٢، والنسائى ٨/ ٥٥٣٦، والحاكم ١/ ٥٣٥، وابن ماجه ٢/ ٤٤٠، وصححه الحاكم والألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٦٢٧٥.

(٤) حسن أخرجه الطبرانى فى الكبير كما فى المجمع ١٠/ ٢١٠، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ٢/ ٦٠٢٦.

وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك كله فى حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم ينبغ لذنب أن يدركه فى ذلك اليوم إلا الشرك بالله»(١) حرز: أى حصن.

٥٦ـ من وافق تأمينه تأمين الملائكة

قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

قوله آمين: أى اللهم استجب أو كذلك فافعل أو كذلك فليكن.

٥٧ـ اثنتا عشرة ركعة فى اليوم والليلة

قال ﷺ: «ما من عبد مسلم يصلى لله تعالى فى كل يوم اثنتى عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة، بنى الله تعالى له بيتًا فى الجنة وإلا بنى له بيت فى الجنة»(٣) وإذا أردت تحديد هذه الركعات فاستمع إلى رسول الله ﷺ وهو يحددها حيث قال: «من ثَابَر(٤) على ثنتى عشرة ركعة فى اليوم والليلة دخل الجنة أربعًا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر»(٥).

* * *

(١) حديث حسن رواه الترمذى وحسنه.

(٢) صحيح رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه.

(٣) صحيح رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن خزيمة وابن حبان عن أم حبيبة.

(٤) ثابر أو واظب وحافظ ولازم.

(٥) حديث صحيح رواه النسائى واللفظ له والترمذى وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها.

٥٨ـ صلاة أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها

يقول رسول الله ﷺ: «من يحافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار»[١].

٥٩ـ صلاة أربع ركعات قبل العصر

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعًا» وقد جاءت جملة أخبار فيها مقال: «أن من حافظ على أربع ركعات قبل العصر لم تمسه النار»[٢].

٦٠ـ المحافظة على قيام الليل

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[٣].

وقال: «إن فى الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام»[٤].

٦١ـ قيام الليل ودعوة غيره لقيام الليل

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فإن أبت نضح فى وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت فى وجهه الماء»[٥].

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

(٢) حديث صحيح رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى وصححه والحاكم وصححه.

(٤) حديث صحيح رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه، ورواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه.

(٥) حسن رواه الترمذى والنسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد.

٦٢ـ الدعاء بـ «سيد الاستغفار» صباحًا ومساءً بيقين

يقول سيد الخلق ﷺ: «سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك، وأبوء بذنبى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها موقنًا بها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها موقنًا بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة»[1] أبوء: أى أعترف.

٦٣ـ قول سبحان الله وبحمده صباحًا ومساءً (١٠٠ مرة)

قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»[2].

ويدعو بهذا الدعاء قبل الشروق وقبل الغروب.

٦٤ـ قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد (١٠٠ مرة)

قال نبى الملحمة ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجلاً عمل أكثر منه»[3] حرز: أى حصن.

---

(١) صحيح رواه البخارى والنسائى والترمذى.

(٢) صحيح رواه مسلم والترمذى والنسائى.

(٣) صحيح رواه البخارى ومسلم.

٦٥ـ التبكير لصلاة الجمعة مع الإنصات للخطبة

قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصا فقد لغا»[١].

٦٦ـ الدعاء أثناء ساعة الإجابة يوم الجمعة

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئًا إلا أعطاه»[٢] وأرجح الأقوال أنها ما بين صلاة العصر إلى صلاة المغرب يوم الجمعة.

٦٧ـ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن أعرابيًا أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا ولا أنقص منه فلما ولى قال النبى ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»[٣].

٦٨ـ عدم سؤال الناس

قال رسول الله ﷺ: «من تكفل لى أن لا يسأل الناس شيئًا أتكفل له بالجنة»[٤] والمقصود: أنه لا يسأل فقرًا بل يصبر على الفقر أو يعمل.

---

(١) صحيح رواه مسلم وأبو داود.

(٢) صحيح رواه البخارى ومسلم.

(٣) صحيح رواه البخارى.

(٤) صحيح رواه مسلم وأبو داود.

٦٩- إنظار المعسر ومسامحته

قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله تعالى: نحن أحق بذلك تجاوزوا عنه»(١).

٧٠- تفريج كرب المكروبين

٧١- والتيسير على المعسرين

٧٢- وستر المسلمين

قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»(٢).

٧٣- السماح عن بعض الدين الذى على المعسر

قال رسول الله ﷺ: «من أنظر معسراً، أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»(٣) معنى وضع له أى: ترك له شيئًا مما عليه.

* * *

(١) صحيح رواه البخارى ومسلم.

(٢) صحيح رواه البخارى.

(٣) صحيح رواه الترمذى وحسنه، ورواه ابن ماجه والحاكم وصححه على شرط مسلم.

٧٤- إطعام المساكين
٧٥- اتباع الجنائز
٧٦- زيارة المرضى

قال رسول الله ﷺ «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ فقال أبو بكر - رضى الله عنه -: أنا، فقال: من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ فقال أبو بكر: أنا، فقال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ فقال أبو بكر: أنا، فقال: من عاد منكم اليوم مريضًا؟ فقال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعت هذه الخصال قط فى رجل إلا دخل الجنة»[١] عاد: زار.

٧٧- الرحمة بالحيوان

قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه الحر فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه[٢] حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له»[٣].

٧٨- الصيام الكامل

قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»[٤].

الصيام الكامل معناه الصيام عن الأكل والشرب والجماع وصيام اللسان عن

(١) صحيح رواه مسلم.
(٢) أى بفمه.
(٣) صحيح رواه البخارى ومسلم.
(٤) صحيح رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى.

الغيبة والنميمة، وصيام الجوارح عن أذى الآخرين، وصيام القلب عما سوى الله.

٧٩- صيام يوم فى سبيل الله تعالى

قال ﷺ «ما من عبد يصوم يومًا فى سبيل الله - تعالى - إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا» (١) أى عامًا.

٨٠- قيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا

قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» (٢) احتسابًا: أى طلبًا لجنة الله تعالى ولثوابه.

٨١- الحج المبرور

قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (٣) الرفث: الجماع أو الفحش.

٨٢- العمرة

وقال الحبيب - عليه السلام - «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (٤).

* * *

(١) صحيح رواه البخارى ومسلم والنسائى.
(٢) صحيح رواه البخارى ومسلم.
(٣) صحيح رواه البخارى ومسلم.
(٤) صحيح رواه البخارى ومسلم ومالك.

٨٣ـ العمل الصالح من الصلاة والصيام والقيام فى عشر ذى الحجة

يقول ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله ـ عز وجل ـ من هذه الأيام ـ يعنى أيام العشر ـ قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال: ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء»[١].

وهذه الأيام هى العشر الأوائل من ذى الحجة فيستحب فيها العمل الصالح ويحرم صيام يوم العاشر.

٨٤ـ الصلاة فى المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى

قال رسول الله ﷺ: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ـ وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة»[٢].

وقال ﷺ: «الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة فى مسجدى بألف صلاة، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة»[٣].

٨٥ـ الصلاة فى مسجد قباء

قال نبى الله ﷺ: «من تطهر فى بيته، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة»[٤].

(١) صحيح رواه البخارى والترمذى وأبو داود.

(٢) صحيح رواه أحمد وابن ماجه.

(٣) حسن رواه الطبرانى وابن خزيمة والبزار وقال: إسناده حسن.

(٤) صحيح رواه البخارى ومسلم ومالك والترمذى والنسائى.

٨٦ـ الشهادة فى سبيل الله تعالى

قال رسول الله ﷺ: «إن للشهيد عند الله سبع خصال أن يغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين إنسانًا من أقاربه»[١].

٨٧ـ الرباط فى سبيل الله عز وجل

يقول النبى ﷺ: «رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»[٢].

الرباط: ملازمة المكان الذى بين الكفار والمسلمين لحراسة المسلمين.

الغدوة: المرة الواحدة من الذهاب.

الروحة: المرة الواحدة من المجىء.

وقال سيدنا محمد ﷺ: رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمل، وأجرَى عليه رزقه، وأمن من الفتان»[٣]. أى أمن من منكر ونكير.

* * *

---

(١) صحيح رواه أحمد والطبرانى وإسناد أحمد «حسن»، وفى رواية (مت).

(٢) صحيح رواه البخارى ومسلم.

(٣) صحيح رواه مسلم.

٨٨ـ تجهيز الغزاة ورعاية أهليهم

يقول سيد ولد آدم ﷺ: «من جهز غازيًا فى سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا فى أهله بخير فقد غزا»(١).

٨٩ـ احتباس الخيل للجهاد فى سبيل الله تعالى

قال رسول الله ﷺ: «من احتبس فرسًا فى سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة ـ يعنى حسنات»(٢).

ويكفى فى فضل الجهاد قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٢].

٩٠ـ الغبار فى سبيل الله تعالى

قال رسول الله ﷺ: «ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار»(٣).

٩١ـ والموت بالطاعون أو بداء البطن أو المحرق أو الهدم أو المرأة تموت وفى بطنها ولدها أو الغرق

٩٢ـ تعلم القرآن وتعليمه

قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٤).

(١) صحيح رواه البخارى ومسلم.
(٢) صحيح رواه البخارى والنسائى.
(٣) صحيح رواه البخارى واللفظ له والترمذى والنسائى.
(٤) صحيح أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

٩٣- المهارة بالقرآن حفظًا وفهمًا وعملاً وتعليمًا وتعلمًا

قال نبى الله ﷺ «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»(١).

٩٤- حمل القرآن والعمل به

قال رسول الله ﷺ: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حَلِّه فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده فيلبس حُلَة الكرامة، ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة»(٢).

٩٥- إرسال الولد لحفظ القرآن

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وعمل به ألبس والده تاجًا يوم القيامة ضوءُه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا فما ظنكم بالذى عمل بهذا»(٣).

٩٦- حمل «حفظ» البقرة وآل عمران

قال ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو كأنهما فَرْقَان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة ولا تستطيعها البَطَلَة»(٤).

غيايتان: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة. وفرقان: قطعتان. والبطلة: السحرة.

---

(١) صحيح رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

(٢) صحيح رواه الترمذى وأبو داود وابن خزيمة.

(٣) حسن رواه أبو داود والحاكم.

(٤) صحيح رواه مسلم.

٩٧- حفظ سورة الملك وقراءتها كل يوم

قال رسول الله ﷺ: «إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهى تبارك الذى بيده الملك»[١].

وفى الحديث «هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر»[٢].

٩٨- المواظبة على مجالس العلم والذكر

يقول رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادى قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول هل رأونى؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأونى قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا قال: فيقول: فما يسألوننى قال يقولون: يسألونك الجنة، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها قال: فيقول: فكيف لو رأوها قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون لا والله ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة قال: فيقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[٣].

---

(١) حسن رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه.

(٢) حسن رواه الترمذى والنسائى والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) صحيح رواه البخارى ومسلم.

٩٩ـ قول لا إله إلا الله خالصًا من قلبه

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله ـ من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»(١).

١٠٠ـ الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق

قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»(٢).

١٠١ـ قول سبحان الله وبحمده

قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة». وفى رواية «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده»(٣).

قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»(٤).

* * *

(١) صحيح رواه البخارى ومسلم وإخلاصها أن تحجزه عن محارم الله.

(٢) صحيح رواه البخارى ومسلم والترمذى عن عبادة.

(٣) صحيح رواه النسائى والترمذى وحسنه.

(٤) صحيح رواه مسلم والترمذى.

١٠٢ ـ الإكثار من قول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله

قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»[١].

١٠٣ ـ الإكثار من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله

قال رسول الله ﷺ: «قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة»[٢].

١٠٤ ـ الصلاة على النبى ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة»[٣].

١٠٥ ـ أكل الحلال والعمل فى سنة وأن يأمن الناس شره

قال رسول الله ﷺ: «من أكل طيبًا وعمل فى سنة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة قالوا: يا رسول الله إن هذا فى أمتك اليوم كثير، قال: وسيكون فى قرون بعدى»[٤].

* * *

(١) صحيح رواه النسائى والترمذى وأحمد.

(٢) صحيح رواه البخارى ومسلم.

(٣) صحيح رواه الترمذى وابن حبان.

(٤) حديث صحيح رواه الترمذى وقال حسن صحيح غريب والحاكم وصححه.

١٠٦ ـ السماحة فى البيع والشراء والقضاء والتقاضى

قال رسول الله ﷺ: «أدخل الله ـ عز وجل ـ رجلاً كان سهلاً مشتريًا وبايعًا وقاضيًا ومقتضيًا الجنة»(١).

١٠٧ ـ السهل الهين فى أخلاقه ومعاملاته

قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار، ومن تحرم عليه النار، على كل قريب هين سهل»(٢).

١٠٨ ـ الأمانة والصدق فى التجارة

قال رسول الله ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء».

١٠٩ ـ العفة والتعفف

قال رسول الله ﷺ: «عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة، شهيد وعفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه».

العفيف: الذى يحفظ فرجه ويصون عرضه ويطهر قلبه.

والمتعفف: المراد به الذى يرضى بالقليل ولا يمد عينه لما فى أيدى الناس، ولا يأخذ الأموال من الناس على وجه الحياء.

* * *

(١) حديث صحيح رواه النسائى وابن ماجه ورواه البخارى بلفظ آخر.

(٢) حديث حسن رواه الترمذى وحسنه.

١١٠ - رضا الزوج عن زوجته

قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»[١].

وذلك إذا رضى عنها فى طاعة الله، وفى طاعته فيما يرضى الله، أما إذا رضى عنها فى معصية الله فلا يعتد بهذا الرضا.

١١١ - طاعة المرأة لزوجها وحفظ فرجها

قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبوابها الثمانية شئت»[٢].

١١٢ - تربية البنات وتعليمهن ورعايتهن رعاية إسلامية

قال رسول الله ﷺ: «من ابتلى من هذه البنات بشىء، فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»[٣].

١١٣ - ومثل هذا تربية الأخوات

١١٤ - الصبر على فقد الأولاد الصغار الذين لم يبلغوا

قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»[٤] الحنث: البلوغ.

* * *

(١) حديث حسن رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه.

(٢) حديث حسن رواه أحمد وابن حبان والطبرانى.

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.

١١٥ـ ترك الترفع فى الثياب تواضعاً واقتداء به ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «من ترك اللباس تواضعًا لله، وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها»(١).

والمقصود: أن يلبس المسلم الغنى القادر على شراء أجمل الملابس وأرفعها سعراً الثياب المتواضع، وليس المقصود أن يلبس القذر أو النجس، وإنما الغنى من باب التواضع يلبس الثياب المتواضعة النظيفة.

١١٦ـ إبقاء شعر الشيب

قال رسول الله ﷺ: «لا تنتفوا الشيب فإنه ما من مسلم يشيب شيبة فى الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة»(٢).

١١٧ـ الحكم بين الناس بالعدل

قال رسول الله ﷺ: «القضاة ثلاثة واحد فى الجنة واثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار»(٣).

جار: أى ظلم.

* * *

(١) حديث حسن رواه الترمذى وحسنه.

(٢) حديث حسن رواه أبو داود والترمذى وحسنه.

(٣) حديث حسن رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه.

١١٨ـ إمام عادل

١١٩ـ شاب نشأ فى عبادة الله

١٢٠ـ رجل قلبه معلق بالمساجد

١٢١ـ رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه

١٢٢ـ ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله

١٢٣ـ ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه

١٢٤ـ ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عينه

قال رسول الله ﷺ : «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[١] .

١٢٥ـ إعطاء الجار حقه

قال رسول الله ﷺ : «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[٢] .

أى شروره ومكائده.

* * *

(١) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.

١٢٦ ـ زيارة الإخوان والصالحين

١٢٧ ـ عيادة المرضى

قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً زار أخًا له في قرية، فأرصد الله تعالى ـ على مدرجته ملكًا فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لى فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا غير أننى أحببته فى الله قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته»(١).

المدرجة: الطريق ـ تربها: تقوم بها وتسعى فى صلاحها وقال ـ ﷺ ـ: «من عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله ناداه مناد: بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»(٢).

١٢٨ ـ إكرام الضيف

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»(٣).

١٢٩ ـ الحياء

قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتى إلا بخير»(٤).

١٣٠ ـ حسن الخلق

قال رسول الله ﷺ: «إن من أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»(٥).

---

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم.
(٢) حديث حسن رواه الترمذى وحسنه.
(٣) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.
(٤) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم عن عمران.
(٥) حديث صحيح رواه الترمذى والحاكم وصححه.

١٣١ـ الرفق والأناة

قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله»[١].

١٣٢ـ الحلم وعدم الغضب للنفس

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رجلاً قال للنبى ﷺ «أوصنى قال: لا تغضب فردد مراراً قال: لا تغضب»[٢]. وفى رواية: «لا تغضب ولك الجنة».

١٣٣ـ الصمت إلا عن خير، وعدم كثرة الكلام

قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»[٣] لحييه: فكيه والمراد لسانه.

١٣٤ـ صدق الحديث

١٣٥ـ الوفاء بالوعد

١٣٦ـ أداء الأمانة

١٣٧ـ حفظ الفروج

١٣٨ـ غض البصر

١٣٩ـ كف اليد عن الحرام

قال رسول الله ﷺ: «اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»[٤].

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.
(٢) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.
(٣) حديث صحيح أخرجه البخارى والترمذى.
(٤) حديث حسن رواه أحمد وابن أبى الدنيا والحاكم وابن حبان.

١٤٠ـ خشية الله تعالى

قال رسول الله ﷺ: «كان رجل يشرف على نفسه لما حضره الموت فقال لبنيه: إذا أنا مت فاحرقونى.ثم اطحنونى، ثم ذرونى فى الريح فوالله لئن قدر الله على ليعذبنى عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال: اجمعى ما فيك، ففعلت فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت قال: خشيتك يا رب أو قال: مخافتك فغفر له»[1].

قول الرجل: «لئن قدر الله علىَّ» وقع على سبيل الجهل منه، وإلا فمن لم يعتقد أن الله على كل شىء قدير فهو كافر.

١٤١ـ رجاء الله تعالى

قال الله تعالى فى الحديث القدسى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتنى لا تشرك بالله شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[2].

قراب الأرض: ما يقارب ملأها من الخطايا.

١٤٢ـ حسن الظن بالله تعالى مع الخوف منه

قال الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى»[3].

فالواجب على العبد أن يكون قلبه بين رجاء رحمة الله وخوف عذابه.

(١) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.
(٢) حديث حسن رواه الترمذى وحسنه.
(٣) حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم.

١٤٣ـ الصبر على فقد العينين

قال الله ـ عز وجل ـ: «إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة»(١).

١٤٤ـ الدعاء (بالدعاء الآتى) أثناء المرض

قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه، فقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: يقول الله: لا إله إلا أنا وحدى، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقال: يقول صدق عبدى لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، قال يقول: لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى وكان يقول من قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار»(٢).

١٤٥ـ الصبر على البلاء فى النفس والولد والمال

عن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله، أى الناس أشد بلاء قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»(٣).

* * *

(١) حديث صحيح رواه البخارى والترمذى.

(٢) حديث حسن رواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن حبان والحاكم.

(٣) حديث حسن أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه وابن حبان.

١٤٦ـ كفالة اليتيم

قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم هكذا فى الجنة وأشار بالسبابة والوسطى»(١).

١٤٧ـ إعطاء الطريق حقه

قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشى بطريق إذ وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره فشكر الله له فغفر له»(٢) أخره: أبعده.

١٤٨ـ سؤال الشهادة فى سبيل الله تعالى بصدق

قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله ـ الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(٣).

١٤٩ـ دفع السيئة بالحسنة

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

١٥٠ـ إتباع رمضان بصيام ستة من شوال

فقد ورد فى الحديث الصحيح: «من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه الشيخان.

* * *

(١) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.
(٢) حديث صحيح رواه البخارى فى الأذان ومسلم فى الإمارة.
(٣) حديث صحيح رواه مسلم.

الخاتمة

عبد الله :

وخف القصاص غداً إذا وفيت ما — كسبت يداك اليوم بالقسطاسِ
فى موقف ما فيه إلا شاخص — أو مهطع أو مقنع للراسِ
أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم — نار وحاكمهم شديد الباسِ
إن تُمطل اليوم الحقوق مع الغنى — فغداً تؤديها مع الإفلاسِ

وصدق عمر رضى الله عنه عندما قال: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتزينوا للعرض الأكبر أمام الله).

أخى وأختى:

كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غداً بين أطباق النار يصيح. فتب إلى ربك وعد إلى مولاك وصاحب الأخيار واقرأ القرآن كثيراً وادع الله بكرة وأصيلاً.

يا من إذا وقف المسىء ببابه — ستر القبيح وجاد بالإحسانِ
وأنا المسىء وقد دعوتك سيدى — تعفو وتصفح للعبيد الجانى
ما زلت أُعْرَف بالإساءة دائمًا — ويكون منك الصفح والغفرانِ
لم تنتقصنى إن أسأت وزدتنى — حتى كأن إساءتى إحسان
منك التفضل والتكرم والرضا — أنت الإله المنعم المنان
حاسبت نفسى لم أجد لى صالحًا — إلا رجائى رحمة الرحمنِ
ووزنت أعمالى علىَّ فلم أجد — فى الأمر إلا خفة الميزان
وظلمت نفسى فى أمورى كلها — ويحى إذاً من وقفة الديانِ

يا أيها الإخوان إنى راحل مهما يطول عمرى فإنى فانى

يا رب إن لم ترض إلا تقى من للمسيء المذنب الحيرانِ

• طول يوم القيامة على المؤمن بعض دقائق:

وهذا اليوم مع عظم هوله وكثرة خطوبه قبل المحكمة وأثناءها وبعدها فإن المؤمن لا يصيبه فيه حزن ولا خوف ويمر عليه كصلاة مكتوبة.

قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيدى إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة»[١].

فعندما يخرج المؤمن من قبره يركب طائرة تسمى النجيبة على هيئة السيارة يطير بها إلى المحشر.

سئل على رضى الله عنه عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] ما الوفد؟ قال: «ما الوفد إلا ركب، والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب (ما يشبه كراسى السيارات)، شرك[٢] نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر...»[٣] ويصل إلى ساحة العرض فيتناول كتابه باليمين ثمَّ يحاسب حسابًا يسيرًا أو يجوز المحكمة الإلهية بدون حساب ثمَّ يسقى من حوض النبى ﷺ ثمَّ يجوز على الصراط كالبرق الخاطف أو كطرف العين أو كالريح المرسلة أو كالجواد المسرع... إلخ. ثمَّ يدخل الجنة.

والحق إن سبب فوز هؤلاء ونجاتهم من النار وميراثهم الجنة هو الإخلاص.

فطوبى لمن كانت له خطوة أو كلمة فى سبيل الله، وطوبى لمن نطق ذكر ابتغاء وجه الله.

---

(١) أخرجه ابن المبارك موقوفًا على أبى هريرة رقم ٣٤٨ فى زوائده.

(٢) أى الوردة التى فى أعلى نعالهم.

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب صفة الجنة والبيهقى. الترغيب (٤/ ٢٤٢).

عن أبى قلابة قال: كان لى ابن أخ يتعاطى الشراب فمرض فبعث إلىَّ ليلاً أن ألحق به فأتيته فرأيت أسودين قد دنوا من ابن أخى فقلت: إنَّا لله، هلك ابن أخى فاطلع أبيضان من الكوة[١] التى فى البيت، فقال أحدهما لصاحبه: انزل إليه، فلما نزل إليه تنحَّى الأسودان فجاء فشمَّ فاه، فقال: ما أرى فيه ذكرًا، ثم شمَّ بطنه فقال: ما أرى فيه صومًا، ثمَّ شم رجليه فقال ما أرى فيهما صلاة، فقال له صاحبه إنَّا لله وإنا إليه راجعون رجل من أمة محمد ﷺ ليس له من الخير شىء ويحك عد فانظر فعاد فشم فاه فقال: ما أرى فيه ذكرًا، ثمَّ بطنه، فقال: ما أرى فيه صومًا، ثمَّ شمَّ رجليه، فقال: ما أرى فيهما صلاة، فقال: ويحك رجل من أمة محمد ﷺ ليس معه من الخير شىء اصعد حتى أنزل أنا، فنزل الآخر فشم فاه فقال: ما أرى فيه ذكرًا، ثمَّ بطنه فقال: ما أرى فيه صومًا، ثم شم رجليه فقال: ما أرى فيهما صلاة، قال ثم عاد فأخرج طرف لسانه فشم لسانه فقال: الله أكبر أراه قد كبر تكبيرة فى سبيل الله يريد بها وجه الله بأنطاقية، قال: ثم فاضت نفسه وشممت فى البيت رائحة المسك[٢].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد:١٦] ولننظر إلى صورة القيامة فى هذه القصة:

عن مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى: قال: كنت فى أول أمرى مُكبًا على الله وشرب الخمر، فاشتريت جارية، وتسريت بها وولدت لى بنتًا فأحببتها حبًا شديدًا إلى أن دبَّت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى عليه فأهرَقتْه بين يدى، فلما بلغتْ من العمر سنتين ماتت فأكمدنى حزنها، قال: فلما كانت ليلة النصف من شعبان بِت وأنا ثمل[٣] من الخمر، فرأيت فى النوم

(١) الكوة: الفتحة فى الجدار.

(٢) التذكرة ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٣) ثمل: سكران.

كأن القيامة قامت وخرجت من قبرى، وإذا بتنين[١] قد تبعنى يريد أكلى، قال: فهربت منه فتبعنى وصار كلما أسرعت يهرع خلفى وأنا خائف منه، فمررت فى طريقى على شيخ نقى الثياب ضعيف، فقلت: يا شيخ.. بالله أجرنى من هذا التنين الذى يريد أكلى وإهلاكى، فقال: يا ولدى.. أنا شيخ كبير وهذا أقوى منى، ولا طاقة لى به، ولكن مُر وأسرع، فلعل الله أن ينجيك منه، قال: فأسرعت فى الهرب، وهو ورائى، فأشرفت على طبقات النار، وهى تفور فكدت أن أهوى فيها، وإذا قائل يقول: لست من أهلى فرجعت هاربًا، والتنين فى أثرى فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات، وعليها أبواب وستور، وإذا بقائل يقول: أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه، ففتحت الأبواب، ورفعت الستور، وأشرف علىَّ منها أطفال بوجوه كالأقمار، وإذا ابنتى معهم فلما رأتنى نزلت إلى كفة من نور وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هاربًا، وجلست فى حجرى، وقالت: يا أبت وقرأت الآية الكريمة فى قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ فقلت: يا بنية.. وأنتم تعرفون القرآن؟ قالت: نحن أعرف به منكم.

قلت: يا بُنيَّة.. ما تصنعون ههنا؟

قالت: نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا إلى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا.

فقلت: يا بنية.. ما هذا التنين الذى يطاردنى ويريد إهلاكى؟

قالت: يا أبت.. ذلك عملك السوء قوَّيته فأراد إهلاكك فقلت: ومن ذلك الشيخ الضعيف الذى رأيته؟

قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب

(١) التِّنين: حية عظيمة.

إلى الله ولا تكن من الهالكين.

قال: ثم ارتفعت عنى واستيقظت، فتبت إلى الله من ساعتى[١].

* * *

آه.. آه.. آه..

حزن عميق فاض بى وشجانى   واستعبرت عينى وشُلّ جنانى

وعذاب أنفاس تردد رجعها   فتسابقت ثورة الغثيان

لو كان فى صدرى لها متنفس   لكنها تشكو من القضبان

لو كان للأيام صورة ناطق   لرنت وفاق بيانها تبيان

لو كانت الأوراق تحكى لاشتكت   قلمى وقالت: تاه فيك لسانى

أوَّاه من ليل تعاظم جرمه   حتى غدوت به كما النشوان

أحيى به ذنبًا أقارف ثالثًا   وأعيش مثل الهائم السكرانِ

أوَّاه من قلب يكبله الأسى   فيهيم بين مرارة الأحزان

ما زال يذكر ما مضى من جهله   أيام كان على خطى الشيطان

يمضى الليالى سائرًا فى غيه   ويعيش بين الظلم والحرمانِ

وتذكر القبر المخيف وظلمة   تحويه حين يلف بالأكفان

فبكى وأرسل نبضه متتابعًا   حتى كأن الموت فى الخفقان

أوَّاهُ يا نفس أموت وحسرتى   خوف القيامة عدَّلت أوزانِ

أوَّاه من يوم أكون به فوق   الصراط على لظى النيران

أبكى ودمعى فى خدودى نازف   عينى جرت وتمزَّقت أجفانى

أمشى وخطوى خائف متردد   والذنب فوقى والجميع يرانى

---

(١) الكبائر ص٢١٢، ٢١٣.

والنــاس من حــولى عــراة تشتكى ظلمى مـع الطغيـان
فرعـون من تحتى وقارون الذى قـد كـان يُنكر نعمـة الرحمنِ
وأمــام عينى جنة محفـوفة بجميـع مـا فى الكون من ألوانِ
فيها من الحور العين عرائس يرفلن بالديبـاج والتيجـانِ
وبهـا نعيـم ليس يفنى دائم يبقى بفضل الواحـد المنـانِ
يا رب فارحمنى وأسكنى بها واغفر جميع سالف العصيانِ

* * *

يا هادى الضالين، ويا راحم المذنبين، ويا مقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين، الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين يا رب العالمين.

وأرجو من كل أخ أو أخت طالعا هذا المصنف أن يدعو لى ولأرحامى ولسائر المسلمين بالمغفرة.

وأهدى كتابى لابنتى روضة وأبى وأمى وزوجى وولدى شفاء وصهيب.

دكتور مصطفى مراد صبحى
المدرس بكلية الدعوة الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع الصفحة

الموضـــــــــــوع الصفحة

الموضـــــــــــوع الصفحة

الموضـــــــــــوع | الصفحة

الموضـــــــــوع الصفحة

الموضـــــــــوع الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــــــوع الصفحة

الموضـــــــــــوع الصفحة